

النَّبِيِّ وَالْإِنْفِ

النَّبِيُّ وَالْإِسْلَامُ

لِلْأَبِيِّ أَحْسَنَ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ السَّعْدِيِّ
وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مَرْجُوحُ الذَّهَبِ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1430هـ-2009
حقوق الطبع محفوظة للناسر
الناسر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد - القاهرة
25936277 / فاكس: 25922620-25938411
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

المسعودى ، على بن الحسين بن على ، 957-000
التنبيه والاشراف / لابی الحسن على بن الحسين بن على المسعودى
القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 2007

385 ص ، 24 سم

تدمك : 9-351-341-977

2 - العالم - التاريخ

1- التاريخ

- العنوان

ديوى: 907.2

رقم الايداع: 2007/10633

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله والطاهرين"

ذكر الغرض من هذا الكتاب

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي:

أما بعد فإننا لما صَنَّفنا كتابنا الأكبر في أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة، وشفعناه بالكتاب الأوسط في معناه ثم قفوناه بكتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر في تحف الأشراف من الملوك وأهل الدرايات ثم أثلينا ذلك بكتاب "فنون المعارف" وما جرى في "الدهور السوالف" وأتبعناه بكتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور "وأردفناه بكتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الإعصار" ذكرنا في هذه الكتب الأخبار عن بدء العالم والخلق وتفرقهم على الأرض والممالك، والبر، والبحر، والقرون البائدة، والأمم الخالية الدائرة الأكابر كالهند، والصين، والكلدانيين: وهم السريانيون، والعرب، والفرس، واليونانيون، والروم، وغيرهم، وتاريخ الأزمان الماضية، والأجيال الخالية، والأنبياء، وذكر قصصهم، وسير الملوك، وسياساتهم، ومسكن الأمم، وتباينها في عباداتها، واختلافها في آرائها، وصفة بحار العالم، وابتدائها، وانتهائها، واتصال بعضها ببعض، وما لا يتصل منها، وما يظهر فيه المد، والجزر، وما لا يظهر، ومقاديرها في الطول، والعرض، وما يتشعب من كل بحر من الخليجان ويصب إليه من كبار الأنهار، وما فيها من الجزائر العظام.

وما كان من الأرض برًا فصار بحرًا، وبحرًا فصار برًا على مرور الأزمان، وكرور الدهور، وما قاله حكماء الأمم في كيفية شبابها، وهرمها، وعلل جميع ذلك.

والأنهار الكبار، ومبادئها، ومصائبها، ومقادير مسافاتها على وجه الأرض من ابتدائها إلى انتهائها، والأخبار عن شكل الأرض وهيئتها، وما قالته حكماء الأمم من الفلاسفة وغيرهم في قسمتها، والربع المسكون منها، وحدبها، وأنجادها، وأغوارها، وتنازع الناس في كيفية ثباتها، وتأثيرات الكواكب في سكانها، واختلاف صورهم، وألوانها، وأخلاقهم.

ووصف الأقاليم السبعة، وأطوالها، وعروضها، وعامرها، وغامرها، ومقادير ذلك، ومجاري الأفلاك، وهيئاتها، واختلاف حركاتها، وأبعاد الكواكب، وأجرامها، واتصالها، وانفصالها، وكيفية مسيرها، وتنقلها في أفلاكها، ومضاداتها إياها في حركاتها، ووجوه تأثيراتها في عالم الكون، والفساد التي بها قوام الأكوان.

وهل أفعالها على المماساة أم على المباينة عن إرادة وقصد أم غير ذلك؟

وكيف ذلك وما سببه؟ وهل حركات الأفلاك، والنجوم جميعاً طباع أم اختيار؟

وهل للفلك علّة طباعية فاعلة في الأشياء المعلولة التي هو مشتمل عليها ومحيط بها، والنواحي، والآفاق من الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب، وما على ظهر الأرض من عجيب البنيان، وما قاله الناس في مقدار عمر العالم، ومبدئه، وغايته، ومنتهاه، وعلّة طول الأعمار، وقصرها، وآداب الرئاسة.

وضروب أقسام السياسة المدنية الملوكية منها، والعامية مما يلزم الملك في سياسة نفسه، ورعيته، ووجوه أقسام السياسة الديانية، وعدد أجزائها.

ولأية علّة لا بد للملك من دين كما لا بد للدين من ملك؟ ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، ولم يجب ذلك، وما سببه؟

وكيف تدخل الآفات على الملك، وتزول الدول، وتبيد الشرائع والملل والآفات التي تحدث في نفس الملك، والدين والآفات الخارجة المعترضة لذلك، وتحصين الدين، والملك؟

وكيف يعالج كل واحد منهما بصاحبه إذا اعتل من نفسه أو من عارض يعرض له، وما نية ذلك العلاج، وكيفيته، وأمارات إقبال الدول، وسياسة البلدان، والأديان؟

والجيوش على طبقاتهم، ووجوه الحيل، والمكايد في الحروب ظاهراً، وباطناً، وغير ذلك من أخبار العالم، وعجائبه، وأخبار نبينا ﷺ، ومولده، وما ظهر في العالم من الآيات، والكوائن، والأحداث المندرات بظهوره قبل مولده من أخبار الكهان وغيرهم، وما أظهر الله سبحانه على يديه من الدلائل، والعلامات، والجرائع المعجزات.

ومنشؤه، ومبعثه، وهجرته، ومغازيه، وسراياه، وسواربه، ومناسره إلى وفاته، والخلفاء بعده، والملوك الغرر من أخبارهم، وما كان من الكوائن والأحداث، والفتوح في أيامهم، وأخبار وزرائهم وكتائبهم إلى خلافة المطيع.

وذكرنا من كان في كل عصر من حملة الأخبار، ونقله السير، والآثار، وطبقاتهم من عصر الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من فقهاء الأمصار، وغيرهم من ذوي الآراء، والنحل، والمذاهب، والجدل بين فرق أهل الصلاة ومن مات منهم في سنة إلى هذا الوقت المؤرخ.

وذكرنا في كتاب "نظم الأعلام في أصول الأحكام" وكتاب "نظم الأدلة في أصول الملة" وكتاب "المسائل والعلل في المذاهب والملل" تنازع المتفهمين في مقدمات أصول الدين، والحوادث التي اختلفت فيها آراؤهم، وما يذهب إليه من القول بالظاهر، وإبطال القياس، والرأي، والاستحسان في الأحكام إذ

كان الله -جل وعزّ - قد أكمل الدين، وأوضح السبيل، وبين للمكلفين ما ينفون في آياته المنزلة، وسنن رسوله المفضلة التي زجرهم بها عن التقليد، ونهاهم عن تجاوز ما فيها من التحديد، وما اتصل بذلك من الكلام في أصول الفتوى، والأحكام العقلية منها والسمعية، وغير ذلك من فنون العلوم، وضروب الأخبار مما لم تأت الترجمة على وصفه، ولا انتظمت ذكره؛ رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجمه بكتاب "التنبية والإشراف" وهو التالي لكتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الإعصار نودعه لمعا من ذكر الأفلاك، وهيئاتها، والنجوم، وتأثيراتها، والعناصر، وتراكيبها، وكيفية أفعالها والبيان عن قسمة الأزمنة، وفصول السنة، وما لكل فصل من المنازل، والتنازع في المبتدأ به منها، والاستقصاء، وغير ذلك، والرياح، ومهابها، وأفعالها، وتأثيراتها، والأرض، وشكلها، وما قيل في مقدار مساحتها، وعامرها، وغامرها، والنواحي، والآفاق، وما يغلب عليه، وتأثيراتها في سكانها، وما اتصل بذلك.

وذكر الأقاليم السبعة، وقسمتها، وحدودها، وما قيل في طولها، وعرضها، وقسمة الأقاليم على الكواكب السبعة الخمسة، والنيرين، ووصف الإقليم الرابع، وتفضيله على سائر الأقاليم، وما خُصّ به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان، وأطوالها، والأهوية، وتأثيراتها، وغير ذلك.

وذكر البحار، وأعدادها، وما قيل في أطوالها، وأعراضها، واتصالها، وانفصالها، ومصبات عظام الأنهار إليها، وما يحيط بها من الممالك، وغير ذلك من أحوالها.

وذكر الأمم السبع في سالف الأزمان، ولغاتهم، وآرائهم، ومواضع مساكنهم، وما بانّت به كل أمة من غيرها، وما اتصل بذلك ثم نتبع ذلك

بتسمية ملوك الفرس الأولى والطوائف، والساسانية على طبقاتهم، وأعدادهم، ومقدار ما ملكوا من السنين، وملوك اليونانيين، وأعدادهم، ومقدار ملكهم، وملوك الروم على طبقاتهم من الختفاء، وهم الصابثون، والمتنصرة، وعدتهم، وجملة ما ملكوا من السنين، وما كان من الكوائن، والأحداث العظام الديانية، والملوكية في أيامهم، وصفة بنودهم، وحدودها، ومقاديرها، وما يتصل منها بالخليج، وبحري الروم والخزر، وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا.

وذكر الأفدية بين المسلمين والروم إلى هذا الوقت، وتواريخ الأمم، وجامع تاريخ العالم، والأنبياء، والملوك من آدم إلى نبينا محمد ﷺ وحصر ذلك، وما اتصل به، ومعرفة سني الأمم الشمسية، والقمرية، وشهورها، وكبسها، ونسيمها، وغير ذلك من أحوالها، وما اتصل بذلك من التنبيهات على ما تقدم جمعه وتأليفه.

وذكر مولد النبي ﷺ، ومبعثه، وهجرته، وعدد غزواته، وسراياه، وسواربه، وكتابه، ووفاته، الخلفاء بعده، والملوك، وأخلاقهم، وكتابهم، ووزرائهم، وقضاتهم، وحجابه، ونقوش خواتيمهم، وما كان من الحوادث العظيمة الديانية، والملوكية في أيامهم، وحصر تواريخهم إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٣٤٥ للهجرة في خلافة المطيع -

منبهين بذلك على ما قدمنا ذكره من كتبنا، وإنما اقتصرنا في كتابنا هذا على ذكر هذه الممالك لعظم ملك ملوك الفرس، وتقادم أمرهم، واتصال ملكهم، وما كانوا عليه من حسن السياسة، وانتظام التدبير، وعمارة البلاد، والرأفة بالعباد، وانقياد كثير من ملوك العالم إلى طاعتهم، وحملهم إليهم الإتاوة والخراج، وإنهم ملكوا الإقليم الرابع: وهو إقليم بابل أوسط الأرض، وأشرف الأقاليم، وإن مملكتي اليونانيين والروم تتلوان مملكة فارس في العظم،

والعز؛ ولما خصوا به من أنواع الحكم، والفلسفة، والمهن العجيبة، والصنائع البديعة؛ ولأن مملكة الروم إلى وقتنا هذا ثابتة الرسوم متسقة التدبير، وإن كان اليونانيون قد دخلوا في جملة الروم منذ احتلوا على ملكهم كدخول الكلدانيين: وهم السريانيون سكان العراق في جملة الفرس الأولى؛ لغلبتهم عليه فأحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من ذكرهم.

وإن كنا قد ذكرنا سائر الممالك التي على وجه الأرض، وما أزيل منها ودثر، وما هو باقٍ إلى هذا الوقت، وأخبار ملوكهم، وسياستهم وسائر أحوالهم فيما سميناه من كتابنا على أنا نعتذر من سهو أن عرض في تصنيفنا مما لا يسلم منه من لحقته غفلة الإنسانية وسهوة البشرية ثم ما دُفعنا إليه من طول الغربة، وبُعد الدار وتواتر الأسفار طوراً مشرقين وطوراً مغربين كما قال أبو تمام:

خَلِيفَةُ الْخِصْرِ مَنْ يَزْبَعُ عَلَى وَطَنِ فِي بَلَدَةِ فَظْهُورِ الْعَيْسِ أَوْطَانِي
بِالشَّامِ قَوْمِي وَبَغْدَادَ الْهُوَى وَأَنَا بِالسَّرَّقَتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي

وكقوله أيضاً:

فَغَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذَكَرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
خَطُوبَ إِذَا لَا قِيَتَهُنَّ رَدَدَنْسِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكِتَابَا

ونحن آخذون فيما به وعدنا وله قصدنا وبالله نستعين وإياه نسأل التوفيق والتسديد.

ذكر الأفلاك هياتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها

فلنبداً بذكر الفلك الذي نبهنا الله سبحانه عليه، وأشار في نص الكتاب إليه لما فيه من عجائب حكمته، ولطائف قدرته، وخصائص التدبير، وبدائع التركيب التي تدل بعجائب نظمها، وغرائب تأليفها على وحدانية مبدعها، وأزلية منشئها قال الله -جلّ وعزّ:- ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

أي: في دائرة منها يكونون إذ اسم الفلك يدل على الاستدارة في لغة العرب، والفلك السماء قال الله -عز وجل:- ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

قال المسعودي: وقد تنازع الناس في الفلك ممن سلف وخلف فقال أفلاطون، وثامسطيوس، والرواقيون، وعدة ممن تقدم عصر أفلاطون، وتأخر عنه من الفلاسفة: إنه من الطبائع الأربع التي هي الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، إلا أن الغالب عليه النارية، وليست ناريته محرقة؛ إنما هي مثل النار الغريزية في الأبدان.

وقال آخرون: إنه من النار، والهواء، والماء دون الأرض، وذهب أرسطاطليس، وأكثر الفلاسفة ممن تقدم عصره، وتأخر عنه، وغيرهم من حكماء الهند، والفرس، والكلدانيين إلى أنه طبيعة خامسة خارجة عن الطبائع الأربع ليست فيه حرارة، ولا برودة، ولا رطوبة، ولا ييوسة، وأنه جسم مدور كروي أجوف يدور على محورين، وهما القطبان:

أحدهما: رأس السرطان، ومنتهى بنات نعش من تلقاء نقطة الجنوب.

والآخر: رأس الجدي، وفيه كواكب مثل: بنات نعش من تلقاء نقطة الشمال، وخط الاستواء في وسط الفلك، وهو خط ما بين الشمال والجنوب، وأوسع موضع فيه نقطة المشرق إلى نقطة المغرب.

وهو منقسم بأربعة أرباع: كل ربع منها تسعون درجة على خطين يتقاطعان على مركزه، وهو موضع الأرض منه أحد الربعين، وهو أحد القطبين نقطة الشمال، ويزائره نقطة الجنوب، والربع الثالث نقطة المشرق ويزائرها نقطة المغرب، وهو يدور دوراً طبعياً دائماً، وبدورانه ودوران الكواكب التي فيه تنفعل الكيفيات، وانبسطت الأركان الأربعة، وهي: النار، والماء، والهواء، والأرض، فيتصل ركنان منهما وهما النار والهواء بالعلو وركنان منها وهما الماء والأرض بالسفل، ثم تتحرك هذه الكيفيات بتحرك الجواهر العلوية والأجسام السماوية على حسب مداراتها ومسيرها وحركاتها وتأثيراتها؛ فيتحرك الركنان الأعلىان بتحرك الكيفيات والركنان الأسفلان بتحرك الركنين الأعلىين، وتهب بذلك الرياح الاثنتا عشرة؛ فتنشئ السحاب، وينزل القطر، ويتصل بذلك الآثار العلوية.

ويتصل بالآثار العلوية الآثار السفلية الموجودة في الحيوان، والنبات البري والهجري، وفي الجواهر، والمعدن حتى يكون التدبير في جميع هذه العوالم متسقاً مطرداً متصلاً بعضه ببعض بالفعل كما مناً بعضه في بعض بالقوة حتى تظهر آثار الصناعة، وأمارات الحكمة، ودلائل الربوبية، وترتبط المعلولات بعلمها، وتشهد للصانع بصنعه، وبدائع حكمته وجعل - عز وجل - الفلك الأعلى: وهو فلك الاستواء، وما يشتمل عليه من طبائع التدوير فأولها كرة الأرض يحيط بها فلك القمر، ويحيط بفلك القمر فلك عطارد، وبفلك عطارد فلك الزهرة، وبفلك الزهرة فلك الشمس، وبفلك الشمس فلك المريخ، وبفلك المريخ فلك المشتري، وبفلك المشتري فلك زحل، وبفلك زحل فلك

الكواكب الثابتة، وبفلك الكواكب الثابتة فلك البروج، وبفلك البروج فلك الاستواء، وهو المحيط بها، والمحرك لها.

ومن ذوي المعرفة بعلم الأفلاك، والنجوم من يعد فلك الاستواء، وفلك البروج الثابتة فلكًا واحدًا؛ لما يُرى من تجاذبهما، واتفاق أقطارهما، ومراكزهما، والأرض في وسط الجميع مركز له كالنقطة في وسط الدائرة، والفلك متجافٍ عنها من حيث ما أحاط بها بمثل ما كان وجهها الذي يكون عليها؛ حيثما كانت، وهو أعلى الفلك على سمت رأسك فذلك نصف قطر الفلك، إلا ما أخذ منه نصف قطر الأرض، وهو يدور عليها من المشرق إلى المغرب على أوسع موضع فيه على نقطتين وهميتين متقابلتين في جنبي كرته: أحدهما القطب الشمالي، وهو على شمال مستقبل المشرق، والثانية: القطب الجنوبي، وهو على يمين مستدبر المغرب، ويمسيان المحورين تشبيهاً بقطب الرحي.

ولهذا الفلك نطاق يفصل كرته في متوسط ما بين قطبيه، ويفصل محاذاته كرة الأرض بنصفين، وهذا النطاق يسمى فلك معدل النهار؛ لاستواء الليل والنهار فيه.

ويسمى الفلك المستقيم؛ لاستواء مطالعه ومغاريه، واستقامة مدرجه في أرباع الفلك، وما بينها على نظام واحد، وكل جزء من أجزاء هذا النطاق وإن اتسع فإنه كيفما انحدر في بسيط الكرة إلى محورين قلَّ عرضه، ودقَّ حتى تجتمع أجزاء الفلك كلها من فوق الأرض وتحتها في نقطة المحور.

ومن كان تحت هذا النطاق فإنه ينظر المحورين يطوفان على أفق الموضع، والفلك يدور متصبًا فوق رأسه، وأكثر هذه الأفلاك مسيرها من المشرق إلى المغرب موافقة في مسيرها لسير الفلك الأعلى، ومنها ما يكون مسيره موافقًا لمسير الكواكب من المغرب إلى المشرق فما كان من الفلك آخذًا من الشمال إلى

الجنوب سُمِّي العرض، وما كان آخذًا من المغرب إلى المشرق سُمِّي الطول، والأرض من الفلك بمنزلة النقطة من الدائرة بعدها من كل نقطة من النقط الأربع التي ينقسم الفلك عليها بعد واحد.

ومن مراكزها إلى كل نقطة تسعون درجة، وقطر الدائرة مائة وثمانون درجة، وهي تنقسم في نفسها مثل هذه الأربع نقط من الشمال، والجنوب، والمشرق، والمغرب، إلا أنها غير ذات نسبة من الفلك كما إن الفلك لا نسبة له من الدوائر.

والجرم الذي من نهاية حضيض فلك القمر إلى نهاية العالم في العلو طبيعة خامسة ليست بحارة، ولا باردة، ولا رطبة، ولا يابسة، ولا مركبة من شيء من هذه الطبائع الأربع، وهذا الجسم هو الجسم الفلكي، ونهايته مما يلينا أعني كصورة باطن كرة، والعناصر أربعة: نار، وهواء، وماء، وأرض:

فائنان من هذه العناصر حاران: وهما النار، والهواء، وهما يتحركان بطبعهما صُعْدًا إلا أن أسبقهما إلى العلو النار، فهي طافية على الهواء، والنار يابسة، والهواء رطب.

واثنان باردان: وهما الماء، والأرض، وهما يتحركان بطبعهما سفلاً عند حركتهما إلا أن أسبقهما إلى السفل الأرض، والأرض يابسة، والماء رطب فقد حصل بما ذكرنا أن الحرارة تفعل الحركة صُعْدًا، وأن البرد يفعل الحركة سفلاً، وأن اليبس يفعل السبق إلى الموضع الأخص بكل واحد منهما، وأن الرطوبة تفعل الثقل في الحركة فما كانت حركته صُعْدًا؛ سموه خفيفًا، وما كانت حركته سفلاً؛ سموه ثقیلاً، وأنه لا فراغ في جرم العالم، وأن الأجسام إذا حيت احتاجت إلى مواضع أوسع من المواضع التي كانت فيها فما تحدثه الحرارة فيها من تباعد نهاياتها عن مركزها، وإنها إذا بردت صارت بضد ذلك؛ لأن البرد

يفعل تقارب نهايات الأجسام من مركزها؛ فتحتاج إلى مواضع أصغر من مواضعها، وأن الحرارة، والبرودة تتبادل المواضع.

فإذا كان ظاهر الأرض حارًا كان باطنها باردًا على ما تكون عليه السرايب، وغيرها من أعماق الأرض، وأغوارها في نهار الصيف من البرد، وإذا كان ظاهرها باردًا كان باطنها حارًا على ما عليه السرايب، وغيرها في ليالي الشتاء.

وأن الحرارة ترفع من كل جسم رطب لطيفة أولاً حتى تجف أرضيته فيتحجر أو تفنى جملته، وأن الشمس إذا كان مسيرها في الميل الشمالي عن معدل النهار حيي الهواء في ناحية الشمال، ويرد الهواء الجنوبي فيجب من ذلك أن ينقبض الهواء الجنوبي، ويحتاج إلى موضع أصغر، ويتسع الهواء الشمالي، ويحتاج إلى موضع أوسع إذ لا فراغ في العالم فبالواجب أن يكون أكثر رياح الصيف، عند من هو في ناحية الشمال شمالية؛ لأن الهواء من عندهم يتحرك إلى ناحية الجنوب إذ ليس الريح شيئاً غير حركة الهواء، وتوجهه.

وكذلك يجب أن يكون أكثر رياح الشتاء جنوبية لتحرك الهواء إلى ناحية الشمال لمسير الشمس في الشتاء في الميل الجنوبي، وما أبين للحس مسار الشمس في الشتاء في الجنوب، وفي الصيف في الشمال!! لما نراه في الشتاء من طول ظلال المظلات، وبُعد جرم الشمس في سمت رءوسنا من خط نصف النهار.

قال المسعودي: وفيما ذكرنا من قسمة الأقاليم، وتراكيبها، وما يلينا من الكواكب النيرين، والخمسة تنازع بين الأسلاف، والأخلاف من ذلك ما ذكره أبطيموس القلوذي في كتاب المجسطي، وفي كتابه في الهيئة:

إنه لم يظهر له أن الزهرة، وعطارد فوق الشمس أو دونها، وحكى بحسب النحوي وهو المعروف بالحريص الإسكندراني في كتابه الذي دلّ فيه على أن

العالم محدث، ونقضه لكتاب برقلس في قدمه، ورده على أفلاطون وأرسطاطاليس وأفلوطين، وغيرهم من القائلين بقدمه:

إن أفلاطون كان يزعم أن فلك القمر أدنى الأفلاك إلينا وفلك الشمس يليه ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم كذلك على ما رتبها الباقون، وقد ذكرنا في ما سلف من كتبنا السالفة تنازع الفلاسفة وغيرهم من حكماء الأمم في هيئة الأفلاك وتراكيبها والنجوم وتأثيراتها في هذا العالم الأرضي وما يمين العالم وما شماله وما خلفه وأمامه وتحتة وفوقه؟

وما ذكره أرسطاطاليس في المقالة الثانية من كتاب "السماء والعالم عن شيعة فوثاغورس" في ذلك وما ذهب إليه من أن للسماء يميناً وشمالاً وإماماً وخلفاً وفوقاً وأسفل؛ فيمنه السماء الجهة المشرقية ويسرتها المغربية وأعلاها القطب الجنوبي، وهو فوق القطب الشمالي وهو أسفل وما اتصل بذلك.

قال المسعودي: وأكثر من نشاهد من فلكية زماننا ومنجمي عصرنا مقتصرون على معرفة الأحكام تاركون للنظر في علم الهيئة ذاهبون عنا، وصناعة التنجيم التي هي جزء من أجزاء الرياضات وتسمى باليونانية الاصطرونوميا تنقسم قسمة أولية على قسمين:

أحدهما: العلم بهيئة الأفلاك وتراكيبها ونصبها وتأليفها. والثاني: العلم بما يتأثر عن الفلك فليس العلم الثاني، وهو العلم بتأثيرات الفلك، وما يوجب من الأحكام مستغن عن العلم الأول الذي هو علم الهيئة إذ التأثيرات، واقعة بالحركات، وتبدل الأحوال، وإذا وقع الجهل بالحركات؛ وقع الجهل بالتأثيرات فإذا ذكرنا جهلاً وجوامع من علوم هيئة الأفلاك، والنجوم فلنذكر الآن الكلام في جمل من أقسام الزمان، وفصوله، والسنين، والشهور، والأيام، وطبائعها، والاستقصات، ومرور الشمس في فلكها، وقطعها لبروجها وما تحدثه في كل فصل وما لحق بذلك.

ذكر البيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة وما لكل
فصل من المنازل والتنازع في المبتدأ به منها
والاستقصات وما اتصل بذلك

الأزمنة أربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء.

فالزمان الأول الربيع: وهو طبيعة الدم حار رطب مدته ثلاثة وتسعون يومًا، وثلاث وعشرون ساعة، وربع ساعة، وذلك من عشر تبقى من آذار إلى ثلاثة وعشرين يومًا تخلو من حَزيران، وهو من نزول الشمس أول دقيقة من الحمل، وهو الاستواء الربيعي إلى دخولها أول دقيقة من السرطان، وهو المنقلب الصيفي.

والزمان الثاني الصيف: وهو حار يابس سلطانه المرة الصفراء مدته اثنان وتسعون يومًا، وثلاث وعشرون ساعة، وثُلث ساعة، وذلك من ثلاثة وعشرين يومًا تمضي من حَزيران إلى أربعة وعشرين تمضي من أيلول، وهو من دخول الشمس أول دقيقة من السرطان إلى دخولها أول دقيقة من الميزان.

والزمان الثالث الخريف: وهو بارد يابس سلطانه المرة السوداء مدته: ثمانية وثمانون يومًا، وسبع عشرة ساعة، وثُلث وخمسة ساعة، وذلك من أربعة وعشرين تمضي من أيلول إلى اثنين وعشرين يومًا خلون من كانون الأول، وذلك من نزول الشمس أول دقيقة من الميزان، وهو الاستواء الخريفي إلى نزولها أول دقيقة من الجدي، وهو المنقلب الشتوي.

والزمان الرابع الشتاء: هو بارد رطب سلطانه البلغم مدته: تسعة وثمانون يومًا، وأربع عشرة ساعة من تسع تبقى من كانون الأول إلى أحد وعشرين يومًا تخلو من آذار، وذلك من دخول الشمس أول دقيقة من الجدي إلى نزولها

أول دقيقة من الحمل فانقسام فصول السنة بالأزمان الأربعة إنما هو بحركة الشمس في الجملة.

قال المسعودي: فقد تبين بما ذكرنا أن مدة زمان الربيع مسير الشمس في ثلاثة أبراج وهي؛ الحمل، والثور، والجوزاء، ومدة زمان الصيف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي؛ السرطان، والأسد، والسنبلة، ومدة زمان الخريف مسير الشمس في ثلاثة أبراج هي؛ الجدي، والدلو، والحوت.

فأعجب، وأنقن اشتباك أمر العالم بعضه ببعض نظمه أنا إذا خرجنا من ربيع الصيف إلى ربيع الخريف؛ فإننا نخرج من ربيع حار يابس إلى ربيع بارد يابس فاختلف الربعان في الحر، والبرد، واتفقا في اليبس، وإذا خرجنا من ربيع الخريف إلى ربيع الشتاء خرجنا من ربيع بارد يابس إلى ربيع بارد رطب، فاختلفا في اليبس، واتفقا في البرد، وإذا خرجنا من ربيع الشتاء إلى ربيع الربيع خرجنا من ربيع بارد رطب إلى ربيع حار رطب؛ فاختلفا في الحر، واتفقا في الرطوبة.

فقد تبين أنا لم نخرج من ربيع حار رطب إلى ربيع بارد يابس ولا من ربيع بارد رطب إلى ربيع حار يابس فتأمل حكمة البارئ - جل وعز - في نظمه الاستقصات الأربعة في العالم السفلي - أعني الأرض والماء، والهواء، والنار - فإنك تجدها على هذا الترتيب مؤلفة تجدد الأرض: وهي باردة يابسة، ثم الماء: وهو بارد رطب، ثم الهواء: وهو حار رطب، ثم النار: وهي حارة يابسة.

فالماء الذي يلي الأرض يوافقها في البرودة، ويختلفان في الرطوبة، واليبس، والهواء الذي يلي الماء يوافقه في الرطوبة، ويختلفان في الحر، والبرد؛ النار التي تلي الهواء توافقه في الحر، ويختلفان في اليبس، والرطوبة، وكذلك أيضًا الزمان فإنه مقسوم بأربعة أقسام: فقسم ربيعي دموئي هوائي، وقسم صيفي صفراوي ناري، وقسم خريفي سوداوي أرضي، وقسم شتائي بلغمي مائي فسبحان من

دبر الأمور بحكمته وأتقنها بقدرته فلا يوجد فيها خلل، ولا يبين فيها زلل إذ كان الإهمال لا يأتي بالصواب، والتضاد لا يأتي بالنظام!!

وقد شبه أبطليموس فصل الربيع بفصل الطفولية، وفصل الصيف بالشباب، والخريف بالكهولة، والشتاء بالشيخوخة.

وقد تنازع من تقدم وتأخر من حكماء الأمم وفلاسفتهم في المبتدأ به من فصول السنة، ومدخلها، وأوائلها، ومددها: فمنهم من اختار تقديم الفصل الربيعي وصيّره أول السنة؛ لأنه الوقت الذي يتدبّر النهار فيه بالزيادة، وأنه مع ذلك رطب، والرطوبة وليّة بأن تكون ابتداء الأشياء الكائنة.

ومنهم: من اختار تقديم الانقلاب الصيفي؛ لأنه الوقت الذي فيه كمال طول النهار، وأنّ مدّ النيل بمصر فيه يكون، وفيه تطلع الشعري اليمانية التي تقطع المساء عرضاً.

ومنهم: من اختار تقديم الاعتدال الخريفي؛ لأن جميع الثمار فيه تستكمل، والبذور فيه تبذر، وإنما سُمّي الخريف؛ لأن الثمار تُخترَف فيه أي تُجتنى، والعرب تسميه الوسمى بالمطر الذي يكون فيه، وذلك أن أول المطر يقع على الأرض، وهي بعيدة العهد بالرطوبة، وقد يبست بالصيف فتسميه بهذا الاسم؛ لأنه يسم الأرض، وهم يتدبّرون من الأزمان بهذا الفصل؛ لأن المطر الذي به عيشهم فيه يتدبّر:

ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي؛ لأن النهار فيه يتدبّر باسترداد ما نقص منه والازدياد في طوله وقد ذكر أبطليموس القلوذي في كتابه المعروف بالأربع مقالات، وفي كتابه في الأنواء الذي ذكر فيه أحوال أيام السنة كلها، وما يحدث فيها من طلوع الكواكب، وغروبها، فإذا ذكرنا الأخبار عن قسمة الأزمنة، وفصول السنة، وما اتصل بذلك فلنذكر الرياح، ومهابها وما لحق بذلك.

ذكر الرياح الأربع ومهابها وأفعالها وتأثيراتها وما اتصل بذلك
من تقرّظ مصر والتنبيه على فضله وما شرفت به على غيرها

تنازع الناس في الرياح الأربع ومهابها، وطباعها فقال فريق منهم:

الرياح أربع؛ شمال، وجنوب، و صبا، ودبور الصبا من المشرق، والدبور
من المغرب، والشمال من تحت جدي الفرقدين، والجنوب من تحت جدي
سهيل فالشمال باردة يابسة، وهي ما هب من ناحية الجربى هو الشمال،
وأشكالها من البروج، والكواكب، والأمهات، وما يشاكل ذلك، ويضاف إلى
البرد، واليبس، والجنوب حارة رطبة، وهي التي تهب من القبلة، وأشكالها كما
وصفت مما يضاف إلى الحرارة، والرطوبة.

والدبور: باردة رطبة، وهي التي تهب من المغرب، وكذلك أشكالها.

والصبا: حارة يابسة وهي التي تهب من المشرق، وأشكالها مما هو مضاف
إلى الحرارة، واليبوسة.

قال المسعودي: وذهب فريق آخر من حكماء الأمم من العرب، وغيرهم
إلى أن الصبا هي القبول، وهي ما هب من مطلع الشمس، والدبور التي تهب
من المغرب من دبر من استقبل الشرق؛ فلذلك سميت الدبور، والشمال التي
تهب عن شمالك إذا استقبلت المشرق، والجنوب التي تهب عن يمينك إذا
استقبلت المشرق وقد ذكرت العرب ذلك في أشعارها قال أبو صخر الهذلي:
إذا قلت هذا حين أسلو يهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وقال هذبة العذري وهو يومئذ بالمدينة مسجوناً:

ألا ليت الرياح مسخرات بحاجتنا بُـاكر وتُـسـوـب

فتخبرنا الشمال إذا أتتنا وتخبر أهلنا عنا الجنوب

وقال آخر:

أنا نسيم من صبا بتحيةة فحملت مثلها نسيم الدبور

قال المسعودي: والرياح محدودة بحسب الآفاق تكون الآفاق اثني عشر أفقًا، والرياح كذلك فالشمال بالحقيقة: هي التي تجيء من القطب الظاهر. والجنوب: من القطب الخفي، والصبا من مشرق الاعتدال.

والدبور: من مغرب الاعتدال؛ إلا أن الناس لما لم يبين لهم في رأي العين تحديد هذه؛ نسبوا كل ريح تأتي من ناحية المشرق سواء كان من مشرق الاعتدال أو من مشرق الصيفي أو الشتوي أو ما بينهما بعد أن تكون من المشرق إلى الصبا، وكذلك فعلوا في الدبور؛ واجتذوا ذلك في الشمال فسموا كل ريح تأتي من جانب القطب الظاهر، وما يليه من جانيبه الشمال، وكذلك فعلوا بالجنوب أيضًا. فأما الريح التي تسمى ببلاد مصر المريسيّة مضافة إلى بلاد مريس من أوائل أرض النوبة في أعالي النيل، وهو صعيد مصر، فهي باردة تقطع الغيوم، وتصفى الهواء، وتقوي حرارة الأبدان، وما يهب من أسفل النيل من الريح، ويسمى أسفل الأرض: فهي شمال وتفعل أضداد هذه الأفعال من مختير الأبدان، وأهل مصر يسمونها البحرية، وتداومها في الصيف يطيب هواءهم، ويبرد ماءهم في الليل، والنهار؛ فقد تفعل ذلك الريح الغربية في هذا الفصل إلا أن الأغلب في ذلك الشمال، ويقع الوباء إذا دامت المريسيّة بمصر ثم يقع الوباء بالعراق إذا دامت الريح في أيام البوارح.

والشمال عندنا ببغداد تهب من أعالي دجلة مما يلي سر من رأي. وتكررت، وبلاد الموصل فتقطع السحاب، وأيام هبوب المريسية بمصر مقابلة لأيام البوارح ببغداد؛ لأن المريسية تهب بمصر في كانون الأول، وهو كيهك

بالقبطية، والبوراح بالعراق تهب في حزيران، واجنوب ببغداد تهب من أسفل دجلة مما يلي بلاد واسط، والبصرة فتثور دجلة، وتكثر الغيوم، والأمطار.

والبوارح: تدوم أربعين يوماً، والمريسية أربعين، والهرمان العظيمان اللذان في الجانب الغربي من فسطاط مصر، وهما من عجائب بنيان العالم، كل واحد منهما أربع مائة ذارع في سمك، مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع، كل ركن من أركانها يقابل ريحا منها، فأعظمها فيهما تأثيرا: الجنوب، وهي المريسى بتسيفها الركن المقابل لها منها، وأحد هذين الهرمين قبر أغاثديمون، والآخر قبر هرمس، وبينهما نحو من ألف سنة أغاثديمون المتقدم، وكان سكان مصر: وهم الأقباط يعتقدون نبوتهم قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجه رأي الصابئين في النبوات لا على طريق الوحي؛ بل هم عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذب من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فأخبروا عن الكائنات قبل كونها، وعن سرائر العالم وغير ذلك مما يطول وصفه، ولا تحتل كثير من النفوس شرحه.

وفي العرب من اليمانية من يرى أنها قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم الدهر، وهم العرب العاربة من العماليق وغيرهم، وقد أتينا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" على أخبار سائر أهرام مصر وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور أجساد طاهرة، وأخبار البرابي التي بسائر بلاد مصر، وهي بيوت عبادتهم للكواكب السبعة النيرين والخمسة وغيرها من الجواهر العقلية، والأجسام السماوية التي هي وسائط بين العلة الأولى وبين الخلق وغير ذلك من أخبار مصر وعجائبها وما خصت به من الفضائل التي لا يشرك أهلها فيها غيرهم من أهل البلدان، هي محدودة على تخوم إفريقية وأرض السودان وبحر الحجاز وبحر الشام، وهي البرزخ بين البحرين المذكورين في القرآن؛ لأن من الفرما

التي على ساحل بحر الروم إلى القلزم التي هي ساحل بحر الصين مسيرة ليلة يحمل إليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين من أنواع الأمتعة والظرائف، والتحف من الطيب، والأفاويه، والعقاقير، والجوهر، والرقيق، وغير ذلك من صنوف المأكّل والمشارب والملابس، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها، ونيلها العجيب أمره الشريف قدره يمد إذا حسرت مياه الأمطار، ويحسر إذا مدت يأتيا في وقت الحاجة إلى منفعتيه فيبدأ مخضرا، ثم محمرا، ثم كدرا، ثم يتدافع بأمواله ويتراعى بسيوله فتكون زيادته في اليوم الإصبع والإصبعين وأكثر، فإذا تناهى مده يغشى الأرض، وصارت القرى كالنجوم فوق الروابي والتلال، والمراكب تجري بأهلها في حاجاتهم من بعض إلى بعض، قد أعد قبل ذلك من أقواتهم، وعلوفة حيوانهم ما يكفيهم إلى حسوره عنهم وإبان زراعتهم. فدهرها من أربع صفات: فضة بيضاء، أو مسكة سوداء، أو زبرجدة خضراء، أو ذهبية صفراء، وذلك أن نيلها يطبقها فتصير كأنها فضة بيضاء، ثم ينضب عنها فتصير مسكة سوداء، ثم تزدرع فيصير زرعها زبرجدة خضراء، ثم يستحصد زرعها ويصفر فتصير ذهبية صفراء.

وكورها نيف وثمانون كورة ليس منها كورة إلا وفيها ظريفة أو عجيبة لا تكون في غيرها تنسب إلى تلك الكورة، وتعرف بها، لك كورة منها مدينة، وقد ورد التنزيل بذلك بقوله عز وجل عند ذكر قصة موسى وفرعون: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١١] لا مدينة منها إلا وفيها: عجائب البنيان بالصخور، والمرمر، والبلاط، وعمد الرخام، التي لا يوجد مثلها في غيرها من البلدان تؤتي هذه للندن، والكور كلها في الماء، ويحمل ما يكون بها من الطعام والأمتعة إلى فسطاطها، تحمل السفينة الواحدة حمل مائة بعير وأقل وأكثر، وهي حجازية شامية جبلية.

أما صعيدها وهو أعلاها: فأرض حجازية حرها كحر الحجاز، تنبت

أنواع النخيل الكبير، والأراك، والدوم، والقرظ، والهلبلج، والفلفل، والخيار شنبّر. وأما أسفلها: فشامي يمطر وينبت ثمار الشام من: الكروم، واللوز، والجوز، وسائر الفواكه، والبقول، والرياحين.

وأما ناحية الإسكندرية ولوبية والمراقية: فبراري وجبال غياض، وزيتون، وكروم جبلية بحرية، بلاد غسل ولبن ويذكر أهلها أنهم أكثر الناس قنّدا وشهدا وعبدا ونقدا وصوفا وبغالا وحميرا وخيلا عتاقا، ونبذ العسل الذي لا يفي به شراب ودق تنيس، ودمياط الذي لا يضاهيه دق، ومعدن التبر، والزمرد الثمين الذي لا يوجد إلا بها والقراطيس، ودهن البلسان، وزيت الفجل، والقمح اليوسفي، وهو أعظم القمح حبّا، وأطولهُ شكلاً، وأثقله وزناً، وطرز البهنّسا، وأسيوط، وأخميم، ومن نواحي معادنها تحمل الرزافة الكركدن وعناق الأرض، وإن وفاء خراجها ستة عشر ذراعاً، فإن زاد في النيل ذراعاً زاد في الخراج مائة ألف دينار بما يروى من الأعالي، فإن زاد ذراعاً أخرى نقص من الخراج مثلها؛ لما يستجر من البطون والأسافل والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ أنه إن زاد على الستة عشر ذراعاً أو نقص عنها نقص من خراج السلطان.

قالوا: وجميع البلدان في سائر النواحي والآفاق إنما تعيش بالأمطار، وتهلك بإبطائها عنها، ومصر مستغنية عن المطر غير مرتاحة ولا محتاجة إليه، وسائر أنواع الفواكه والثمار، وكثير من الحيوان والألبان لها في جميع البلدان أزمنة وأوقات لا توجد إلا فيها، ولا تكون إلا معها، وذلك بمصر موجود غير معدوم في سائر فصول السنة، وغير ذلك من فضائلها وخصائصها، فإذا قد ذكرنا الرياح ومهابها وما اتصل بذلك فلنذكر الأرض وشكلها ومساحتها والنواحي والآفاق وغير ذلك.

ذكر الأرض وشكلها وما قيل في مقدار مساحتها
وعامرها وغامرها والنواحي والآفاق وما يغلب عليها
وتأثيرها في سكانها وما اتصل بذلك

قسم الله تبارك وتعالى الأرض قسمين: مشرقا، ومغربا، فصار المشرق واليمن وهو: الجنوب جوهرًا واحدًا؛ لغلبة الحرارة عليهما، وصارت جهة المغرب والجربي وهو: الشمال جوهرًا واحدًا؛ لغلبة البرودة عليهما، وشدتها فيهما؛ وذلك لبعد الشمس من ناحية الجربي؛ لأن المحور على تلك الناحية، وهي أشدهما ارتفاعًا فمن أجل ذلك صار الجربي باردا رطبا، وصار المغرب أقل بردا من الجربي وأكثر يسنا لانحطاط الفلك هناك. وهاتان الجهتان المشرق واليمن بخلاف ذلك؛ لدنو الشمس منهما.

والعالم أربعة أرباع:

فالربع الشرقي: وهو ما تسافل عن خط الجنوب والشمال إلى المشرق فهو ربع مذكر يدل على طول الأعمار وطول مدد الملك والتذكير وعزة الأنفس وقلة كتمان السر، وإظهار الأمور والمباهاة بها، وما خلق بذلك؛ وذلك لطباع الشمس وعلمهم الأخبار والتواريخ والسير والسياسات والنجوم.

وأما أهل الربع الغربي: فإن الغالب عليه التأنيث إلا ما استولت عليه الكواكب المذكورة كما يغلب التذكير على المشرق إلا ما غلبته عليه الكواكب المؤنثة، وأهله أهل كتمان للسر وتدين وتأله وكثرة انقياد إلى الآراء والنحل وما لحق بهذه المعاني إذ كان من قسم القمر.

وأما أهل الربع الشمالي: وهم الذين بعدت الشمس عن سمتهم من الوغلين في الشمال كالصقالبة والإفرنجة ومن جاورهم من الأمم، فإن سلطان الشمس ضعف عندهم؛ لبعدهم عنها، فغلب على نواحيهم: البرد والرطوبة،

وتواترت الثلوج عندهم والجليد؛ فقل مزاج الحرارة فيهم، فعظمت أجسامهم، وجفت طبائعهم، وتوعرت أخلاقهم وتبلدت أفهامهم، وثقلت ألسنتهم، وابتضت ألوانهم حتى أفرطت فخرجت من البياض إلى الزرقة، ورقت جلودهم وغلظت لحومهم وازرقت أعينهم أيضًا، فلم تخرج من طبع ألوانهم وسبقت شعورهم، وصارت صهبًا لغلبة البخار الرطب، ولم يكن في مذاهبهم متانة؛ وذلك لطباع البرد وعدم الحرارة، ومن كان منهم أوغل في الشمال فالغالب عليه الغباوة والجفاء والبهاشية وتزايد ذلك فيهم في الأبعد فالأبعد إلى الشمال، وكذلك من كان من الترك وأغلا في الشمال؛ فلبعدهم من مدار الشمس في حال طلوعها وغروبها كثرت الثلوج فيهم وغلبت البرودة والرطوبة على مساكنهم فاستخرت أجسامهم، وغلظت ولانت فقارات ظهورهم، وخرز أعناقهم حتى تأتي لهم الرمي بالنشاب في كرههم وفرهم، وغارت مفاصلهم لكثرة لحومهم فاستدارت وجوههم، وصغرت أعينهم لاجتماع الحرارة في الوجه، حين تمكنت البرودة من أجسادهم إذ كان المزاج البارد يولد دما كثيرا، واحمرت ألوانهم إذ كان من شأن البرودة جمع الحرارة وإظهارها، وإما من كان خارجا عن هذا العرض إلى نيف وستين ميلا يأجوج ومأجوج وهم في الإقليم السادس؛ فإنهم في عداد البهائم.

وأما أهل الربع الجنوبي، كالزنج وسائر الأحابش، والذين كانوا تحت خط الاستواء وتحت مسامته الشمس؛ فإنهم بخلاف تلك الحال من التهاب الحرارة وقلة الرطوبة فاسودت ألوانهم واحمرت أعينهم وتوحشت نفوسهم؛ وذلك لالتهاب هوائهم وإفراط الأرحام في نضجهم حتى احترقت ألوانهم وتفلقت شعورهم؛ لغلبة البخار الحار اليابس، وكذلك الشعور السبطة إذا قربت من حرارة النار دخلها الانقباض ثم الانضمام ثم الانعقاد على قدر قربها من الحرارة وبعدها عنها.

والأرض قسمان على ما قدمنا:

أحدهما مسكون: والعامر المسكون منهما على قسمين: أحدهما مفرط الحر: وهو ما كان من جهة الجنوب؛ لأن الشمس تقرب منه فيلتهب هواؤه. والآخر الشمال: وهو مفرط البرد؛ لبعد الشمس عنه، وأما المشرق والمغرب فمعتدلان وإن كان فضل المشرق أظهر واعتداله أشهر.

وأما الذي ليس بمسكون فعلى قسمين أيضًا: إما أن يفرط فيه البرد؛ ببعد الشمس عنه أو يفرط فيه الحر؛ لقربها منه، فلا يتركب هناك حيوان ولا ينبت نبات؛ فالموضع الذي بعده في الشمال عن خط معدل النهار ستا وستين درجة، لا يمكن أن يكون فيه، نشوء؛ لإفراط البرد عليه، لبعد الشمس عنه، وأن ما كان عرضه ستة وستين جزءًا وتسع دقائق، تكون السنة فيه يومًا وليلة ستة أشهر نهارًا لا ليل فيه وستة أشهر ليل لا نهار فيه يبطل نهاره في الشتاء وليله في الصيف، والموضع الذي بعده في الجنوب عن خط معدل النهار تسع عشرة درجة، لا يمكن أيضًا أن يكون فيه نشوء لإفراط الحر فيه؛ لقرب الشمس منه.

قال المسعودي: فأما أبظليموس فإن أقصى ما وجد عنده من العمارة في جهة الشمال الجزيرة المعروفة بثولي في أقصى بحر المغرب من الجهة الشمالية، وأن عرضها من معدل النهار في الشمال ثلاثة وستون جزءًا، وحكاه أيضًا عن مارينوس فيما ذهب إليه في حدود المعمور من الأرض، وذهب أبظليموس إلى أن نهاية العمارة في جهة الجنوبي تحت الموازي الذي بعده من معدل النهار ستة عشر جزءًا وخمس وثلاثون دقيقة وربع وسدس وذهب قوم إلى أن الموضع الذي لا يمكن أن يكون فيه عمارة عرضه في الجنوب أحد وعشرون جزءًا وخمس وثلاثون دقيقة، وإلى هذا ذهب يعقوب بن إسحاق الكندي في كتابه في رسم المعمور من الأرض، وسواء قيل عرض الموضع، أو قيل بعده عن خط الاستواء، أو قيل ارتفاع القطب عليه فمقداره نهاية العمارة في الشمال إلى

نهايتها في الجنوب ثمانون جزءاً يكون ذلك عند هؤلاء من الأميال خمسة آلاف ميل، وأقل من أربعائة ميل، وأقصى العمران في المشرق أقصى حدود بلاد الصين والسيلي إلى أن ينتهي ذلك على ردم يأجوج ومأجوج الذي بناه الإسكندر دافعاً ليأجوج ومأجوج عن الفساد في الأرض، والجبل الذي وراءه ووقع في فجّه الردم منه كان مخرجهم بدوّه خارج العمران في الإقليم السابع طرف مبدئه مستقبل المشرق، ثم ينعطف إلى ناحية الجنوب، ويستقيم ممره طولاً إلى أن ينتهي إلى بحر أوقيانس المظلم المحيط، فيتصل به، وأقصى عمران المغرب ينتهي إلى بحر أوقيانس المحيط أيضاً. وكذلك ينتهي أقصى عمران الشمال إلى هذا البحر أيضاً. وأقصى عمران الجنوب ينتهي إلى خط الاستواء، الذي يكون الليل والنهار فيه سواء أبداً، وجزيرة سرنديب من البحر الصيني على هذا الخط أيضاً.

قال المسعودي: وذكر من عني بمساحة الأرض وشكلها أن تدويرها يكون بالتقريب أربعة وعشرين ألف ميل؛ وذلك تدويرها مع المياه والبحار فإن المياه مستديرة مع الأرض وحدهما واحد، فكلما نقص من استدارة الأرض وطولها وعرضها شيء تم باستدارة الماء وطوله وعرضه؛ وذلك أنهم نظروا إلى مدينتين في خط واحد إحداهما أقل عرضاً من الأخرى، وهما: الكوفة، ومدينة السلام. فأخذوا عرضيهما فنقصوا الأقل من الأكثر، ثم قسموا ما بقي على عدد الأميال التي بينهما، فكان نصيب الدرجة مما يحاذيها من أجزاء الأرض المستديرة ستة وستين ميلاً وثلاثي ميل على ما ذكر أبطليموس، فإذا ضربوا ذلك في جميع درج الفلك التي هي ثلاثمائة وستون درجة كان ذلك أربعة وعشرين ألف ميل، وكان قطرها الذي هو طولها وعرضها وغلظها سبعة آلاف ميل وستمائة وسبعة وستين ميلاً.

والميل: أربعة آلاف ذراع بالسوداء وهو الذراع الذي وضعه المأمون للذراع

التياب ومساحة البناء وقسمة المنازل.

والذراع: أربع وعشرون إصبعا. والإصبع: ست شعيرات مضموم بعضها على بعض. والفرسخ: بهذا الميل ثلاثة أميال، ومنهم من يجعل الميل ثلاثة آلاف ذراع، والفرسخ أربعة أميال وكلاهما يثولان إلى شيء واحد.

وفيا ذكرناه من مقدار حصة الدرجة من الأميال تنازع، فمنهم من رأى أن ذلك سبعة وثمانون ميلاً، ومنهم من رأى ذلك ستة وخمسين ميلاً وثلاثي ميل والمعول في ذلك على ما حكيناه عن أبطليموس.

والأرض من أربعة جواهر من: الرمل، والطين، والأحجار، والأملاح، وجوفها أطباق يتخرق فيها الهواء ويمجول فيها الماء مواصلاً لها كمواصلة الدم للجسد، فما غلب عليه الهواء من الماء كان عذباً شروباً، وما امتنع الهواء من التمكن منه وغلبت عليه أملاح الأرض وسبخها صار ملحاً أجاجاً، وإن كون مياه العيون والأنهار في الأرضين كالعروق في البدن، وأن الحكمة في كون الأرض كروية الشكل أنها لو كانت مسطوحة كلها لا غور فيها ولا نشز يخرقها؛ لم يكن النبات، وكانت مياه البحار سائحة على وجهها فلم يكن الزرع، ولم يكن لها غدران تفضي مياه السيول، ولا كانت لها عيون تجري تنبع بالماء أبداً؛ لأن مياه العيون لو كانت منها تخرج دائماً لفنيت ولصار الماء أبداً غلباً على وجه الأرض، فكان يهلك الحيوان، ولا يكون زرع ولا نبات، فجعل عز وجل منها أنجاداً، ومنها أغواراً، ومنها أنشازاً، ومنها مستوية.

وأما أنشازها: فمنها الجبال الشاخنة ومنافعها ظاهرة في قوة تحدر السيول منها فتتهي إلى الأرضين البعيدة بقوة جريها، ولتقبل الثلوج فتحفظها إلى أن تنقطع مياه الأمطار، وتذيبها الشمس، فيقوم ما يتحلب منها مقام الأمطار، ولتكون الآكام والجبال في الأرض حواشر للمياه لتجري من تحتها، ومن

شعوبها، وأوديتها؛ فيكون منها العيون الغزيرة؛ ليعتصم بها الحيوان ويتخذها مأوى ومسكناً، ولتكون مقاطع ومعازل وحواجز بين الأرضين من غلبة مياه الأمطار عليها وماء لا يحصيه إلا خالقها.

قال المسعودي: وقد تختلف قوى الأرضين وفعلها في الأبدان لثلاثة أسباب: كمية المياه التي فيها، وكمية الأشجار، ومقدار ارتفاعها وانخفاضها؛ فالأرض التي فيها مياه كثيرة ترطب الأبدان، والأرض العادمة للمياه تجففها، وأما اختلاف قوتها من قبل الأشجار؛ فإن الأرض الكثيرة الأشجار: الأشجار التي تقوم لها مقام السترة فبهذا السبب تسخن، والأرض المكشوفة من الأشجار العادمة لها حالها عكس حال الأرض الكثيرة الأشجار. وأما اختلاف قواها من قبل مقدار علوها وانخفاضها؛ فلأن الأرض العالية المشرفة فسيحة باردة، والأرض المنخفضة العميقة: حارة ومدة.

ومنهم من رأى أن أصناف اختلاف البلدان أربعة: أولها النواحي، والثاني الارتفاع والانخفاض، والثالث مجاورة الجبال والبحار لها، والرابع طبيعة تربة الأرض؛ وذلك أن ارتفاعها يجعلها أبرد، وانخفاضها يجعلها أسخن على ما قدمنا. وأما اختلافها من جهة مجاورة الجبال لها فمتى كان الجبل من البلد من ناحية الجنوب جعله أبرد؛ لأنه يكون سبب امتناع الريح الجنوبية، وإنما تهب فيه الشمالية فقط، ومتى ما كان الجبل من البلد من ناحية الشمال جعله أسخن؛ لامتناع هبوب الرياح الشمالية فيه. وأما اختلافها لمجاورة البحار لها فمتى كان البحر من البلد في ناحية الجنوب؛ كان ذلك البلد أسخن وأرطب، وإن كان من البلد في ناحية الشمال؛ كان ذلك البلد أبرد وأيسس. وأما اختلافها بحسب طبيعة تربتها فمتى كانت تربة الأرض صخرية جعلت ذلك البلد أبرد وأجف، وإن كانت تربة البلد جصية جعلته أسخن وأجف، وإن كانت طينية جعلته أبرد وأرطب.

وبقاع الأرض مختلفة بحسب اختلاف الطبايع وما تؤثره فيها الأجسام السماوية من النيرين وغيرهما فغلب طبع كل أرض على ساكنها كما نشاهد الحرار السود والأغوار وحشها إلى السود، ووحش الرمال البيض على ذلك اللون، فإن كانت الرمال أحمر فوحشها عفر، وهو لون التراب، وكذلك وحش الجبال من الأراوى وغيرها يكون على ألوان تلك الجبال إن حمراء، وإن بيضاء، وإن سوداء، وعلى هذا السبيل تكون القملة في الشعر الأسود سوداء، في الشعر الأبيض بيضاء، وفي المشيب شهباء وفي الأحمر حمراء.

ومن الفلكيين من يرى أن كل جزء من أجزاء الأرض يناسب جزءا من أجزاء الفلك، ويغلب عليه طباعه؛ لأن في أجزاء الفلك المضيء والمظلم والفصيح والأخرس وذو الأصوات والمجوف وغير ذلك من نعوت الدرج؛ فلذلك يكون كلام أهل الموضع الواحد مختلفا على قدر ما تصلح فيه السعود، وتفسد فيه النحوس، ثم يختلف أهل اللسان الواحد في المنطق واللهجات.

قال المسعودي: وقد ذم أبظليموس القلوذي أراء كثيرة ممن تقدمه ممن عني بعلم معمور الأرض وغايات ذلك ونهاياته مثل مارينوس، وأبرخس، وطيمستانس وغيرهم في قبول أقاويل المخبرين من التجار وغيرهم عن نهاية المعمور، وإن ذلك قد يدخله الكذب والزيادة والنقصان فيما أخبروا به من وصولهم إلى هذه المواضع النائية والعمائر القاصية في البر والبحر، ثم اضطر أبظليموس لما أراد علم ذلك الوقوف عليه إلى أن يستعمل ما أنكره على من ذكرنا من جهة الخبر، فبعث بثقات من رسله في الآفاق ليعرف الغايات من عمران الأرض المسكونة فعمل على أخبارهم مقاييسا بها ما وجدته بالدلائل النجومية، وهذا دخول منه فيما أنكره، وقد ذكر في كتابه المترجم بمسكون الأرض بلدانا ومدائن كثيرة، ووصف أطوالها وعروضها، ورسم للناس صورة معمور الأرض على ما رسم فيها من مواضع الكور والبحار والأنهار في

الطول والعرض.

وقد قال أرسطاطليس في المقالة الثانية من كتابه في الآثار العلوية: لقد أعجب من الذين يصورون أقطار الأرض وأبعادها، فإنهم يصورون الأرض المعمورة مستديرة، والقياس والعيان يشهدان على أنها على خلاف ذلك، وأنه لا يمكن أن يكون ذلك. أما القياس فيثبت أن عرض الأرض محدود، وأن طولها ليس بمحدود أعني أن طول الأرض كله يمكن أن يسكن لحال مزاجه؛ وذلك أن الحر والبرد لا يكونان مفرطين في طول الأرض، لكن في عرضها، ولو لم يكن البحر يمنع لكان طول الأرض كله مسلوكتًا. قال: والعيان يشهد أيضًا على أن في البر والبحر؛ لأن الطول يخالف للعرض كثير.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" ما ذهب إليه الفرس والنبط في قسمة المعمور من الأرض، وتسميتهم مشارق الأرض وما قارب ذلك من مملكتها: خراسان، وخر الشمس، فأضافوا مواضع المطلع إليها، والجهة الثانية وهي المغرب: خربران وهو مغيب الشمس، والجهة الثالثة وهي الشمال: باختر، والجهة الرابعة وهي الجنوب: نيمروز، وهذه ألفاظ يتفق عليها الفرس والسريانيون وهم النبط.

وما ذهب إليه اليونانيون والروم في قسمة المعمور من الأرض على ثلاثة أجزاء وهي: أروفا، ولوبية، وآسية، وغير ذلك من كلام سائر الأمم في هذه المعاني، فلنقل الآن في الأقاليم وصفتها وما قيل في قسمتها وغير ذلك.

ذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها ولما اتصل بذلك

كل ما كان من الأرض معمورًا فهو مقسوم بسبعة أقسام يسمي كل قسم منها إقليمًا، وقد تنازع من عني من حكماء الأمم وفلاسفتهم بعلم الهندسة ومساحة الأرض في هذه الأقاليم السبعة أي الشمال والجنوب أم في الشمال دون الجنوب؟ فذهب الأكثرون إلى أن ذلك في الشمال دون الجنوب لكثرة العمارة في الشمال وقتها في الجنوب، ورأى قوم أن القدماء إنما قصدوا لقسمة الأقاليم السبعة في الجانب الشمالي من خط معدل النهار ولم يقسموا في الجنوبي شيئًا؛ لقلة قدر العمارة في الجنوب عن الخط.

وذهب هرمس في متبعيه من المصريين وغيرهم إلى أن في الجنوب سبعة أقاليم كما هي في الشمال، وكان يجعل قسمة أقاليم الغمران من الشمال مدورة فيجعل الإقليم الرابع وهو إقليم بابل واسطًا لها، وستة دوائر حوله، وأن كل إقليم سبع مائة فرسخ في مثله، فالإقليم الأول: الهند، والثاني: الحجاز والحبشة، والثالث: مصر وإفريقية، والرابع: بابل والعراق، والخامس: الروم، والسادس: ياجوج ومأجوج، والسابع: يومارس والصين، ويتدئ جميعها من المشرق مما يمر ببلاد الصين وغيرها.

فحد الإقليم الأول: البحر مما يلي المشرق، والثاني: البحر مما يلي الحجاز، والثالث: الديبل من ساحل المنصورة من أرض البسند، والرابع: حد الإقليم السابع مما يلي الصين أطول ساعات نهاره ثلاث عشرة ساعة.

وحده الإقليم الثاني: البحر مما يلي عمان إلى الشحر والأحقاف إلى عدن أبين إلى جزائر الزنج والحبشان، وأطول ساعات نهاره ثلاث عشرة ساعة ونصف.

وحد الإقليم الثالث: ينتهي إلى أرض الحبشة مما يلي الحجاز إلى بحر الشام الذي بين مصر وأرض الشام إلى وسط البحر الذي يلي الأندلس مما يلي المغرب، وأطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة.

وحد الإقليم الرابع: الثعلبية والثاني: وسط نهر بلخ، والثالث: خلف نصيبين باثني عشر فرسخًا من ناحية سنجار، والرابع: وراء الديبل من ساحل المنصورة من بلاد السند بستة فراسخ، وأطول ساعات نهاره أربع عشرة ساعة ونصف ساعة.

وحد الإقليم الخامس: بحر الشام إلى أقصى أرض الروم مما يلي البحر إلى تراقية وبلاد برجان والصقالبة والأبر إلى حد أرض ياجوج وماجوج إلى حد الإقليم الرابع مما يلي نصيبين، وأطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة.

وحد الإقليم السادس: من الصين إلى حد الإقليم الخامس إلى البحر مما يلي المشرق، وأطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة ونصف.

وحد الإقليم السابع: أرض الهند إلى حد الإقليم الرابع إلى حد الإقليم السادس إلى البحر، وأطول ساعات نهاره ست عشرة ساعة، وفي كتاب مارينوس أن مساحة هذه الأقاليم في الطول ثمانية وثلاثون ألفًا، وخمس مائة فرسخ في عرض ألف فرسخ وسبع مائة وخمسة وسبعين فرسخًا، وقد أنكر ذلك على مارينوس جماعة ممن تقدم وتأخر.

قال المسعودي: بين الأسلاف والأخلاف من حكماء الأمم في مقادير هذه الأقاليم السبعة أطوالها، وعروضها، وعدد ساعاتها، وابتدائها، وغاياتها، وما فيها من مساكن الأمم، وفي البر والبحر تنازع كثير، وقد أتينا على شرح كثير من ذلك فيما تقدم من كتبنا، ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ وأحسن ما رأيت من ذلك في كتاب جغرافياً لمارينوس، وتفسير

جغرافيا قطع الأرض، وفي السيرة المأمونية التي عملت للمأمون اجتمع على صنعتها عدة من حكماء أهل عصره: صورة فيها العالم بأفلاكه، ونجومه، وبره، وبحره، وعامره، وغامره، ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافيا لبطليموس وجغرافيا مارياتوس وغيرهما.

ذكر قسمة الأقاليم على الكواكب السبعة الخمسة والنيرين

قسموا هذه الأقاليم بين الكواكب السبعة على قدر تواليها وتتابعها في الفلك. فالإقليم الأول لزحل: وهو كيوان بالفارسية له من البروج الجدي، والدلو. والإقليم الثاني للمشتري: وهو بالفارسية أورمزد له من البروج القوس، والحوت. الإقليم الثالث للمريخ: وهو بالفارسية بهرام له من البروج الحمل، والعقرب. الإقليم الرابع للشمس: وهي بالفارسية خرشاد، ومن أسمائها آفتاب، لها من البروج الأسد. الإقليم الخامس للزهرة: وهي بالفارسية أناهيد، لها من البروج الثور، والميزان. الإقليم السادس لعطارد وهو بالفارسية تير له من البروج الجوزاء، والسنبلة. الإقليم السابع للقمر: هو بالفارسية ماه له من البروج السرطان. واسم الإقليم بالفارسية كشور، واسم الفلك اسبهر، وذلك بالفارسية الأولى، وبهذه الفارسية حايدان.

قال المسعودي: وفيما حكيناه تنازع بين حكماء الأمم من: الفرس، واليونانيين، والروم، والهند، والكلدانيين، وغيرهم. والأشهر ما ذكرناه، وقد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا، وكذلك ما تنازعوا فيه من اشتراك البروج الاثنى عشر في الأقاليم السبعة، وخاصة الكواكب السبعة في الآراء والملل، والنواحي والآفاق وغير ذلك.

قال المسعودي: ونحن ذاكرون الإقليم الرابع وما بان به عن سائر الأقاليم وجلالة صقعه وشرف محله؛ إذ كان به مولدنا وفيه منشأنا، وكنا أولى الناس بتقريظه والإبانة عن شرفه وفضله، وإن كان ذلك أشهر من أن يحتاج فيه إلى إطناب ولا يحويه لعظمه كتاب.

ذكر الإقليم الرابع ووصفه وفضله على سائر الأقاليم وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان وأطولها والأهوية والترب وانياد وتأثيراتها وغير ذلك

· الإقليم الرابع: يضاف على بابل ويعرف بها، وكان اسمه بالكلدانية وهي السريانية: "خنيرث"، وبه كانت تسميه جميع طبقات الفرس، وكانت بابل تسمى بالفارسية والنبطية: "بابيل"، ومن حكماء الفرس والنبط من يذهب إلى أنها سُميت بهذا الاسم اشتقاقاً من اسم المشتري، وهو بلغتهم الأولى بيل لتولية هذا الإقليم ووقوعه في قسمته.

وحدود هذا الإقليم الشريف المفضل على سائر الأقاليم مما يلي أرض الهند الديليل، ومما يلي الحجاز الثعلبية من طريق العراق إلى الحجاز، ومما يلي الشام نصيبين، ومما يلي خراسان نهر باخ، وقد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب ما قيل في حدوده أيضاً عند ذكرنا الأقاليم؛ فعلى هذا التحديد قد دخل في هذا الإقليم ما دون النهر من خراسان، والجبال كلها من الماهات وغيرها والعراق بأسره وغير ذلك ولم يعرف ما حواه هذا الإقليم من ذلك أجمع إلا ببابل لفضل موضعها وجلالة صقعها؛ لأن ذوي المعرفة من الناس إنما ينسبون الشيء إلى الأفضل المشهور، ولولا أن بابل كذلك ما نسبوا هذا الإقليم مع سعة أرضه وجلالة ما حوى من البلدان إليه.

وهذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة وأعد لها وأفضلها، وبلد العراق وسطه، فهو شرف الأرض وصفوتها، أعدلها غذاء، وأصفاه هواء، متوسط بين إفراط الحر والبرد، وموضعه الموضع الذي ينقسم فيه الزمان أربعة أقسام، فلا يخرج ساكنوه من شتاء إلى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع، ولا من صيف إلى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف، ولما ذكرنا من توسطه كانت ملوك سواف

الأمم تحله؛ إذ كان نسبة الملك إلى المملكة التي هو عليها نسبة القلب إلى البدن الذي هو فيه، فكما كان الله عز وجل بلطيف حكمته إذ خلق القلب أشرف الأعضاء، أحله من البدن أوسطه، كانت هذه سبيل الملك فيما يسكنه من مملكته، وكانت قدماء الملوك تقول: الملك الأعظم مركز لدائرة ملكه، بعده من محيطها، بعد واحد، وتد مركزوز، وعلم منشور، منه يستمد التدبير، وإليه ترد الأمور، ولذلك يقال: إن الملك الأعظم والمدير الأكبر ينبغي أن يكون منزله الواسطة من هذا الإقليم وهو الرابع، والعراق أشرف المواضع التي اختارتها ملوك الأمم من النماردة: وهم ملوك السريانيين الذين تسميهم العرب: النبط، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم من الفرس الأولى إلى الساسانية: وهم الأكاسرة، وهي حيث تلتقي دجلة والفرات، وما قرب من ذلك، وهي من السواد: البقعة التي حدها الزابي فوق سر من رأى مما يلي السن وتكريت، وناحية حلوان مما يلي الجبل، وهيت مما يلي الفرات والشام، وواسط من أسفل دجلة والكوفة من سقي الفرات إلى بهندف وبادرايا وباكسايا، وهي بالنبطية: ترقف من أرض جوحى، وهذه الأرض هي لب إيران شهر التي تفانت عليها ملوك الأمم، فكان اختيارهم بفضل آرائهم المصيف بالجبال؛ ليسلموا من سهام العراق وكثرة ذابه وهوامه، والمشتى بالعراق؛ ليسلموا من زمهرير الجبل وكثرة ثلوجه وأمطاره ووحوله وأقذاره. وقد كان أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي يفعل ذلك فقال مفتخرًا به في كلمة له طويلة:

إني امرؤ كسروي الفعال أصيف الجبال وأشتو العراقا
وألبس للحرب أثوابها وأعتنق الدارعين اعتاقا

ولما بلغ عبد الله بن طاهر هذه الأبيات بعد افتتاحه مصر والشامات قال يرد عليه:

ألم تر أننا جلبنا الجياد إلى أرض بابل قبعا عتاقا

إلى أن وردن بأدوائهم —————
وأنت أبسا دلف ناعم

قلوب رجال أرادوا النفاقا
تصيف الجبال وتشتو العراقا

وكانت الفرس تسمي هذا الصقع أيضًا إيران شهر إضافة على إيرج بن أفريدون حين قسم أفريدون الأرض بين ولده الثلاثة فجعل لسلم: الروم وما يليه من الأمم، ولطوج: الترك وما يليه من الأمم، ولأيرج: العراق وما يليه من الأمم، فأضيف إليه وفي ذلك يقول شاعرهم في الإسلام مفتخرًا:

وقسمنا ملكتنا في دهرنا
فجعلنا الشام والروم إلى
ولطوج جعلنا الترك له
ولإيران جعلنا عنوة
قسمة اللحم على ظهر الوضم
مغرب الشمس إلى الغطريف سلم
فبلاد الترك يحويها ابن عم
فارس الملك وفزنا بالنعم

ومنهم من يذهب إلى أن معنى إيران شهر بلد الخيار؛ لأن إير بالفارسية الأولى اسم جامع للخير والفضل، ومن ذلك قولهم لرئيس بيت النار إيربذ، أي رئيس الخيار الفاضلين فعرب فقيل: هربذ، والنبط تذكر أن هذا الإقليم لها ملكته في سالف الدهر وأن ملوكهم النماردة منهم: نمرود إبراهيم الخليل، والنمرود سمة للملوكهم، وأن الفرس كانت بفارس والماهات وغيرها من بلاد الفهلويين وأن هذا الصقع مضاف إليهم، وإنما هو بلد إريان شهر معنى ذلك: بلد السباع؛ لأن السباع تدعى بالنبطية إريان أحدها إريا، فشبهوا بالسباع، لشدة بأسهم، وشجاعتهم، وعظم ملكهم، وكثرة جنودهم، فلما غلبت الفرس عليهم لما كان بينهم من التحزب والحروب واختلاف الكلمة وتباين الممالك ودامت أيامهم واتصل ملكهم دخلوا في جملتهم وعززوا بهم وانتسبوا إليهم، ثم جاء الإسلام فمضى على ذلك أكثرهم وأنفوا من النبطية؛ لزوال العز الذي كان فيهم، وانتمى جلهم إلى ملوك الفرس حتى قل بعض المتأخرين في ذلك: أبادهر ويحك كم ذا الغلط وضيع علا وكريم سقط

وعير يخلصد في جنّة وطرف بلا علف يرتبط
وأهل القرى كلهم يدعون لكسرى قباذ فأين النبط

وقد حد كثير من الناس السواد وهو العراق فقالوا: حده مما يلي المغرب وأعلى دجلة من ناحية أثور وهي الموصل: القريتان المعروفة إحداهما: بالعلث، من الجانب الشرقي من دجلة، وهي من طسوج بزر جسابور، والأخرى: المعروفة بحربي وهي بإزائها في الجانب الغربي من طسوج مسكن، ومن جهة المشرق: الجزيرة المتصلة بالبحر الفارسي المعروفة بميان روذان من كورة بهمن أردشير وراء البصرة مما يلي البحر، طول ذلك مائة وخسمة وعشرون فرسخًا، والحد الشمالي من عقبة حلوان إلى الموضع المعروف بالعذيب وراء القادسية من جهة الجنوب، مسافة ما بين هذين الموضعين وهو عرض السودان ثمانون فرسخًا، يكون ذلك مكسرا عشرة آلاف فرسخ.

والفرسخ: اثنا عشر ألف ذراع بالذراع المرسلة، يكون بذراع المساحة: وهي الذراع الهاشمية تسعة آلاف ذراع، وهو مائة وخمسون أشلاً يكون ذلك جربانا اثنين وعشرين ألفاً وخمس مائة جريب، هذا إنما هو تكسير أشل، فإذا ضرب ذلك في عدد الفراسخ وهو عشرة آلاف فرسخ بلغ مائتي ألف ألف وخمسة وعشرين ألف ألف جريب، أسقط أرباب الخراج لمواضع الجبال والآكام والتلول والآجام والسباخ، ومدارس الطرق والمحاج، ومجاري الأنهار، ومواضع المدن والقرى وغير ذلك من المواضع التي لا يتأتى فيها الحرث على التخمين، والتقريب الثلث من ذلك، وهو خمسة وسبعون ألف ألف جريب، فيبقى مائة ألف ألف وخمسون ألف ألف جريب، ويراح النصف من ذلك، ويكون النصف معمورًا مع ما في الجميع من النخيل والكروم وسائر الأشجار، وما يعمر دائماً من الأرضين، ولم يزل السواد في ملك النبط والفرس مقاسمة إلى أيام قباذ بن فيروز الملك، فإنه فرض على كل جريب

درهمين وألزم الناس المساحة، وأطلقوا في أملاكهم، وكانوا ممنوعين منها إلى وقت القسمة فهلك قبل إتمام ذلك، فلما ملك أنوشروان بعده تممه وأخذ الناس به فارتفع أول سنة مائة ألف ألف وخمسون ألف درهم من الدراهم التي وزن الدرهم منها مثقال، وقد كان خسروا أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباد اجتبي مملكته في سنة ثمانٍ عشرة من ملكه، وكان في يده السواد، وأرض الأعاجم دون أعمال الغرب، وكان خد مملكته إلى هيت وما وراء ذلك من الموصل والجزيرة والشام بيد الروم من الورق أبعائة ألف ألف وعشرين ألف ألف مثقال، يكون ذلك وزن سبعة مئة ألف ألف درهم.

وكثير من هذه النواحي اليوم على ما كانت عليه في ذلك الوقت لم يغز أرضوها ولم يبد ساكنوها، وإنما يحتاج أن يكون مع ملاكها ومديرها تقى الله أولاً، ثم دراية، ونجدة، وعدل، وعفة، ومياسة؛ حتى تستقيم الأمور وينتظم التدبير ويأتي من الأموال ما يسد به أركان الملك، وتعمر به البلاد، ويشحن به الثغور، ويقمع به العدو، إذ كان سلوك طريقة العدل يؤدي على طول المدة واتصال أيام الدولة، وبالعديل ركب جميع العالم، فلا جرم أنه لا يقوم إلا بالحق، وهو ميزان الرب في الأرض بين عباده، فلنلك حكمته مبرأة من كل ميل وزلل، فمن بخسه بتر عمره، وانقضت أيامه، وظلم الرعية استجلاب البلية.

وكان السواد يعد في أيام الفرس اثنتي عشرة كورة، تسمى الكورة بلغتهم: استان وطساسيجه ستون طسوجا، في كل كورة عدة طساسيج، وتفسير الطسوج: الناحية، ثم تغير ذلك على فر الأيام؛ لانخراق دجلة وخروجها عن عمودها، وكان مجراها في جوخي، وتغريقها طوسوج الثرثور من بلاد كسركر وغيره حتى صارت بطائح إلى هذا الوقت مسيرة أيام، وذلك بين واسط والبصرة، واسمها في هذا الوقت في ديوان السلطان آجام البريد

وأخرباب جوخي، وكانت أعمر السواد، وأهلها المتقدمون على أهله، وإضافة كورة حلوان إلى كورة الجبل تحوي ثمانية وأربعين طسوجا، ثم آل ذلك إلى نقص وخراب؛ لبثوق انبثقت وجلاء، وانتقال وجذب وجور وحيف من الأتراك والديلم الذين غلبوا على هذا الصقع إلى هذا الوقت، وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع.

وقد وصف بعض أهل المعرفة سكان هذا الصقع الشريف وهو العراق فقال: هم أهل العقول الصحيحة، والشهوات المحمودة، والشئائل الموزونة، والبراعة في كل صناعة مع اعتدال الأعضاء، واستواء الأخلاط، وسمرة الألوان، وهي أعدلها وأقصدها، يستدل على اعتدال مزاج باطن أبدانهم بالذي يرى من السمرة الظاهرة في ألوانهم، واعتدال أعضائهم أحسن الناس ألوانًا ووجوها، وأتمهم حلماً وفهماً، فهم أهل العلم والخير؛ وذلك لامتزاج صقعهم من حر الجنوب وبرد الشمال، غلب عليهم المشتري لامتزاجه من برد فلك زحل وحرارة فلك المريخ؛ فاعتدلوا، فاجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، كما اعتدلوا في الجبلية، كذلك لطفوا في الفطنة والتمسك بمحاسن الأمور، وكيف لا يكونون كذلك وهم أرياب الوافدين، وأصحاب الرافدين من دجلة والفرات، والثمانية والأربعين طسوجا انتهى. قال الفيرزدق في هجاء ابن هبيرة.

أأطعمت العراق ورافديه فزاريا أحذيد القميص

قال بشار بن برد:

الرافدان توافى ماء بخرهما إلى الأبله شربا غير محظور

وقال آخر: هذان الواديان رائدان لأهل العراق لا يكذبان قال المسعودي: والصقع الذي مدينة السلام منه أفضل مواضع الأرض جمعياً في الطيب والغذاء؛ وذلك أن أطيب خيرات الدنيا بعد الأمن، والعافية، والعز،

والرئاسة، صلاح الماء والهواء، ثم أفضل أنهار العالم دجلة والفرات، وإن نازع في ذلك أهل مصر وفضلوا نيلهم، وأطيب مواضع العالم في كل الأزمنة عند قياس بعضها إلى بعض، وقياس بعض البلدان إلى بعض موضع اجتماع دجلة والفرات؛ وذلك أن بعض المواضع يطيب صيفه ويفسد شتاؤه فسادًا يمتنع فيه من المكاسب المهنية والمطالب الصناعية لشدة برودة ودوام سقوط ثلجه، ومنها ما يطيب شتاؤه ويفسد صيفه حتى يشغل الحر والومد والبقُّ والهوامُّ عن تحشين الزي باللباس والتصرف في المهن والصناعات، ويعزز علينا بما دفعنا إليه من مفارقة هذا المصير الذي به مولدنا، وفيه منشؤنا فنأت الأيام بيننا وبينه وساحقت مسافاتنا عنه قبعدت الدار، وتراخى الزار، لكنه الزمن الذي من شأنه التثبيت، والدهر الذي من شرطه الإفاة، ولقد أحسن أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي حيث يقول في هذا المعنى في كلمة له:

أيا نكبة الدهر التي طرحت بنا أيادي سبا في شرقها والمغرب
قفي بالتي نهوى فقد طرت بالتي إليها تناهت فاجعات المصايب

وقال آخر:

بلادها أنسي وأهلي وجيرتي وقد يتناسى الشيء وهو حبيب

ولولا شوق إلى الوطن، والحنين إلى المنشأ، لم نذكر ما ذكرناه من هذه المعاني. قال بعض الحكماء: إن من علامة وفاء المرء وحسن دوام عهده: حنينه إلى إخوانه، وشوقه إلى أوطانه، وإن من علامة الرشد: أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقفة. وقال آخر: عمر الله البلدان بحجب الأوطان، فمن علامة كرم المحتد: الحنين إلى المولد.

قال المسعودي: وكثير من تقدم وتأخر من أهل صناعة النجوم إذا حصّلوا أمر بغداد قالوا: عرض وسط الإقليم الثالث - أي بعد من خط الاستواء - ثلاثون درجة واثنان وثلاثون دقيقة وعرض وسط الإقليم الرابع ست

وثلاثون درجة، ثم قالوا: عرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة، ثم قالوا عرض بغداد: ثلاث وثلاثون درجة وتسع دقائق. فبغداد إذا عندهم كأنها قريبة من أن تكون بين وسطي الإقليمين الثالث والرابع، والأكثر منهم يرى أنها من الإقليم الرابع على ما ذكرناه، ومن يرى ذلك ممن تقدم مارينوس ودورثيوس وغيرهما من الفلكيين.

وعرض كل بلد: هو بعده عن خط الاستواء، وإن شئت قلت: ارتفاع القطب عليه إن كان في النصف الشمالي منه الأرض فارتفاع القطب الشمالي وإن كان في النصف الجنوبي من الأرض، فارتفاع القطب الجنوبي؛ لأنه كلما تباعدت المدينة عن خط الاستواء درجة ارتفع أحد القطبين درجة، وانخفض الآخر درجة.

والطول: هو بعد المدينة من المغرب وربما كان بعدها من المشرق، ومن المغرب وإلى المشرق مائة وثمانون درجة، فعرض بغداد ثلاث وثلاثون درجة، وطولها سبعون درجة، وكذلك عرض دمشق، وعرض بغداد واحد، وطول دمشق: ستون درجة، وكذلك عرض مدينة القيروان من بلاد إفريقية من أرض المغرب، وكذلك أيضًا عرض بيت المقدس، وقيسارية، وصيدا، وصور، وأنطاكية، ومجينة السيرجان من أرض كرمان.

ومما عرضه ثلاثون: فسطاط مصر، والبصرة، وشيراز، وشينيز، وجنابا، ومهروبان، وتوج من أرض فارس، والقندهار من أرض السند.

ومما عرضه ست وثلاثون درجة: مدينة حلب من جند قنشرين من أرض الشام، ومنبج، وبالس، والرقعة، ونصيبين ونهاوند من الماهات، وهمذان، وطرسوس من الثغر الشامي، وقم، والرقي، والموصل، وبلد وسميساط، وجسر منبج، ودباوند، وقومس، ومدينة نيسابور، وبخارى، وسمرقند،

وأشروسنة من بلاد خراسان، وكل ما في الأقاليم من المدن فعلى خط واحد، وإن كان ذلك مختلفا عند من لا علم له بهذه الأمور لما يرى من اختلاف وضع هذه المدن ويُبعد المسافات بينها طولا وعرضا، والأقاليم كلها مستقيمة كذلك رأيتها في الصورة المأمونية وغيرها، وأهوية هذه المواضع تختلف وإن اتفقت فيما ذكرنا من العرض وغيره؛ لآفات وعوارض من ذلك:

أن يكون بخارات بادرة في أعماق الأرض فتظهر فتكون سبيل تلك المواضع من الأرض أن ما يتولاها من الكواكب يوجب تأثير الحارة فيها فيغلب ما ظهر من البرودة منها عليها، وتدفع فعل الكواكب كالسروات من أرض التهائم وهي ثلاث سارة منها: ما بين تهامة ونجد أدناه وج وهي الطائف، وأقصاها قرب صنعاء من أرض اليمن، والسروات: أرض عاليه وجبال مشرفة يجب أن تكون حارة؛ لتأثير الكواكب إلا أن ما يظهر من بخار الأرض يغلب على البلد فصار باردا، وكذلك أيضًا دمشق عرضها وعرض بغداد واحد على ما ذكرنا فيما تقدم، فيجب أن تكون حارة كحر بغداد إلا أن البرد يغلب عليها لما يظهر من بخار الأرض من البرودة فكان الحكم له، وكذلك قد تكون مواضع من الأرض من البرودة فكان الحكم له، وكذلك قد تكون مواضع من الأرض ما يتولاها من الكواكب يوجب تأثير البرودة فيها فيظهر من قعور الأرض بخارات كثيرة حارة فتدفع ذلك وتصير الحكم لها، وتجعل ذلك البلد حارًا ككثير من البلدان الحارة، وقد تكون بقاع من الأرض يغلب على ما يظهر منها من البخار لبارد تأثيرات الكواكب بالحر فيكون الحكم له، ويغلب على ما ظهر منها من البخار الحار تأثيراتها بالبرد فيكون الحكم له، ولعلل غير ذلك يطول ذكرها، هي موجودة في كتب المتقدمين على الشرح والإيضاح.

وقد قدمناها فيما سميناه من كتبنا لمعًا من ذلك فأغنى عن إعادته في هذا

الكتاب مع اشتراطنا على أنفسنا فيه الاختصار والإيجاز وفي القليل كفاية لمن كان له بالعمل عناية، وكلما كان على رأس قبة الأرض ووراءها إلى الشق الشرقي فهو عند أهل الشق الغربي أرفع لجهات: منها: أن المشرق لطلوع الكواكب وظهور النهار، والمغرب لهبوطها وإخفائها، والثانية: أن المشرق ذكر والمغرب أنثى، وقسم هذا: الكواكب المذكورة، وقسم ذلك: الكواكب المؤنثة، والذكر أبداً أعلى من الأنثى، والثالثة: أن حركة الفلك إلى المشرق هي ارتفاعه، وحركته إلى المغرب هي انخفاضه، والرابعة: وهي الوجه العياني، والمذهب القياسي أننا نجد بلد فارس أرفع من العراق، والعراق أرفع من الشام، والشام أرفع من مصر والإسكندرية، من ذلك أن حُسَّاب بغداد مثل: محمد بن موسى الخوارزمي، ويحيى بن أبي منصور، وسند بن علي، وأبي معشر وغيرهم وجدوا طول بغداد من المشرق مائة ودرجة وعشر درجات، يريدون من أفق القبة إلى وسط سماء بغداد، وذلك يعرف بساعات وسط الكسوف في المواضع المختلفة المتباعدة.

ووجد أباطليموس على ما عبر عنه ثاون الإسكندراني: طول الإسكندرية من المشرق مائة وتسع عشرة درجة ونصف، فإذا طرحنا بعد بغداد من بعدها بقي تسع درجات ونصف، فقلنا: تطلع الشمس ببغداد قبل الإسكندرية بثلاثي ساعة غير ثلاثي عشر ساعة، وكذلك تخالف البلاد في العروض، من ذلك أن ارتفاع القطب الشمالي عن أفق صنعاء من بلاد اليمن أربع عشرة درجة ونصف، وارتفاعه على بغداد ثلاث وثلاثون درجة وكسر، ومن هذا يطول النهار في بلد ويقصر في بلد، ومن الدليل على ذلك أن ارتفاع سهيل في وسط سمائه على اليمن ثلاث وعشرون درجة وهو بالعراق على خط الأفق، ويخراسان لا يرى ولا تغيب بنات نعش هناك، وتغيب باليمن وأشبه لهذا كثيرة انتهى.

قال المسعودي: وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفيه إلى برقة وذلك في سنة ٢٤٨ فصار إلى الإسكندرية من بلاد مصر رأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر إذا كان صائماً أو تغرب الشمس من جميع أقطار الأرض، وذهب عليه أن الله عز وجل إنما فرض على كل قوم أن يصوموا إلى أن تغيب الشمس في بلدهم؛ لأن مغيبها يختلف بحسب اختلاف البلدان، فيكون مغيبها في بلاد المشرق قبل مغيبها في بلدان المغرب، كما كان طلوعها في المشرق قبل طلوعها في المغرب لما قدّمنا من أقاويل المنجمين في ذلك، ويجوز أن يكون ذلك لأسباب استأثر الله بغيها، فأمر عبيد الله إنساناً أن يصعد على أعالي منارة الإسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط قرص الشمس فإذا سقطت رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر إلى قرار الأرض بعد صلاة العشاء الآخرة، فجعل إفطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد إذا صام في مثل ذلك الوقت، وكان عند رجوعه إلى سر من رأى لا يفطر إلا بعد العشاء، الآخرة وعنده أن هذا فرضة، وأن الوقتين متساويان، وهذا غاية من يكون من قلة العلم بالفرض ومجاري أمر الشرق والغرب.

وقد ذكر أرسطاطاليس في كتاب "الآثار العلوية": أن بناحية المشرق الصيفي جبلاً شامخاً جداً، وإن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تغيب عنه إلا ثلاث ساعات من الليل، وتشرق عليه قبل الصبح بثلاث ساعات، ومنارة الإسكندرية أحد بتيان العالم العجيب، بناها بعض البطليموسين من ملوك اليونانيين بعد وفاة الإسكندر بن فيلبس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومية من الحروب في البر والبحر، فجعلوا هذه المنارة مرقباً، في أعاليها مرآة عظيمة من نوع الأحجار المشقّة، يشاهد منها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها، فكانوا يراعون ذلك في تلك المرآة، فيستعدون لهم قبل ورودهم، وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب: مائتان

وثلاثون ذراعاً، وكان طولها قديماً نحو أربع مائة ذراع، فهدمت على طول الزمان، وترادف الزلازل والأمطار؛ لأن بلد الإسكندرية يمطر وليس سبيلها سبيل فسطاط مصر إذ كان الغالب عليها أن لا تمطر إلا اليسير، وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب ما قال الناس في ذلك، والسبب في امتناعه، وبنائها ثلاثة أشكال: فقريب من النصف، وأكثر من الثلث مربع الشكل، بناؤه بأحجار بيض، يكون نحواً من مائة ذراع على التقريب، ثم من بعد ذلك مبني الشكل ممين بالآجر والجص نحواً من نصف وستين ذراعاً وحواليه فضاءً يدور فيه الإنسان وأعلاها مدور، وكان أحمد بن طولون أمير مصر والإسكندرية والشأم رَمَّ منه شيئاً وجعل في أعلاه قبة من الخشب المصعد إليها من داخلها وهي مبسوطة مؤربة بغير درج، وفي جهة الجانب الشرقي من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني يكون طول كل حرف ذراع في عرض شبر ويكون مقدارها على وجه الأرض نحواً من مائة ذراع، وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها الغربية مما يلي البحر فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وبينها وبين مدينة الإسكندرية في هذا الوقت نحو ميل وهي على طرف لسان من الأرض قد ركب ماء البحر جنبيه ومبينة على فم ميناء الإسكندرية وليس بالميناء القديم؛ لأن القديم في المدينة العتيقة لا ترسي فيه المراكب؛ لبُعده عن العمران.

والميناء هو الموضع الذي ترسي فيه مراكب البحر، وأهل الإسكندرية يخبرون عن أسلافهم أنهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحواً مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة، وإن ذلك في زيادة.

قال المسعودي: وتهدم في شهر ورمضان سنة ٣٤٤ نحو من ثلاثين ذراعاً من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير من بلاد الشأم والمغرب في

ساعة واحدة على ما وردت به علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدًا مهولة فظيعة أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك النصف من يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو اليوم الخامس من كانون الآخر من شهور السريانيين واليوم التاسع من ديسماه من شهور الفرس والتاسع أيضًا من طوبة من شهور القبط وقد دخلنا أكثر المواضع المشهورة بكثرة الزلازل وعظمتها مثل بلاد سيراغ من ساحل فارس وهي بين جبل وبحر.

وبلاد الصيمرة من مهرجان قَدَق وماسيدان من أرض الجبال وهي في سفح جبل عظيم يقال له: كُبَر ومدينة أنطاكية من جند قَتْسَرين والعواصم من أرض الشام وهي في سفح جبل مظل عليها، وبلاد قومس وهي كثيرة الزلازل جدًا وتغور أعين وتغور في مواضع أُخَر لعظم ذلك فالبلد شديد الاختلال وبين بلاد قومس وبين نيسابور جبل عظيم شامخ طويل كثير المياه، والأشجار، والثمار، والأودية، وفيه خلق من العباد يأكلون من تلك الثمار ويأوون إلى كهوف وغيران هنالك يقال لهذا الجبل جبل مورجان، ومورجان قرية بقرب هذا الجبل والجبل بين هذه القرية وبين قرية من أعمال نيسابور تُعرف بهفدة تفسر ذلك سبعة أبواب وذلك أول عمل خراسان؛ لأن قومس علم مفرد بين الري وخراسان ومدنها بسطام، وسمنان، والدامغان لها جبل آخر عظيم بينها وبين طبرستان يقال له: قارن، ومدينة أَمَل ويطل عليها الجبل العظيم، المعروف بدباوند ويقال: إنه أعلى جبال العالم وكثير من مدن طبرستان، وغير ذلك من البلاد فلم أرَ أعظم أمرًا من هذه الزلزلة ولا أطول مكثًا وذلك أني تَبَيَّنْتُ تحت الأرض كالشيء العظيم يحاكيها مارًا تحتها وهارًا ومحركًا لها كأنه أعظم منها وكأنها كالثانية عنه مع دوي عظيم في الجو وكانت السلامة بحمد الله شاملة للناس والتهديم قليل وقد كان خُسف بضياغ كثيرة وقرى وعماير واسعة من بلاد كَشَّ ونَسَف مما يلي سمرقند من أرض خراسان

بزلازل تواترت كأن مبدأها من نحو بلاد الصين إلى أن اتَّصلت ببلاد فرغانة وهذه البلاد هلك فيها خلق كثير من الناس فمنها ما صار موضعها آجاما ومياها سوداء منتنة.

ومنها ما صارت كالرماد لانقلابها في سفوح جبال شاهقة منيعة وذلك مشهور ببلاد خراسان وغيرها، وقد ذكرنا ما قاله الناس من الشرعيين وغيرهم في الزلازل وحدوثها والهدات والخسوف، وكونها فيما تقدم من كتبنا، فإذا قد ذكرنا الأقاليم السبعة، وما قيل في أطواها وعروضها، ووصفنا الأقليم الرابع وفضله على سائرها، وما اتصل بذلك، فلنذكر البحار وكمية أعدادها ومقادير مسافاتها، وغير ذلك من الأخبار عنها.

ذكر البحار وأعدادها وما قيل في

أطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها، ومصبات عظام

الأنهار إليها، وما يحيط بها من الممالك، وغير ذلك من أحوالها

تنازع من سلف وخلف في البحار، وأعدادها، ومسافاتهما، وأطوالها، وعروضها، واتصالها، وانفصالها، وجزرها ومدنها، وغير ذلك من أحوالها، ونحن ذاكرون أصح ما نقل في ذلك وأشهره، ومينوه، إذ كنا عنيينا بذلك برهة من دهرنا، وصرفنا إليه هممنا مشاهدة وخبراً؛ حتى وقفنا منه على ما نظن أنه استغلق على غيرنا علمه، وغرب عليهم فهمه، فأول ما نبداً من ذلك بوصف البحر الحبشي، إذ كان أعظم ماء في المعمور من البحار، وأجلها قدراً، وأعظمها خطراً، لاكتناف الممالك الجليلة إياه، وما خُصَّ به من الجواهر النفيسة، وأنواع الطيب والعقاقير في قعوره، وجزائره، وشطوطه، وهذا حين نبتدئ بذلك على اختصار وإيجاز.

ذكر الأول منها وهو الحبشي

البحر الحبشي هو: بحر الصين، والسند، والهند، والزنج، والبصرة، والأبلة، وفارس، وكرمان، وعمان، والبحرين، والشحر، واليمن، وأيلة، والقلزم من بلاد مصر، والحبشة، وليس في المعمور بحر أعظم منه، وهو مساوٍ في الطول لخط الاستواء آخذًا من أقصى بلاد الحبشان - التي في المغرب - إلى أقصى بلاد الهند والصين في المشرق، وطوله على هذا السمت - فيما ذكر من عني بمساحة الأرض وتصويرها على مواضعها من العروض والأطوال الفلكية - ثمانية آلاف ميل، وعرضه في الشمال ألفان وسبعمئة، وقيل: ألف وتسعمئة ميل، ومن ذهب إلى هذا القول أبطليموس وغيره ممن تقدم عصره وتأخر عنه وآخر من ذهب إلى ذلك في الإسلام: يعقوب بن إسحاق الكندي في رسالة له أيضًا في منافع البحار والجبال والأنهار، وأدخل أبطليموس هذا البحر حد المعمور.

وذكر أنه ينتهي إلى أرض من الجنوب مجهولة، وذهب آخرون إلى أن طوله أربعة آلاف وخمسمئة فرسخ في مثلها، فرد ذلك عليهم أصحاب القول الأول، وأنكروه؛ لأن أربعة آلاف فرسخ وخمسمئة فرسخ ثمانية عشر ألف ميل، إذ كان الفرسخ أربعة أميال بميل ثلاثة آلاف ذراع فيصير طول هذا البحر ثلاثة أرباع منطقة الأرض وهي أربعة وعشرون ألف ميل، وعرضه ثلاثة أرباع، ويصير الباقي من كرة الأرض المنكشف من ماء هذا البحر جزءًا يسيرًا إذا أضيف على هذا البحر، وليس الوجود كذلك. والقول الأول أصح، وعليه المعمول لما بينا.

ومما يصب إليه من الأنهار العظام المشهورة الفرات، ومخرجه من الإقليم السادس ومن ناحية قليقلا، وكانت من ثغور أرمينية من تحت جبل هنالك

يدعى افردخمش، ويقطع بلاد الروم، ويمر بالقرب من ملطية وسميساط وبالس والركة والرحبة وهيت والأنبار، ويأخذ منه نهر عيسى الذي ينتهي إلى مدينة السلام، وكان يسمى نهر الرُقَيْل، والصراة، ونهر صَرْصَر، وجميعها تصب إلى دجلة.

ثم ينقسم الفرات إلى جهتين: قسم منهما يتوجه يسيرًا نحو المغرب، يسمى العلقمي، يمر بالكوفة وغيرها، والقسم الآخر: يسمى سُورًا، يمر بمدينة سُورًا إلى النيل والطفوف ويسقى كثيرًا من أعمال السواد، ثم ينتهي جميع ذلك إلى بطيحة البصرة وواسط، التي ينتهي منها إلى هذا البحر في دجلة العوراء، التي تدعى بالفارسية بَهْمَنْشِير وهي دجلة المفتح، والأبلة، وعبّادان، فمسافته من ابتدائه على انتهائه خمسمائة فرسخ، وقيل: مئائة فرسخ.

ودجلة ومخرجها من إقليم الخامس من عيون بناحية آمد من الموضع المعروف بحصن ذي القرنين، وتمر بجزيرة ابن عمر، وباسورين، وقبر سابور من بلاد قَزْدَى، وبازَيْلْدَى وبَاهْدَرَا، وبلد الموصل، ويصب فيها الزاب الأكبر فوق العمر المعروف بعمر بارقانا من كورة المرج، وذلك بين الموصل والحديثة من الجانب الشرقي على فرسخ من الحديثة.

ومبدأ هذا النهر من بلاد مُشْنُكْهَر حده بين أذربيجان وبابغيش، ما بين أرض قطينا والموصل من عين في رأس جبل هنالك، ينحدر وهو شديد الحمرة، ويجري في جبال وأودية وخزونة ويصفو من حمته، ويمر بباشَرَى وأرض حَفْتُون إلى أن يصب في دجلة -على ما ذكرنا-، فتكون مسافته إلى أن يصب إليها نحوًا من عشرة أيام.

والزاب الأصغر فوق السن على ميل منها في الموضع المعروف بدير ابن كامش، ومخرجه من الموضع المعروف بدينور، والجبال المعروفة بممسلق من

رساتيق أذربيجان، مما يلي شَهْرَزُور، ومسافة جريانه إلى أن يصب في دجلة نحوًا من خمسة عشر يومًا، ثم تمر دجلة بمدينة السلام، فإذا خرجت عنها صبت إليها أنهار كثيرة من الجانب الشرقي منها، ديالي، ونهر بين، والنهروان، ومخرجه من جبال أرمينية وسيسر من بلاد أذربيجان وشهرزور وبلاد الصامغان، ثم يجتمع وينتهي إلى الموضع المعروف بياصلوى، ومما يلي جلولا وخانقين من طريق خراسان، فسمي هناك تامرا، ويستمد من القواطيل الآخذة من دجلة، ويصير إلى الموضع المعروف بياجسرى على فرسخين من دسكرة الملك، وهناك يسمى النهروان، ويمر ببلاد بعقوبا، ويشق مدينة النهروان، وهي جانبان، وجسر بوران وعَبْرَتَا وَبُرْزَاطِيَا، واسكاف بني الجنيد، ويصب إلى دجلة بناحية جرجرايا، ثم تصير دجلة إلى واسط، حتى تصب في بطيحة البصرة، وتنتهي على البحر.

وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار سبب انخراق دجلة وخروجها عن عمودها وذلك في أيام كسرى أبرويز ملك فارس، وكان مجراها في جوخي، وتغريقها طسوج الثرثور من بلاد كَسْكَر وغيره، حتى صارت بطائح على ما قدمنا، وآثار عمود دجلة إلى وقتنا هذا، بين فم الصلح وبَهْنَدَف وبَادَرَايَا وبَاكْسَايَا وقامية العراق، إلى بلاد باذيين ودربي وقُرْقُوب والطيب وشابرزان والدرمكان، إلى نهر جورة، إلى المذارن.

وقد يصب في الفرات ودجلة أنهار كثيرة مثل: سربط، وساتيدما، وأرسناس، والزَّرم، ونهر دوشا، وهو بين جزيرة ابن عمر وباسورين، وخابور دجلة، ومصبه إليها بين باسورين وقبر سابور، ومخرجه من عين تعرف بعين البطريق من أرض الزَّوَرَّان من بلاد أرمينية، ويمر بين الجبل الجودي وجبل التنين وغيره، وعليه قصور على بن داود الكردي من الرهزادية وغيره، وسفان ومخرجه من ناحية العمر وقارة، والجبل المعروف بعلم الشيطان، مما يلي جبل

طور عبيدین وهو جبل فيه بقايا الأرمان من السريانيين، وخابور الفرات، ومخرجه من رأس العين، وكانت تسمى عين الوردية، ومصبه إلى الفرات بناحية قرقيسيا، وغير ذلك من الأنهار فمقدار مسافة دجلة من ابتدائها إلى انتهائها نحو من أربعمئة فرسخ، وقيل أكثر من ذلك.

ومنها نهر مهران السند ومخرجه من الإقليم الخامس من عيون في أعالي السند، وجبالها من أرض قنوج من مملكة بوورة، وأرض قشмир والقندهار والطافن حتى ينتهي إلى مدينة المولتان، وتفسير المولتان: فرج الذهب، وهناك يسمى مهران، ثم ينتهي إلى بلاد المنصورة، ويصب في البحر على نحو من فرسخين من مدينة الديبل من ساحل السند، وبين المنصورة وبين البحر نحو من سبعة أيام، وفيه السوسمار، وهو التمساح على حسب ما يكون في نيل مصر، وزيادته في وقت زيادته وله بطائح وأجام عظيمة من القنا والقصب، نحوًا من ثلاثمئة فرسخ، فيه جنس من السند يقال لهم: المئيد، وهم خلق عظيم حذب لأهل المنصورة ولهم بوارج في البحر تقطع على مراكب المسلمين المجتازة إلى أرض الهند والصين وجدة والقلزم وغيرها كالشواني في بحر الروم.

وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه - في الإخبار عن الأمصار وعجائب البلدان - أن مخرج مهران السند والنيل من موضع واحد، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما، وأن سبيل زراعتهم في البلدين واحد، ولا أدري كيف ذلك وقع له، وقد توجد التماسيح في أكثر أخوار الهند، وهي الخلجانات كخور صندابور، وخلجان الزابج وغيرها، وتلحق الناس وسائر الحيوانات منها الأذية، على حسب ما يلحق أهل مصر وحيواناتهم، وقد يتشعب من مهران هذا نهر آخر يسمى مهران الصغير، فمقدار مسافة مهران الكبير من ابتدائه إلى انتهائه نحو من خمسمئة فرسخ،

وقيل أكثر من ذلك.

ومنها نهر الهند العظيم المعروف بجنجنس، وهو أعظم من مهران، وعليه مساكن كثير من الأمم من أصناف الهند وغيرهم، ومخرجه من جبل بناحية التبت، لا عمارة بينه وبين التبت، إلى أن يصب في هذا البحر مما يلي الجزيرة المعروفة بجزيرة العراة، من جزائر الهند، فمسافته من ابتدائه إلى انتهائه أربعمائة فرسخ، وقيل: خمسمائة فرسخ، وعلى هذا النهر كان التقاء الإسكندر بن فيليبس وفور ملك الهند لا تناكر بين الهند في ذلك.

وغير ذلك من الأنهار العظام كأنهار بلاد الأهواز المشرقان، ودجيل وغيرهما، وأنهار فارس وكرمان الهرمند، نهر سجستان وغزني والداور وغير ذلك من بلاد زابلستان، وكابل، وتيز مكران، والسند، والهند، والصين، وجبال الصفد، وفرغانة وغير ذلك مما أحاط به من الممالك.

ذكر البحر الثاني وهو الرومي

والبحر الثاني وهو الرومي: هو بحر الروم، والشأم، ومصر، والمغرب، والأندلس، والإفرنجة، والصقالبة، ورومية وغيرهم من الأمم، طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف، فمنه ثمانمائة ميل، ومنه سبعمائة ميل، ومنه ستمائة، وأقل من ذلك وأكثر، على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر على مرور الأزمان، وذهب قوم إلى أن طوله ستة آلاف ميل، وأعرض موضع فيه أربعمائة ميل.

ومبدأ خليج آخذ من بحر أوقيانوس المحيط، يعرف بالزقاق، معترض بين طنجة وسبتة من سواحل إفريقية، وبين سواحل جزيرة أم حكيم وغيرها، من سواحل جزيرة الأندلس عرضه هنالك نحوًا من عشرة أميال، وجريته بينه يكون من مبدئه إلى أن يتسع ويعظم نحوًا من ثلاثة أيام.

ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة النيل، ومبدؤه من عين تخرج من جبل القمر وراء خط الاستواء بسبع درج ونصف، وذلك مائة فرسخ وأحد وأربعون فرسخًا وثلاثًا فرسخ، يكون أميالًا أربعمائة ميل وخمسة وعشرين ميلًا، ثم يتشعب من هذه العين عشرة أنهار، تصب كل خمسة منها في بطيحة من بطيحتين في الناحية الجنوبية، وراء خط الاستواء، ثم يتشعب من كل بطيحة منها ثلاثة أنهار تتجمع جميعًا على بطيحة في الإقليم الأول، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر، فيقطع بلاد السودان، ويمر بمدينة علوة دار مملكة النوبة، ثم بمدينة دُنْقله لهم أيضًا، ويخرج عن الإقليم الأول حتى ينتهي إلى الإقليم الثاني، ويصير إلى مدينة أسوان من صعيد مصر وهي أول مدن الإسلام، مما يلي النوبة ثم يقطع صعيد مصر، ويمر بفسطاطها إلى أن يصب في البحر الرومي من مصاب كثيرة، وذلك في الإقليم الثالث، ومن خط الاستواء

إلى مدينة الإسكندرية التي إليها ينتهي أحد مصبات النيل على شاطئ البحر ثلاثون درجة، تكون من الأميال ألف ميل وثمانمائة ميل وعشرين ميلاً، يكون فراسخ ستمائة فرسخ وستة فراسخ وثلثي فرسخ، فيكون من مبدئه من جبل القمر إلى منتهاه في البحر الرومي سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ، تكون أميالاً ألفين ومائتين وخمسة وأربعين ميلاً، ومن الناس من يرى أن من مبدئه إلى مصبه ألف فرسخ ومائة فرسخ ونيفاً وثلثين فرسخاً، ويقرب من جبل القمر هذا كثير من أحواز الزنج ومساكنهم إلى أن يتصل ذلك ببلاد سفالة الزنج، وجزيرة قَنْبُلُو، وأهلها مسلمون، وبلاد بربرا، وحفوني.

وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة في نسبة هذا الجبل إلى القمر، وما يظهر فيه من التأثيرات البينة العجيبة عند زيادة القمر ونقصانه، وما قالته الفلاسفة في ذلك، وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم.

ومنها نهر سيحان: وهو نهر أذنة من الثغر الشامي، ومخرجه من مدينة سيحان من ناحية ملطية من الثغر الجزري، وإن كان قد غلب على أكثره في وقتنا هذا الروم والأرمن.

ونهر جيحان: وهو نهر المصيصة من الثغر الشامي أيضاً، ومخرجه من الإقليم السابع من عيون وراء بلاد مرعش.

وبردان: نهر طرسوس من الثغر الشامي، ومخرجه من عيون تحت العقبة المعروفة بعقبة الأكواخ من جبل تراي أحمر، مما يلي هِرْقَلَة من بند القبادق، فإذا جرى نحواً من ميل، انقسم قسمين: قسم يمضي إلى هرقله، وقسم يصير إلى طرسوس فإذا صار على بردين منها إلى الموضع المعروف بالقطالية، صب إليه نهر يعرف بالفاتر، غزير الماء، مخرجه من عقبة تحت العقبة المعروفة بعقبة البراذع، يكون جريانه إلى أن يصب إلى بردان نحو يوم وليلة؛ وإنما سُمِّي الفاتر

بالضد؛ لشدة برودته، ثم يشق بردان مدينة طرسوس ويصب في البحر الرومي على ستة أميال منها.

والأَرُنْطُ: نهر حمص وحماة وشيزر وإنطاكية، الخارج من القرية المعروفة باللَّبْوَة بين حمص ودمشق، يشق بحيرة قَدَس، وبحيرة فامية، ويصب إليه بالقرب من إنطاكية نهر الرقيا، الخارج من بحيرة جندارس.

وغير ذلك من الأنهار العظيمة، التي تصب على هذا البحر من بلاد الأندلس، والإفرنجية، وبلاد الصقالبة، ورومية، وسائر بلاد الروم، وإليه ينحلب كثير من مياه الشمال، من خليج القسطنطينية الآخذ من بحيرة مايطس، على ما تذكره فيما يرد من هذا الكتاب، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا العلة في ارتفاع الشمال على الجنوب، وكثرة مياهه وقلتها في الجنوب، وما قالته الفلاسفة، وأصحاب الاثنين وغيرهم من الحكماء في ذلك، وما في هذا البحر من الجزائر العظام، كجزيرة قبرس، وجزيرة إقريطش، وجزيرة سقلية، وما يليها من جبل البركان، ومنه تخرج عين النار، التي تعرف بأطمة سقلية، يستضيء بضوء ناراها السفر، على أكثر من مائة فرسخ برًا وبحرًا في الليل، ويرى في شراره إذا علا لبه في الجو جثث كأبدان الناس، وتنعكس على البحر، وتطفو فوق الماء، فهو الحجز الأبيض الخفيف، الذي يُحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق وغيرها، ويعرف بالفنسك، ويسمى أيضًا القَيْشُوراء، وقد يوجد بنواحي هذه الأطمة الحجر المعروف باليشب، النافع لأوجاع البطن والمعدة إذا علق عليها، وللهاء الأصفر، وقد يفعل ذلك الحجر المعروف بالبُسْد، وهو أصل المرجان، وهو من هذا البحر يخرج، وفي هذه الأطمة هلك فرفوريس صاحب كتاب أيساغوجي، وهو المدخل إلى كتب أرسطاطاليس في المنطق، وقد ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر، منهم: يعقوب بن إسحاق الكندي، وأحمد بن الطيب في أول مختصره لكتب المنطق.

ذكر البحر الثالث وهو الخزري

والبحر الخزري: هو بحر الخزر، والباب، والأبواب، وأرمينية، وأذربيجان، وموقان، والجبل، والديلم، وآبسكون، وهي ساحل جرجان، وطبرستان، وخوارزم، وغير ذلك من دور الأعاجم ومساكنهم، والمطيقه به، طوله: ثمانمائة ميل، وعرضه: ستائة ميل، وقيل: أكثر من ذلك وهو مُضْرَافِي الشكل، إلى الطول ما هو، ومن الناس من يسميه البحر الخراساني؛ لاتصاله ببلاد الخوارزم من أرض خراسان، وعليه كثير من بوادي الغزية من الترك في مفاوز هنالك، وعليه أيضًا الموضع المعروف بياكه، وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والأبواب، ومن هناك يحمل النفط الأبيض، وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض، وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ترى في الليل على مسافة نائية.

وقد ذكرنا في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أخبار سائر الآطام مما في المعجور من الأرض، كأطمة سقلية المقدم ذكرها، وأطمة وادي برهوت من بلاد الشحر، وحضرموت، وآطام البحر الخزري، والباب والأبواب، وأطمة آسك من بلاد الهنديجان، وذلك بين بلاد فارس والأهواز ترى بالليل من مسيرة أكثر من أربعين فرسخًا، وأمرها أشهر لكثرة السفر في ذلك الطريق، وأطمة أربوجان مما يلي السيروان من بلاد ماسبذان، وهي المعروفة بحمة تومان مما يلي منجلان، وذلك يرى على أربعين فرسخًا من بغداد على طريق البندنجين، وأبراز الروز، وكالأطمة العظيمة التي في مملكة المهرج، ملك جزائر الزابج، وغيرها في البحر الصيني منها كله، وسربزة، والمهرج، سمة لكل من ملكها، وملكه لا يضبط كثرة، ولا تحصى جنوده، ولا يستطيع أحد من الناس أن يطوف في أسرع ما يكون المراكب بجزائره في ستين، جميعها عامر.

قد حاز هذا الملك أنواع الطيب والأفاويه، فليس لأحد من الملوك ما له،
ومما يجهز من أرضه من ذلك: الكافور، والعود، والقرنفل، والصندل،
والجوزبوا، والقاقلة، والكبابه، وغير ذلك.

وهذه الأطعمة في جبال في أطراف جزائره، فهي بالنهار سوداء لغلبة
ضوء الشمس، ولليل حمراء يلحق لهبها بعنان السماء لعلوها ذهابها في الجوّ،
ويظهر منها كأشد ما يكون من أصوات الرعود والصواعق، وربما يظهر منها
صوت عجيب مفرع يسمع على المسافة النائية ينذر بموت بعض ملوكهم،
وربما يكون أخفض من ذلك فينذر بموت بعض رؤسائهم، فقد عرف بها ينذر
من ذلك موت الملوك من غيرهم، بطول العادات والتجارب على قديم
الزمان، وإن ذلك غير مختلف، وتلي هذه الجبال الجزيرة التي يسمع منها على
دوام الأوقات كأصوات العيدان. والسرنايات والطبول وسائر أنواع الملاحى
المطربة، وكأنواع الرقص والتصفيق، يميز السامع لذلك بين صوت كل نوع
منها، والبحريون من أهل سيرا، وعمان، وغيرهم ممن اجتاز بتلك النواحي
يزعمون أن الدجال في تلك الجزيرة، وأمرها مشتهر وغير ذلك من الآطام.

ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة: نهر إرتيش الأسود،
ونهر إرتيش الأبيض، وهما عظيمان، يزيد كل واحد منهما على دجلة والفرات،
وبين مصبيهما نحو من عشرة أيام، وعليهما مشتى ومصيف الكيماكية، والغزية
من الترك.

ونهر الكر الذي يجتاز ببلاد تفليس، ومدينة صغدييل من أرض جرزان،
ثم ببلاد بردعة، ويجتمع مع نهر الرس الذي هو نهر ورتان، فيصبان جميعاً فيه.

ونهر اسبيذروذ، ومخرجه من ناحية سيسر وشاه روذ، وهما يجتازان ببلاد
أذربيجان والديلم.

ونهر الخزر الذي يمر بمدينة إتل، دار مملكة الخزر في هذا الوقت، وكان دار مملكتهم قبل ذلك مدينة بلنجر، وإليه يصب نهر برطاس.

وبرطاس أمة عظيمة من الترك بين بلاد خوارزم ومملكة الخزر، إلا أنها مضافة إلى الخزر تجري في هذا النهر السفن العظام بالتجارات وأنواع الأمتعة من بلاد خوارزم وغيرها، ومن بلاد برطاس تحمل جلود الثعالب السود وهي أكرم الأوبار وأكثرها ثمنًا، ومنها الأحمر والأبيض، الذي لا يفضل بينه وبين الفنك والخلنجي وشرها النوع المعروف بالأعرابي وليس يوجد الأسود منها في العالم إلا في هذا الصقع وما قرب منه، ويتباهى ملوك الأمم من الأعاجم بلبس هذه الجلود، ويتخذ منها القلائس والفراء، ويبلغ الأسود منها الثمن الكثير، وقد يحمل منه إلى ناحية الباب والأبواب وبرذعة وغير ذلك من بلاد خراسان، وربما يحمل إلى بلاد الجربي من أرض الصقالبة؛ لاتصالها بالجربي، ثم إلى بلاد الإفرنجية والأندلس، ويصار بهذه الجلود من السود والحمرة إلى بلاد المغرب، فيتوهم المتوهم أنها من بلاد الأندلس وما اتصل بها من ديار الإفرنجية والصقالبة، وطبعها حارًّا يابس شديد الحرارة، يدل على ذلك مرارة لحمه وجلده أشد حرًّا من جلود سائر الأوبار، وهو يشبه في مزاجه بالنار لغلبة الحرارة واليبس عليه، يصلح لبسه للمرطوبين والشيوخ، وقد كان المهدي في مقامه بالري أحب امتحان أي الأوبار أشد حرارة، فعمد إلى عدة قوارير فملأها ماءً، وشدَّ رءوسها بأنواع من الأوبار، وكان ذلك في سنة شديدة البرد كثيرة الثلج، ثم دعا بها حين أصبح، فوجدها جامدة إلا ما شدَّ رأسه بجلد الثعلب الأسود، فإنه لم يجمد فعلم أنه أشدها حرًّا وبيسًا.

ومنها نهر الخزر المعروف بأوم، وهو أعظم من دجلة والفرات، والنهر العظيم المعروف بكزل رود، تفسير ذلك: نهر الذئب، وتنحلب إليه المياه من جبل القبق، ومصبه إلى هذا البحر مما يلي الباب والأبواب، وعليه هناك قنطرة

عظمية عجيبة البناء، نحو من قنطرة سنجة، وقنطرة سنجة أحد عجائب العالم وهي بناحية سميساط من الثغور الجزرية، وسنجة نهر تعرف القنطرة به يصب إلى الفرات.

ومنها نهر كالف وهو جيحون نهر بلخ والترمذ وخوارزم، مبدؤه من عيون في الإقليم الخامس وراء الرباط المعروف بيدخشان، وهو على نحو عشرين يومًا من مدينة بلخ، وآخر أعمالها من ذلك الوجه وهذا الرباط ثغر بازاء أجناس من الترك، يقال لهم: أوخان وتبت وأيغان حضر ويدو، ويعرف هذا النهر هناك بهذا الجنس أيغان وتصب إليه أنهار كثيرة، وينحلب إليه مياه عظيمة فيكمل هذا النهر فوق مدينة الترمذ بفرسخين، ويدعى هذا الموضع ماله ويعظم ماؤه، ويكثر ويستبحر، ويأتي الترمذ وهي عالية راكبة عليه من الجانب الشرقي، مقابلة لرباط البلخ من الجانب الغربي على اثني عشر فرسخًا من بلخ، وهذا الموضع أضيق أعبار هذا النهر وأغزرها ماء، عرضه نحو من ميلين وقد ينبسط في غير هذا العبر كعبر زم، وهو أسفل من عبر الترمذ بنحو من أربعين فرسخًا.

وزم مدينة من الجانب الغربي بالقرب من هذا العبر بين رمال ودهلس وما قابلها من المشرق، فلا عمارة فيها، وهي صحراء تؤدي إلى بلاد نخشب وسمرقند وغيرها، وعبر آموا وهو أسفل من عبر زم بنحو خمسين فرسخًا.

وآموا مدينة في الجانب الغربي على نحو أربعة أميال من النهر يقابلها من الجانب الشرقي منه مدينة يقال لها: فربر على ميلين من هذا النهر، ومن فربر إلى بخارى جدار مملكة آل إسماعيل بن أحمد بن أسد بن أحمد بن سمامان خداه صاحب خراسان ثمانية عشر فرسخًا.

منها خمسة عشر إلى السور الأعظم المحيط ببخارى وعمائرهما، ومن باب

السور إلى مدينة بخارى ثلاثة فراسخ بنى هذا السور ملك من ملوك الصغد في سالف الدهر، مانعًا لغارات أجناس الترك، ودافعًا لأذيتهم، وجُدِّد في أيام المهدي، وقد كان تهدم على يدي أبي العباس الطوسي أمير خراسان، على ما ذكر سلمويه في كتابه في الدولة العباسية وأمراء خراسان، وعبر خوارزم وهو أسفل من عبر أموا بنحو سبعين فرسخًا.

يقال: إن الإسكندر بن فيلبس الملك قطع عبر الترمذ في خمسة أشهر بجسر عقده من خمسمائة سفينة؛ لكثرة جنوده وأتباعه، ثم يأتي هذا النهر بلاد خوارزم، ويصب في البحيرة المعروفة بالجرجانية.

والجرجانية مدينة بالقرب من هذا المصب، وهي من أعظم البحيرات في المعمور، مسافتها نحو من أربعين يومًا في مثلها، ويخرج من هذه البحيرة أنهار عظيمة، تصب في البحر الخزري، إلى هذه البحيرة يصب نهر الشاش، وهو مغيض وجوب لا يسقي بلاد الشاش وإنما سقيهم وشربهم من نهر عظيم يعرف بترك، يصب في هذا النهر هو ونهر فرغانة، ونهر خُجَنْدَة أيضًا ويمر ببلاد الفاراب، وقد عظم واستبحر، تجري فيه السفن إلى هذه البحيرة بأنواع الأمتعة؛ حتى تخرج إلى بلاد خوارزم من مصب جيحون، وهذا النهر يتبحر في إبان زيادته، وذلك من أول كانون الثاني فيركب الأرض من الجهة المقابلة لبلاد فاراب؛ لانخفاضها أكثر من ثلاثين فرسخًا عرضًا، والقرى والضياع على رءوس التلال والروابي، كالقلاع لا سبيل لبعضهم إلى بعض إلا في الزواريق، وسبيل هذا الموضع في الشرب سبيل نيل مصر في الزيادة، إلا أن أوقاتها مختلفة فيركب الأرض وينبسط عليها ما لا يركبه نيل مصر؛ لأن أكثر ما يركب نيل مصر الأرض من جانبيه نحو من فرسخين سيحًا، وفي خلجان وقد قيل: إن نهر جيحون ينتهي إلى آجام، وبطائح فيغور فيها وقد قيل: إنه يصب في بحر الهند مما يلي كرمان، وقد دخلنا بلاد فارس وكرمان وسجستان

صرودها وجرومها، فلم نجد لذلك حقيقة؛ لأن الأنهار التي تصب ببلاد كرمان إلى البحر من ناحية هرموز ساحل كرمان وغيرها معروفة، فيكون مسافة جريان جيحون على وجه الأرض من مبدئه إلى مصبه في هذه البحيرة، نحوًا من أربعمئة فرسخ، وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل منه.

ذكر البحر الرابع وهو بنتس

والبحر الرابع: وهو بحر بنتس هو بحر البرغر والروس وغيرهم من الأمم، يمتد من الشمال من ناحية المدينة التي تدعى لازقة، وذلك وراء القسطنطينية، طوله ألف ميل وثلاثمائة ميل، في عرض ثلاثمائة ميل، ويتصل ببحيرة مايطس، وطولها ثلاثمائة ميل، وعرضها مائة ميل، وهي في طرف العمارة من الشمال، وبعضها تحت القطب الشمالي، وبقرب منها مدينة ليس بعدها عمارة تسمى تولية.

ومنها يخرج خليج القسطنطينية، الذي يصب إلى بحر الروم، طوله ثلاثمائة ميل، ونحوًا من خمسين ميلًا على ما نذكره فيما يرد من هذا الكتاب، وجريه وانصبابه في المواضع الضيقة بين، وماؤه بارد، ومن الناس من يعد هذا البحر وهذه البحيرة بحرًا واحدًا، ويتصل هذا البحر من بعض جهاته ببحر الباب والأبواب من خليج وأنهار عظام هنالك؛ ولأجل ذلك غلط قوم من مصنفي الكتب في البحار ومعمور الأرض فزعموا أن: بحر بنتس وبحيرة مايطس وبحر الخزر شيء واحد.

ومما يصب إلى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة النهر العظيم المسمى طنائس، مبدؤه من الشمال، وعليه كثير من مساكن الصقالبة وغيرهم من الأمم الواغلين في الشمال، وغيره من الأنهار الكبار مثل نهر دنبه، وملاوه، وهذا اسمه بالصقلية أيضًا، وهو نهر عظيم عرضه نحو من ثلاثة أميال، وهو وراء القسطنطينية بأيام، عليه دور الناجمين والمراوة من الصقالبة، وقد سكنها كثير من البرغر حين تنصروا، وقيل: إن منه يأخذ نهر ترك الذي هو نهر الشاش المقدم ذكره.

ذكر بحر أوقيانوس وهو المحيط

فأما البحر الذي هو عند أكثر الناس معظم البحار وعنصرها، وأنها منه تتشعب ويسميه كثير منهم الأخضر، ويسمى باليونانية أوقيانوس، وأكثر نهاياته مجهولة عند أباطليموس وغيره، فإنه يتدنى من نهاية العمارة في الشمال إلى أن يصير إلى المغرب وينتهي إلى نهاية العمارة في الجنوب، وليس له في غربيه ولا شماليه نهاية محدودة ويتصل ببحر الصين مما يلي الزابد، وجزائر المهراج وشلاهط ورهرلج وفي هذا البحر مما يلي مغربه الجزائر المسماة الخالدات.

ومما يلي شماله الجزائر المسماة برطانية وهي اثنتا عشرة جزيرة وعليه من بعض جهاته كثير من مدن الأندلس والإفرنجة، ومن جهة أخرى مدن من مدن المغرب، مما يلي بلاد أبي عفير وبصرة المغرب، ثم مساكن البربر الذين يدعون أصحاب الأخصاص وكثير من مساكن السودان، ويصب إليه أنهار عظيمة من بلاد الأندلس والإفرنجة، وغيرهم من الأمم منها نهر قرطبة قصبة الأندلس في هذا الوقت ودار مملكة بني أمية مبدأ هذا النهر من جبل على نحو ستة أيام من قرطبة يدعى لينشكه ويجري في هذا النهر مراكب كثيرة إلى قرطبة، فإذا فصل عنها صار إلى مدينة شيلية وهي على يومين من قرطبة ومن شيلية إلى مصبه في هذا البحر يومان، وعلى هذا البحر المحيط مما يلي الأندلس جزيرة تُعرف بقادس مقابلة لمدينة شذونة من مدن الأندلس بينها وبين شذونة نحو من اثني عشر ميلاً في هذه الجزيرة منارة عظيمة عجيبية البناء على أعاليها عمود عليه تمثال من النحاس يرى من شذونة وورائها لعظمه وارتفاعه ووراءه في هذا البحر على مسافات معلومة تماثيل آخر في جزائر يرى بعضها من بعض وهي التماثيل التي تدعى الهرقلية بناه في سالف الزمان هرقل الملك الجبار تنذر من رآها أن لا طريق وراءها ولا مذهب بخطوط على صدورها، بينة ظاهرة ببعض الأقلام القديمة وضروب من الإشارات بأيدي هذه التماثيل

تنوب عن تلك الخطوط لمن لا يحسن قراءتها صلاحًا للعباد ومنعًا لهم في ذلك البحر من التفرير بأنفسهم وأمر هذه الأصنام مشهور من قديم الزمان إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥، قد ذكرتها الفلاسفة القدماء وغيرهم ممن عني بهيئة الأرض وأخبار العالم منهم صاحب المنطق في كتابه في الآثار العلوية وهو أربع مقالات فقال في المقالة الأولى منه عند ذكره النهر المعروف بطرسْيوس ويسيل إلى أن يبلغ خارجًا من الأصنام التي أقامها هرقل الملك الجبار وذكر ذلك أيضًا في آخر المقالة الثانية من كتاب "السماء والعالم" وهو أربع مقالات أيضًا، حين ذكر صغر الأرض فقال: الدليل على صغر الأرض ما يزعمون أن الموضع الذي يدعى أصنام هرقل يختلط بأول حد من حدود الهند فلذلك قالوا: إن البحر واحد وذكر ذلك أيضًا وبيّنه الإسكندر الأفروديسي في شرحه لكتاب أرسطاطاليس في "الآثار العلوية" وهي أكبر النسخ في الآثار تكون نحوًا من خمسمائة ورقة.

وقد ذكر أبطليموس في كتابه في المدخل إلى الصناعة الكريّة أن من رواء خط الاستواء تحت مدار الجدي سودان مثل السودان التي تحت مدار رأس السرطان من دون خط الاستواء مما يلي الشمال وأن بحر أوقيانوس يأتي من ناحية المشرق الشتوي وهو مطلع الجدي ثم ينعطف من المشرق الشتوي إلى ناحية الشمال إلى أن ينتهي إلى المغرب والصيفي وهو مغرب السرطان.

وذكر أنه إنَّما وقف على هذا من الكتب التي دُوِّنت فيها أخبار المساكن التي عن جنوب بلاد مصر وأنهم وصلوا إلى ذلك بعناية ملوك مصر وإنفاذهم ثقاتهم إلى تلك النواحي ليُعرفَ من هناك من الأمم.

قال المسعودي: وقد ذهب كثير من الناس إلى أن تحديدهم لمقادير مسافات هذه البحار إنَّما هو على طريق التقريب والتخمين إذ كان ذلك لا يحاط به لعجز البشر عن مشاهدته، وبلوغ غاياته وقد ذكرنا فيما سَمَّينا من كتبنا

السالفة ما قاله صاحب المنطق في كتابه في "الآثار العلوية" ومن تقدم عنه وتأخر في علة انتقال البحار والأنهار عن مواضعها، وشباب الأرض، وهرمها، وحياتها، وموتها، والكلام في كيفية المد والجزر السنوي والقمرى الذي هو الشهري، ولآية علة صار في بعض البحار أظهر وأقوى كالبحر الحبشي وبحر أوقيانس المحيط وفي بعضها أضعف وأخفى كبحر الروم والخزري وما يطمس على أنه قد يظهر في بحر الروم مما يلي المغرب ظهوراً بيناً حتى إن مدينة في جزيرة من سواحل إفريقية يقال لها: جربة بينها وبين البحر نحو ميل تخرج مواشيهام غدواً حين يجزر الماء، وينضب فترعى، ثم تروح عشياً قبل المد.

وقول بعض أهل الشرائع إن المد والجزر من فعل ملك وكَلَهُ اللهُ -عز وجل- بذلك في أقاصي البحار يضع رجله أو بعض أصابعه فيها فتمتلئ فيكون المد ثم يرفعها فيرجع الماء إلى موضعه فهو الجزر، وقول من قال منهم: إن ذلك لأمر استأثر الله بغيبها لم يطلع أحداً من خلقه عليها؛ ليعتبروا بذلك ويستدلوا على وحدانيته وعجيب حكمته، وتنازع الأوائل في ذلك من فلاسفة الأمم وحكمائهم أهو من أفعال الشمس أم أفعال القمر عند زيادة نوره فيكون منه المد أم عند نقصانه فيكون الجزر على حسب ما يظهر من أفعاله عند زيادته في أبدان الحيوان من الناطقين وغيرهم من القوة وغلبة السخونة، والرطوبة، والكون، والنمو عليها.

وأن الأخلاط التي تكون في أبدان الناس كالدم، والبلغم وغيرهما عند ذلك تكون في ظاهر الأبدان والعروق ويزيد ظاهر البدن بُلَّةً ورطوبة وحسناً وإن الأبدان عند نقصان نوره تكون أضعف والبرد عليها أغلب، وتكون هذه الأخلاط في غور البدن والعروق ويزداد ظاهر البدن يبساً وذلك ظاهر عند ذوي المعرفة والعمل بالطب وما يظهر من أحوال الأمراض في زيادته ونقصانه

وأبدان الذين يمرضون في أول الشهر تكون على دفع العلل أضعف وكذلك ما يعلم من دلالة في أنواع البحران في اليوم السابع من الأمراض والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين إذ كان القمر أربعة أشكال: شكل التنصيف، وشكل البتمام، وشكل التنصيف عن البتمام، وشكل المحاق، فإن لكل شكل من هذه سبعة أيام؛ لأنه في سبعة أيام يتتصف وفي الرابع عشر يتم، وفي الحادي والعشرين يتتصف وفي الثامن والعشرين يمتحق فكذلك البحران تصح في السابع والرابع عشر، والحادي والعشرين والثامن والعشرين وتصح في تنصيفات، هذه إذا كانت هذه الأشكال أثبت أشكال الشيء المنقسم وغير ذلك من تنازع الناس في كيفية البحران وأن نتاج سائر الحيوان إذا كان في أول الشهر، كان المولود أتم وأعظم منه إذا كان في آخره، وما يظهر عند زيادته من النمو، والزيادة في شعر الحيوان وأدمغته، والألبان، والبيض، وحيض النساء، وكثرة السمك في البحار والأنهار، وغيرها، ونمو الأشجار، والبقول، والفواكه، والرياحين وسائر النبات وغير ذلك مما يعلمه أصحاب الفلاحة نقصان جميع ذلك عند نقصانه، وكذلك المعادن وزيادتها أول الشهر في جواهرها وحسن بصيصها، وصفائها وأن لسع سائر حشرات الأرض من الحيات، والعقارب، وغيرها، وأفعال سائر السباع تكون في أول الشهر أقوى وأشدّ وفي آخره أنقص وأضعف وغير ذلك من أفعاله وغير ما لم نأت على وصفه وإنما نذكر الشيء اليسير منبهين بذلك على الشيء الكثير، والكواكب السبعة التي هي النيران والخمسة المتحيرة وغيرها لها تأثيرات في هذا العالم عند ذوي المعرفة بالنجوم إلا أن تأثيرات القمر في العالم الأرضي أبين منها لقربه منه وبعدها عنه وذلك موجود في كتب الأوائل على الشرح والإيضاح ولثابت بن قُرّة الجَرّانيّ كتاب جمع فيه ما ذكره جالينوس في سائر كتبه من أفعال النيران وهما الشمس والقمر في هذا العالم أفادناه ابنه سنان ابن ثابت.

وكذلك ذكرنا فيما وصفنا من كتبنا ما خُصَّ به كل بحر من البحار من أنواع الجواهر الحيوانية منها والمعدنية والحجرية كاللؤلؤ، والياقوت، والمرجان، وغيره والأدوية والعقاقير، والطيب وغير ذلك وما السبب في ملوحة ماء البحار ومرارتها وغلظها وكثافتها ولائمة علة لا تتبين فيها الزيادة مع كثرة موادها من الأنهار التي تَصُبُّ إليها وحملها السفن الثقيلة حتى إذا صارت إلى العذب من الأنهار عُرِف غرق بعضها للطافة العذب، وكثافة المالح إذ كان الغليظ يمنع من الرسوب فيه.

وقد استدل صاحب المنطق في كتاب الآثار العلوية على ذلك بأنه إن أخذ بيضة فصيرها في إناء فيه ماء عذب رسبت فيه وإن أُلقي في الماء ملحًا يغلب عليه وتركه حتى ينحل فيه أو أخذ من ما البحر فصير البيضة فيه وجدها طافية، قال: ويذكر الملاحون أنهم يجدون السفينة التي تغرق في الماء العذب أبعد رسوبًا من التي تغرق في البحر المالح واستدل ببحيرة فلسطين فإنها شديدة المرارة والملوحة، وإنه إن أخذ إنسان أو دابة فشد وثاقًا وألقي فيها وُجِدَ طافيًا على الماء؛ لحفته عند غلظ الماء وثقله وإن غمس فيها ثوب وسخ استنقى من ساعته؛ لشدة المرارة والملوحة وإنه لا يكون فيها شيء من السمك.

قال المسعودي: وهذه البحيرة التي ذكرها أرسنطا طاليس وغيره هي البحيرة المنتنة بحيرة أريحا وزُغَر وقد شاهدناها، وإليها يصب نهر الأردن الخارج من بحيرة طبرية ومواد بحيرة طبرية من نهر يصب إليها يخرج من بحيرة قَدَس، وكفرلي يتحلب إلى هذه البحيرة مياه كثيرة من أعمال دمشق مما يلي القَرَعُونَ والحَيْط وغيره وإذا شقَّ نهر الأردن البحيرة المنتنة، وانتهى إلى وسطها متميزًا من مائها غار هناك فخرج بين كفر سبأ البريد وبين الرملة من بلاد فلسطين من عين عظيمة وهو نهر أبي فطرس يصب في البحر الرومي يكون مسافته على وجه الأرض بعض يوم، وماؤه كالزئبق ثقلًا وعليه الجادة،

ولأننا عرف ما ذكرنا بأشياء ألقيت في نهر الأردن فظهرت في عين نهر أبي فطرس من امتحن ذلك بعض ذوي العناية بأمور العالم ممن ملك هذه البلاد في سالف الزمان فيما قيل، وكذلك ذكر في زرنود نهر أصبهان أنه ينتهي إلى رمل في آخر كورتها فيغور ثم يظهر بكرمان، وينصب في البحر الحبشي ولأنه إنما عرف ذلك بأن بعض الملوك السالفة كتب على فصب وطرحه في موضع مغيضه فظهر بنهر كerman وقد شاهدناه وهو نهر حسن وللفرس فيه أشعار كثيرة.

وليس في هذه البحيرة المنتنة ذو روح من سمك ولا غيره، ومنها يخرج الحمر الذي يسمى قفر اليهود يطلى على المناجل ويكسح به الكروم؛ ليؤمن من الدود عليها ولغير ذلك من العلاجات ولمخرجه منها وما يظهر من الصوت وعلى أي صورة يظهر أخبار عجيبة وفيها وحولها يوجد الحجر الأصفر المعروف باليهودي المحرز على شكل البطيخ وخطوطه، وذكر أبقرط وجالينوس غيرهما أنه يفتت الحصى المتولد في لكلى دون المثانة إذا برد وسقي وليس قيا عرف من معمور الأرض بحيرة لا يتكون ذو روح فيها إلا هذه البحيرة، وبحيرة كبوذان وهي على بعض يوم من مدينة أرمية وبلاد المراغة وغيرهما من بلاد أذربيجان هي أعظم وأغزر وأمر وأملح لا يتكون ذو روح فيها أيضًا، وهي مضافة إلى قرية في جزيرة في وسطها تعرف بكبوذان يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها في هذه البحيرة، وتصب إليها أنهار كثيرة ومياه من بلاد أذربيجان وغيرها لم يغرض أحد ممن ذكرنا لوصفها وقد صنف أحمد بن الطيب السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي كتابًا حسنًا في المسالك والممالك والحدود والأنهار وأخبار البلدان وغيرها، وكذلك أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد صاحب خراسان ألف كتابًا في صفة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن، والأمصار، والبحار، والأنهار، والأمم ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار العجيبة، والقصاص الطريفة وأبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله بن

خرداذبه في كتابه المعروف بالمسالك والممالك وهو أعم هذه الكتب شهرة في خواص الناس وعوامهم في وقتنا هذا، وكذلك محمد بن أحمد بن النجم بن أبي عون الكاتب في كتابه المترجم بالنواحي والآفاق والإخبار عن البلدان، وكثير من عجائب ما في البر والبحر وغيرهم ممن لم نسمه فكل استفرغ وسعه، وبذل مجهوده وقد يدرك الواحد منهم ما لا يدركه الآخر .

وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه لم نخله من دلائل تعضدها وبراهين توتدها عقلاً وخبراً، وغير ذلك مما استفاض واشتهر وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور، وحاجته إلى ذلك ونحن، إن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين وأيامنا بعيدة عن أيامهم فلنرجوا أن لا نقصر عنهم في تصنيف نقصده وغرض مله وإن كان لهم سبق الابتداء فلنا فضيلة الاقتداء وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً وأتقن تصنيفاً لحكمة التجارب وخشية التبعية والاحتراس من مواقع الخطاء ومن ههنا صارت العلوم نامية غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجده الأول وذلك إلى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة وقد أخبر الله - عز وجل - بذلك فقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين وتعظيم كتب السالفين ومدح الماضي وذم الباقي، وإن كان في كتب المحدثين ما هو أعظم فائدة وأكثر عائدة وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن لنظم فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغي إليه، ولا الإرادات تيمم نحوه ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبة وأقل فائدة ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هارون، أو غيرهما من المتقدمين ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين فيقبلون على كتبها ويسارعون إلى نسخها لا شيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من هو في عصرهم ومنافسته على المناقب التي ينحس بها

ويعنى بتشبيدها وهذه طائفة لا يعبا بها كبار الناس وإنما العمل على ذوي النظر والتأمل الذين أعطوا كل شيء حقه من العدل ووفوه قسطه من الحق فلم يرفعوا المتقدم إذ كان ناقصا ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائدا فلمثل هؤلاء تصنف الكتب وتدون العلوم وسنذكر الآن الأمم السبع السالفة في سابق الدهر ولغاتهم ومواضع مساكنهم وغير ذلك.

ذكر الأمم السبع في سالف الزمان، ولغاتهم، وآرائهم، ومواضع مساكنهم، وما بانّت به كل أمة من غيرها وما اتصل بذلك

قد قدمنا فيما سلف من كتابنا ما قاله الناس في بدء النسل، وتفرقهم على وجه الأرض وما ذهب إليه كل فريق منهم في ذلك من الشرعيين وغيرهم ممن قال بحدوث العالم وأبى الانقياد إلى الشرائع من البراهمة وغيرهم، وما قاله أصحاب القدم في ذلك من الهند والفلسفة وأصحاب الاثنين من المانوية وغيرهم على تباينهم في ذلك فلنذكر الآن الأمم السبع، ذهب من عني بأخبار سوائف الأمم ومساكنهم إلى أن أجل الأمم وعظماؤهم كانوا في سالف الدهر سبعاً يتميزون بثلاثة أشياء بشيمهم الطبيعية وخلقيهم الطبيعية وألستهم.

فالفرس: أمة حد بلادها الجبال من الماهات، وغيرها وأذربيجان إلى ما يلي بلاد أرمينية، وأران والبيلقان إلى دريند، وهو الباب والأبواب والري، وطبرستان والمسقط والشابران، وجرجان، وإبرشهر وهي نيسابور وهرة ومرو وغير ذلك من بلاد خراسان، وسجستان، وكرمان، وفارس، والأهواز وما اتصل بذلك من أرض الأعاجم في هذا الوقت وكل هذه البلاد كانت مملكة واحدة ملكها واحد ولسانها واحد إلا أنهم كانوا يتباينون في شيء يسير من اللغات وذلك أن اللغة إنما تكون واحدة بأن تكون حروفها التي تكتب واحدة وتألّف حروفها تأليف واحد وإن اختلفت بعد ذلك في سائر الأشياء الآخر كالفهولية، والدرية، والأذرية، وغيرها من لغات الفرس.

الأمة الثانية: الكلدانيون وهم السريانيون وقد ذكروا في التوراة بقوله - عز وجل - لإبراهيم «أنا الرب الذي أنجيتك من نار الكلدانيين لأجعل هذه البلاد لك ميراثاً» وذكرهم أرسطاليس في كتابه الذي رسمه بسياسة المدن وهو كتاب ذكر فيه سياسة أمم ومدن كثيرة من أمم ومدن اليونانيين وغيرها

ويسمى باليونانية بوليطيا وعدد الأمم، والمدن التي ذكر مائة وسبعون وفي غيره من كتبه وأبطليموس وغيرهما بهذا الاسم -أعنى الكلدانيين- وكانت دار مملكتهم العظمى مدينة كلواذى من أرض العراق وإليها أضيفوا وكانوا شعوبًا وقبائل منهم: النونويون، والأثوريون، والأرمان والأردوان، والجرافقة، ونبط العراق، وأهل السواد وقيل: إنما سموا نبطًا؛ لأنهم من ولد نبيط بن باسور بن سام بن نوح وقيل: إنما سموا بذلك لاستنباطهم الأرضين والمياه وقيل: لمعان غير ذلك وغيرهم من الشعوب والقبائل، وقيل: إن الأرمان إنما سموا بذلك؛ لأن عاد لما هلكت قيل ثمود إرم فلما هلكت ثمود قيل لبقيا إرم أرمان وهم النبط الأرمانيون.

وكذلك ذكر ابن الكلبي وغيره من علماء العرب بأخبار سوا الف الأمم وكانت بلاد الكلدانيين العراق، وديار ربيعة، وديار مضر، والشأم، وبلاد العرب اليوم وبرها ومدرها اليمن، وتهامة، والحجاز، واليهامة والعروض، والبحرين، والشحر وحضرموت، وعمان، وبرها الذي يلي العراق وبرها الذي يلي الشأم وهذه جزيرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد ولسانها واحد سرياني، وهو اللسان الأول لسان آدم ونوح وإبراهيم -عليهم السلام- وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب، وإنما تختلف لغات هذه الشعوب من السريانيين اختلافًا يسيرًا على حسب ما ذكرنا من حال الفرس والعبرانية منها، والعربية أقرب اللغات بعد العبرانية إلى السريانية، وليس التفاوت بينهما بالكثير وقيل: إن أول من تكلم بالعبرانية إبراهيم الخليل -عليه السلام- بعد أن خرج من قريته المعروفة بأور كشد من بلاد كوي من خنيرث، وهو إقليم بابل وصار إلى حران من أرض الجزيرة وعبر الفرات في من كان معه إلى الشام فتكلم بها فسميت العبرانية؛ لحدوثها عند عبوره إضافة إلى العبر وبها أنزلت التوراة غير أن للإسرائيليين بالعراق لغة سريانية تُعرف بالترجوم يفسرون بها التوراة من العبرانية الأولى؛ لوضوحها عندهم وقرب مأخذها

ولفصاحة العبرانية وتعذر فهمها على كثير منهم.

ولا تنازع بين التزارية وهم: ربيعة ومضر الصريحان من ولد إسماعيل وإياد وأنهار على ما فيها من التنازع بنو نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن مقوم بن ناخور ابن تيرخ بن يعرب بن يشجب بن ثابت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقيل: إنه نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن يامر بن يشجب بن يعرب ابن الهميسع بن صابوح بن ثابت بن قيذار بن إسماعيل، وبين اليمانية وهم: حير وكهلان ابنا سبا بن يحشب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وغيرهم، من جرهم وحضر موت ابني عابر وبين الإسرائيليين وغيرهم إن إبراهيم الخليل كان سرياني اللسان، وإنه إبراهيم بن تارخ وهو آزر بن ناخور بن ساروغ بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم مجتمع مع اليمانية في عابر وأكثر نساب اليمانية وذوو المعرفة منهم يذهبون إلى أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان، وأنه إنما سُمِّي بذلك لإعراجه عن المعاني وأن لسان قحطان لم يكن عربياً بل على اللسان الأول لسان سام بن نوح وغيرهم وإن إسماعيل بن إبراهيم إنما تكلم بالعربية حين نشأ في العماليق ولد عملاق بن لاود بن أرم بن سام ابن نوح وجرهم مع أمه هاجر بمكة، ولا خلاف أيضاً بين التزارية وهم ولد إسماعيل ابن إبراهيم وبين الإسرائيليين وهم: بنو إسحاق بن إبراهيم فإن إبراهيم لم يكن عربياً ولا إسحاق ابنه وأنه ابنه إسماعيل أول من نطق بالعربية وتكلم بها، ولا خلاف بين الجميع من التزارية واليمانية في أن هوداً وصالحاً كان عربيين وأرسلا إلى عاد وثمود وأنها قبل إبراهيم الخليل وإن لم يكن لهما ذكر في التوراة.

قال المسعودي: وقد ذهب فريق من إخباري اليمانية ونسابهم ممن قدم وغير إلى أن الملك أفضى بعد عاد إلى يقطن وهو قحطان بن عابر واستشهدوا بقول علقمة ذي جدن:

وملك قحطان ملك عاد وسوف تفنيهم الخطوب

ومنهم من رأى أنه قحطان بن هود بن عبد الله بن الخلود بن عاد بن عوض بن أرم بن سام بن نوح، واسمه في التوراة الجبار بن عابر بن شاخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح واحتجوا لذلك بقول الشاعر:

وأبــــــــــــــــو قحطــــــــــــــــان هــــــــــــــــود ذو الحقــــــــــــــــف

ومنهم من ذهب على أن هودًا هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ ونساب ولد نزار ابن معد، وبعض اليمانية كهشام بن محمد بن السائب الكلبي والشرقي بن القطامي ونصر بن مزروع الكلبي وغيرهم يقولون: قحطان بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم، ويحتجون لذلك بما رواه الهيثم بن عدي الطائي وهشام بن محمد ابن السائب الكلبي عن أبيه محمد بن السائب عن أبي صالح عن عباس أن النبي ﷺ مر على فتية من الأنصار يتناضلون فقال: «ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا ارموا فإننا مع ابن الأدرع رجل من خزاعة» فلقى القوم نباهم وقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل فقال: «ارموا وأنا معكم جميعًا» وسائر اليمانية تأبى ذلك وتذهب إلى أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح على ما قدمنا ويقولون: هذا من أخبار الأحاد وليس من الأخبار المتواترة القاطعة للعدر الموجبة للعلم والعمل ولو صح لكان معنى قوله ﷺ: «ارموا يا بني إسماعيل» على الأمهات من ولد إسماعيل وقد أخبر الله - عز وجل - عن المسيح أنه من ذرية آدم مع إخباره أنه خلق من غير أب ولو أخرجه بخرج من ولد آدم؛ لأنه لا أب له لكان كاذبًا وإنما نسب على آدم من جهة أمه، والقوم أعرف بأنسابهم يتقله الباقي عن الماضي قولاً وعملاً وموزونا أنهم من ولد قحطان بن عابر ولا يعرفون غير

ذلك ومنهم من رأى أن حمير ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أقدم من عاد واحتجوا بقول الخلجان بن الوهم وكان من ملوك عاد وكان جنادة بن الأصم العادي رأى في منامه أن وفد عاد إلى الحرم هلكوا فبلغ ذلك الخلجان فقال:

أفي كل عام بدعة تحدثونها ورؤيا على غير الطريق تعبر
فإن لعاد سنة يحفظونها سنحيا عليها ما حيننا ونقبر
وإننا لنخزي من أمور تسبنا بها جرهم فيمن يسب وهمير

وأخبار حمير وكهلان أخبار قديمة سلفت كثيرًا من الأمم الماضية وتقادماً بها الدهر، وترادفت عليها الألوف من السنين وقال الناس في ذلك فأكثرُوا وإنما يرجع في أكثر ذلك إلى عبيد بن شربة الجرهمي.

ورواة أهل الحيرة وغيرهم والكلام بين الليانية، والنزارية يكثر والخطوب تطول وهو باب كبير والكلام فيه كثير، ومن ضمن الاختصار لم يجز له الإكثار وقد بسطنا الكلام فيه وأتينا على أكثر ما قيل في ذلك وحجاج الفريقين وافتخار بعضهم على بعض مثورًا ومنظومًا وغير ذلك في كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف وفي كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعًا جوامع ننبه بها على ما قدمنا ونشرف بها على ما سلف من كتبنا إذ كان مبيناً عليها وسلمًا إليها.

والأمة الثالثة: اليونانيون والروم والصقالبة والإفرنجية ومن اتصل بهم من الأمم في الجربي، وهو الشمال كانت لغتهم واحدة ويملكهم ملك واحد.

والأمة الرابعة: لوبية منها مصر وما اتصل بذلك من التيمن وهو الجنوب وأرض المغرب إلى بحر أوقيانوس المحيط لغتهم واحدة ويملكهم ملك واحد.

والأمة الخامسة: أجناس الترك من الخرخية، والغز، وكميالك، والطغزغز،

والخزر ويدعون بالتركية سبير، وبالفارسية خزران، وهم جنس من الترك حاضرة فعرب اسمهم فقييل: الخزر وغيرهم لغتهم واحدة وملكهم واحد.

والأمة السادسة: أجناس الهند والسند وما اتصل بذلك لغتهم واحدة وملكهم واحد.

والأمة السابعة: الصين والسيلي وما اتصل بذلك من مساكن ولد عامور بن يافث بن نوح ملكهم واحد ولغتهم واحدة.

ثم كثر النسل وتجلت الأجيال، وتشعبت الشعوب، والقبائل وافترقت اللغات وتفرعت وتجنست الأمم وتنوعت وتباينوا في الآراء والعبادات والمساكن والمناسك فهذه الأمم السبع كانت متميزة بعضها من بعض لكل أمة منها ملك على حياله، قد جمعهم عبادة الأصنام كل أمة منها يعظمون أصنامًا جعلوا مثاليًا لآلهة غير الآلهة التي كان يجلب مثلها غيرهم من الأمم تمثيلًا بما علا من الجواهر العلوية والأجسام السائية التي هي الأشخاص الفلكية من السبعة النيرين، وهما الشمس والقمر والخمسة وهي زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد، وغيرها من ذوات التأثير في هذا العالم والأرض، وكانت شرائع كل أمة بحسب مناسكهم وحسب الجهات التي منها معاشهم وشيمهم الطبيعية التي فطروا عليها ومن يجاروهم من سائر الأمم.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الإعصار الذي كتبنا هذا تالٍ له ومبني عليه الاجتماعات السبعة المشهورة لحكماء هؤلاء الأمم السبع في سالف الدهر، اجتمع في كل مجمع منها سبعة حكماء في إعصار مختلفة وأوقات متباينة عند حوادث وأحوال أوجبت اجتماعهم فجرى لهم فنون من البحث والنظر، وضروب من الحكم والعبر بما يحدث في الدهر من الغير بتنقل الدول وتغير الملل والكلام في العالم ما هو؟

وكيف هو؟ ولما هو؟ وما علته ومعلوله وظاهره وباطنه وحقائقه؟ واختراع
الأجسام وإنشائها، وإلى ماذا يؤول هو بعد قنائها؟ وغير ذلك من فتون
الفحص وضروب البحث.

فإذ قد ذكرنا الأمم السبع ومساكنهم، ولغاتهم، وآرائهم وما اتصل بذلك
فلنذكر الآن الفرس وملوكهم وأعدادهم وما ملكوا من السنين.

**ذكر ملوك الفرس على طبقاتهم من جيومرت وهو الأول من ملوكهم إلى
يزدجرد ابن شهریار آخرهم وعدة ما ملكوا من السنين**

جملة سني ملوك الفرس الأولى على طبقاتهم والطوائف، والفرس الثانية
وهم الساسانية أربعة آلاف سنة ومائة وأربعون سنة وخمسة أشهر ونصف،
وقد ذهب كثير ممن عني بأخبار الفرس وملوكها وطبقاتها إلى أنه قد كانت
فترات في ملك الفرس الأولى مقدارها من السنين ثلاثمائة سنة وإحدى
وثلاثون سنة من ذلك الفترة بين ملك جيومرتوت، وأوشهنج مائتا سنة
وثلاث وعشرون سنة، والفترة بين ملك أو شهنج وطهمورث مائة سنة وثمان
سنين فإذا أضيفت سنو هذه الفترات إلى ما ذكرنا من السنين صار الجميع
أربعة آلاف سنة وأربعمائة وإحدى وسبعين سنة وخمسة أشهر ونصفًا.

ذكر الطبقة الأولى من ملوك الفرس الأولى

أولهم جيومرت كلشاه: وتفسير ذلك: ملك الطين وإليه ترجع الفرس في أنسابهم وهو عندهم آدم أبو البشر وأصل النسل ملك أربعين سنة، وقيل: ثلاثين وذلك في الهزاريكه الأولى من بدء النسل: وتفسير ذلك: الألف سنة، وكان ينزل إصطخر فارس أو شهنج ملك أربعين سنة، طهمورث ملك ثلاثين سنة، جم ملك سبعمئة سنة وثلاثة أشهر، البيوراسب وهو الضحاك ملك ألف سنة والفرس تغلوا فيه.

وتذكر من أخباره أن حيتين كانتا في كتفيه تعريانه لا تهدآن إلا بأدمغة الناس وأنه كان ساحرًا يطيعه الجن والإنس، وملك الأقاليم السبعة وأنه لما عظم بغيه وزاد عتوه وأباد خلقًا كثيرًا من أهل مملكته ظهر رجل من عوام الناس، وذوي النسك منهم من أهل أصبهان إسكاف يقال له: كابي ورقع راية من جلود علامة له، ودعا الناس إلى خلع الضحاك وقتله، وعمليك أفريزون فاتبعه عوام الناس، وكثير من خواصهم ومار إلى الضحاك فقبض عليه. وأنفذه أفريزون إلى أعلى جبل دباوند بين الري وطبرستان فأودع هناك وأنه حي إلى هذا الوقت مقيد هناك في أخبار يطول ذكرها، قد شرحناها في كتاب مروج الذهب، ومعادن الجواهر وعظم ابتهاج الناس بما نال الضحاك بجوره وسوء سياسته، وتيمنوا بتلك الراية فسميت درفش كايان إضافة إلى كابي صاحبها والدرفش بالفارسية الأولى الراية وبهذه الفارسية أشفى الخرز، وحليت بالذهب وأنواع الجواهر الثمينة وكانت لا تظهر إلا في حروب عظيمة تنشر على رأس الملك أو ولي عهده أو من يقوم مقامه فلم تنزل معظمة عند جميع ملوكهم إلى أن وجه بها يزدجرد ابن شهریار آخر ملوك الفرس من الساسانية مع رستم الآذري لحرب العرب بالقادسية في سنة ١٦ على ما في ذلك من التنازع فلما هزمت الفرس، وقتل رستم صارت هذه الراية إلى ضرار بن

الخطاب الفهري فقامت ألف دينار، وقيل: إن أخذها كان يوم فتح المدائن، وقيل: يوم فتح نهاوند وذلك في سنة ١٩، وقيل: في سنة ٢١، فلما تهيأ على الضحاك من كابي ومن أبته أكثر أردشير في عهده التحذير لمن بعده من الملوك من التهاون بما يكون من نوابغ العوام ونساکهم من التجمع والترأس وإن ذلك إذا أهمل فتفاهم آل إلى انتقال الملك وزوال الرسوم، وكذلك فعل أرسطاطاليس في تحذيره الإسكندر في كثير من رسائله، وغيرهما من ذوي المعرفة بسياسة الدين والملك، واليمانية من العرب تدعى الضحاك وتزعم أنه من الأزدي، وقد ذكرته الشعراء في الإسلام فافتخر به أبو نواس الحسن بن هانئ مولى بن حكم بن سعد العشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها وهي قصيدته المشهورة التي أطل الرشيد حبسه بسببها وقيل: إنه حده لأجلها وأولها.

لست لدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

فقال فيها مفتخرًا باليمن وذاكرًا للضحاك:

فنحن أرباب ناعط ولنا صنعاء والمسك في محاربا
وكيان منا الضحاك يعبد الخابل والطير في مساربها

وفيهما يقول يهجو نزارًا:

واهج نزارا وأفر جلدتها وكشف السر عن مثالبها

وقد رد عليه قصيدته هذا جماعة من النزارية منهم رجل من بني ربيعة بن نزار قال يذكر نزارًا ومناقبها واليمن ومثالبها في قصيدة له أولها:

دع مدح دارجنا أو انتهى عهد معد بهم عاتبها

فقال:

فامدح معدا وافخر بمنصبها العالي على الناس في مناصبها
وهتك الستر عن ذوي يمن أولاد قحطان غير هائبها

وذكر أبو تمام الضحاك في قصيدة له يمدح الأفشين ويشبهه وبأفريزون
ويذكر بابك ويشبهه بالضحاك وهذه أوله:

بذل الجلال البذل فهو دفين ما إن به غير الوحوش قطين

فقال:

بل كان كالضحاك في سطواته بالعالمين وأنت أفريزون

وقد ذهب كثير من ذوي المعرفة بأخبار الأمم السالفة وملوكها إلى أن
الضحاك كان من أوائل ملوك الكلدانيين النبط، أفريزون ملك خمسمائة سنة.

ذكر الطبقة الثانية من ملوك الفرس الأولى

وهم بلان، معنى ذلك: العلويون، أولهم: منوشهر ملك مائة سنة وعشرين سنة، والفرس تعظم أمره، وترفع من شأنه، لأمر ذكروها، ومعجزات وصفوها، وبين أفريزون ثلاثة عشر أبا، وهو من ولد أيرج بن فريزون، وكان له سبعة أولاد، إليهم ترجع أكثر شعوب فارس في أنسابها، وسائر طبقات ملوكها، وهو كالشجرة للفرس في النسب، وكذلك الأكراد عند الفرس من ولد كرد بن استفندياذ بن منوشهر، منهم البازنجان، والشوهجان، والشاذنجان، والنشاور، والبوذيكان، واللرية، والجورقان، والجاوانية، والبارسيان، والجلالية، والمستكان، والجابارقة، والجروغان، والكيكان، والماجردان، والهذبانية، وغيرهم ممن بزوم فارس، وكرمان، وسجستان، وخراسان، وأصبهان وأرض الجبال من الماهات ماه الكوفة، وماه البصرة، وماه سبدان، والايغارين وهما البرج وكرج أبي دلف، وهمذان، وشهرزور، ودراباد، والصامغان، وأذريجان، وأرمينية، وأران والبيلقان، والباب، والأبواب، ومن بالجزيرة والشأم، والثغور، وقد ذهب قوم من متأخري الأكراد، وذوي الدراية منهم من شاهدناهم فيما ذكرنا من البلاد إلى أنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن حرب بن هوازن.

ومنهم من يرى أنهم من ولد سبيع من هوازن وحرب وسبيع عن نساب مضر درجا فلا عقب لهما وإنما عقب لهوازن من بكر بن هوازن، ومن الأكراد من يذهب إلى أنهم من ربيعة، ثم من بكر بن وائل وقعوا في قديم الزمان لحروب كانت بينهم إلى أرض الأعاجم وتفرقوا فيهم وحالت لغتهم وصاروا شعوبًا وقبائل.

قال المسعودي: وقد ذكرنا فيما سلف من كتابنا سائر من سكن البدو

والجبال وفي المشرق، والمغرب، والشمال، والجنوب من العرب والأكراد
والجنت والبلوج والكوج، وهم القفص بيلاد كرمان، والبربر بأرض إفريقية
المغرب من كتامة وزويلة ومزاتة، ولواتة، وهوارة، وصنهاجة وأوربة، ولطة،
وغيرهم من بطون البربر وشعوبهم والفيرة، والبجة وغيرهم من الأمم
المخيمة، وقيل: إنه ملك بعد منوشهر سهم بن أمان ابن أنفيان بن نوذر بن
منوشهر ستين سنة ثم ملك فراسيات التركي اثنتي عشرة سنة ثم غلبه زو
وملك زو ثلاث سنين وكرشاسب ثلاث سنين.

ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأولى،

وهم الكيانيون تفسير ذلك الأعزاء

أولهم كيقباز ملك مائة سنة وعشرين سنة، وكيقاوس مائة سنة وخمسين سنة، وكيوخس وستين سنة، وكيلهراسب مائة سنة وعشرين سنة وكياشتاسب مائة سنة وعشرين سنة أيضًا، ولثلاثين سنة خلعت من ملكه أتابه زرادشت بن بورشاسب بن أسبيهان بدين المجوسية فقبلها وحمل أهل مملكته عليها وقاتل عليها حتى ظهرت، وكانوا قبل ذلك على رأي الحنفاء وهم الصابئون وهو المذهب الذي أتى به بوذاسب إلى طهمورث، وهذه كلمة سريانية عرّبت وإنما هي حنيفوا وقيل: جيء بحرف بين الباء والفاء وأنه ليس للسريانيين فاء وذكر أن الصابئين نسبوا إلى صابي بن متوشلخ ابن إدريس وكان على الحنيفية الأولى وقيل: بل إلى صابي بن ماري.

وكان في عصر إبراهيم الخليل -عليه السلام- وغير ذلك من الأقاويل مما قدمنا شرحه فيما سلف من كتبنا وجاءه زرادشت بالكتاب المعروف بالأبستا وإذا عرب أثبت فيه قاف فقتيل الابتاق، وعدد سوره إحدى وعشرون سورة كل سورة في مائتين من الأوراق وعدد حروفه وأصواته ستون حرفًا وصوتًا لكل حرف وصوت صورة مفردة، منها حروف تتكرر، ومنها حروف تسقط إذا ليست خاصة بلسان الأبستا، وزرادشت أحدث هذا الخط والمجوس تسميه دين دبیره أي: كتابة الدين وكتب في اثني عشر ألف جلد ثور بقضبان الذهب حفرًا باللغة الفارسية الأولى ولا يعلم أحد اليوم يعرف معنى تلك اللغة، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية شيء من السور فهمي في أيديهم يقرءونها في صلواتهم كأشتاذ، وجترشت، وبانيست، وهادوخت، وغيرها من السور في جترشت الخبر عن مبدأ العالم ومنتهاه وفي هادوخت مواعظ، وعمل زرادشت للأبستا شرحا سماه الزند وهو عندهم كلام الرب المنزل على

زرادشت ثم ترجمة زرادشت من لغة الفهلوية إلى الفارسية، ثم عمل زرادشت للزند شرحا سماه بازند وعلمت العلماء من الموابذة والهرا بذة لذلك الشرح شرحاً سموه بارده.

ومنهم من يسميه أكرده، فأحرقه الإسكندر لما غلب على ملك فارس وقتل دارا ابن دارا، وأحدث زرادشت خطأ آخر تسميه الجوس كشن دبیره تفسیره، كتابة الكل يكتب به سائر لغات الأمم وصياح البهائم، والطير وغير ذلك عدد حروفه وأصواته مائة وستون، لكل حرف وصوت صورة مفردة؛ وليس في سائر خطوط الأمم أكثر حروفاً من هذين الخطين؛ لأن حروف اليوناني وهو المسمى الرومي في هذا الوقت أربعة وعشرون حرفاً ليس لهم حاء، ولا خاء، ولا عين، ولا باء، ولا هاء، وحروف السرياني اثنان وعشرون، والعبراني هو السرياني غير أن حروفه مقطعة..

ومنها ما لا يشبه صورته صورة السرياني والحميري، وهو قلم حمير المعروف بالمسند يقرب من السرياني وحروف العربي بالخطين تسعة وعشرون حرفاً وما عدا ذلك من حروف الأمم يقرب بعضها من بعض، وللفرس غير هذين الخطين الذين أحدثهما زرادشت خمسة خطوط مها ما تدخله اللغة النبطية، ومنها ما لا تدخله وقد أتينا على شرح جميع ذلك وما ذكروا له من المعجزات والدلائل والعلامات.

وما يذهبون إليه في الخمسة القدماء عندهم أورمزد وهو الله - عز وجل - وأهرمن: وهو الشيطان الشرير وكاه: وهو الزمان، وجاي: وهو المكان، وهوم: وهو الطيبة، والخمر: وحجاجهم لذلك وعلة تعظيمهم للنيرين وغيرهما من الأنوار والفرق بين النار والنور والكلام في بدء النسل وما كان من ميشاه وهو مهلا بن كيومرت ومن ميشاني وهو مهلينه بنت كيومرت وأن الناس من الفرس يرجعون في أنسابهم إليهما وغير ذلك من دياناتهم ووجوه

عباداتهم ومواضع بيوت نيرانهم فيما سميّا من كتبنا، ومتكلمو الإسلام من أصحاب الكتب في المقالات ومن قصد إلى الرد على هؤلاء القوم ممن سلف وخلف يحكون عنهم أنهم يزعمون أن الله تفكر فحدث من فكره شر، وأنه الشيطان وأنه صالحه وأمهله مدة من الزمان يفتنه فيها وغير ذلك من مذاهبهم مما تأباه المجوس ولا تنقاد إليه ولا تقربه، وأرى أن ذلك حكاية عن بعض عوامه ممن سمع يعتقد ذلك فنسب إلى الجميع، ويهمن ملك مائة سنة واثنتي عشرة سنة، وخماني ابنته ثلاثين سنة، ودارا الأكبر ابن بهمن اثنتي عشرة سنة، ودارا بن دارا أربع عشرة سنة وغلب الإسكندر على ملكهم ست سنين.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في آخر الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لأية علة كثرت الفرس سنني هؤلاء الملوك وأسرارهم في ذلك وحروبهم مع ملوك الترك، وتسمى تلك الحروب ببيكار معنى ذلك الإجهاد وغيرهم من الأمم وحروب رستم بن دستان واسبندياذ ببلاد خراسان وسجستان وزابلستان وغير ذلك مما كان من الكوائن والأحداث في أيامهم، وذكرنا في كتابنا في أخبار الزمان، ومن إبادة الحدثان، ومن الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة تنازع الناس في هؤلاء الفرس الأولى أهم الكلدانيون أم الملك أفضى إليهم عنهم.

وقول من قال: إن الكلدانيين إنما زال ملكهم بالأنثوريين ملوك الموصل بعد ما كان بينهم من التحزب والحروب التي أفتتهم، ومن قال: إن أول مملكة كانت في إقليم بابل بعد الطوفان ملك نمرود الجبار ومن تلاه من النماردة، وكذلك هو في التوراة وغير ذلك من التنازع في الأمم الذين بعدت عنا أعصارهم وتقطعت أخبارهم وقد نفى الله - عز وجل - الإحاطة بعلم أحوال القرون الخالية والأمم السالفة عمن سواه لتقادم زمانها وتبعد أيامها فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩].

ذكر ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف
وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
وجملة ما ملكوا من السنين

كانت ملوك الطوائف نحوًا من مائة ملك فرس، ونبط، وعرب من حد بلاد أنور وهي الموصل إلى أقصى بلاد الأعاجم، وكان المعظمون منهم والذين ينقاد الباقون إليهم الأشغانيون وهم من ولد أشغان بن أش الجبار بن سياوخش بن كيقاوس الملك وكانوا ينزلون في الشتاء العراق، وفي الصيف الشيز من بلاد أذربيجان، وفيها إلى هذا الوقت آثار عجيبة من البنيان والصور بأنواع الأصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر، وعامر، ونبات، وحيوان وغير ذلك من العجائب ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له: آذرخش وآذر: أحد أسماء النار بالفارسية والخش: الطيب وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشيًا تعظيمًا له وتندر له النذور وتحمل إليه التحف والأموال وغير ذلك من البلاد كالماهات وأرض الجبال، ولم يعد من ملوك الطوائف في التواريخ والسير إلا الأشغانيون لما ذكرنا من عظم شأنهم واتساق ملكهم.

وكان أول من يعد منهم أشك بن أشك بن أردوان بن أشغان بن أش الجبار بن سياوخش بن كيقاوس الملك ملك عشر سنين، وسابور بن أشك ستين سنة وجودرز بن أشك عشر سنين وبيزن بن سابور إحدى وعشرين سنة وجودرز بن بيزن تسع عشرة سنة، نرسي بن بيزن أربعين سنة هرمز بن بيزن تسع عشرة سنة أردوان الأكبر اثنتي عشرة سنة، خسرو بن أردوان أربعين سنة بلاش بن خسرو أربعًا وعشرين سنة، أردوان الأصغر ثلاث عشرة سنة فهذه جملة ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف وسني ملكهم وهم أحد عشر ملكًا ملكوا مائتي سنة وثمانين سنة، وقد كانت لهم ملوك لم تُعرف

أسماءهم ومدة سني ملكهم ولم يذكروا في شيء من كتب الفرس وغيرها من كتب سير الملوك لاضطراب أمر الملك في تلك الأعصار والتنازع الواقع من اختلاف الكلمة والتحزب وغلبة كل واحد منهم على صقعه، ولما نحن ذاكروه في آخر هذا الباب من فعل أردشير بابكان، والصحيح عند من عني بأخبار سؤالف الأمم وملوكهم أن مدة ملوك الطوائف بعد قتل داريوش وهو دارا بن دارا إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاثة عشرة سنة وذلك أن من أول السنة التي ملك فيها الإسكندر بن فيلبس الملك المقدوني إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ للهجرة ألف سنة ومائتين وسبعاً وستين سنة فإذا أسقط من ذلك ما بين سنة ٣٤٥ وسنة ٣٢ للهجرة وهي السنة التي قتل فيها يزدجرد بن شهريار الملك وذلك ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة وما ملكت الفرس من الساسانية من السنين وهو أربعمائة وتسع وثلاثون سنة كان الذي يبقى بعد ذلك من السنين منذ قتل الإسكندر لداريوش وهو دارا بن دارا إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وثلاث عشرة سنة وهي مدة ملك ملوك الطوائف، وقد ذكرنا جميع ما قيل في ذلك على الشرح والإيضاح في كتابنا في أخبار الزمان وفيما تلاه من الكتاب الأوسط ثم في الجزء السابع من كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" في النسخة الأخيرة قررنا أمرها في هذا الوقت على ما يجب من الزيادات الكثيرة وتبديل المعاني وتغيير العبارات وهي أضعاف النسخة الأولى التي ألفناها في سنة ٣٣٢، وإنما ذكرنا ذلك لاستفاضة تلك النسخة وكثرتها في أيدي الناس ثم في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السؤالف"، ثم في كتاب "ذخائر العلوم وما جرى في سالف الدهور"، ثم في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" الذي كتابنا هذا تال له، ومبني عليه وهو سابعها وكل واحد من هذه الكتب تال لما قبله، ومبني عليه وخصصنا كل كتاب منها بتلاقين وعبارات مما لم نخصص به الآخر إلا ما لا يسع تركه.

وبين الفرس وغيرهم من الأمم في تاريخ الإسكندر تفاوت عظيم، وقد أغفل ذلك كثير من الناس وهو سرّ ديانيّ وملوكيّ من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوي التحصيل منهم، والدراية على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الأعاجم وليس يوجد في شيء من الكتب المؤلفة لأخبار الفرس وغيرها من كتب السير والتواريخ وهو أن زرادشت بن ورشسب بن أسيبان ذكر في الأبستا - وهو الكتاب المنزل عليه عندهم - أن ملكهم يضطرب بعد ثلاثمائة سنة ويبقى دينهم فإذا كان على رأس ألف سنة ذهب الدين والملك جميعاً، وكان بين زرادشت والإسكندر نحو من ثلاثمائة سنة لأن زرادشت ظهر في ملك كيشتاسب بن كيلهراسب على ما قدّمنا من خبره فيما سلف من هذا الكتاب وأردشير بن بابك حاز الملك وجمع الممالك بعد الإسكندر بخمسمائة سنة وبضع عشرة سنة فنظر فإذا الذي بقي إلى تمام الألف سنة نحو من مائتي سنة، فأراد أن يمدّ الملك مائتي سنة أخرى لأنه خشي إن تمت مائتا سنة بعده أن يترك الناس نصرة الملك والذبّ عنه ثقة بخير نبيهم في زواله فنقص من الخمسمائة سنة والبضع عشرة سنة التي بينه وبين الإسكندر نحواً من نصفها، وذكر ملوك الطوائف من ملك هذه السنين وأسقط من عداهم وأشاع في المملكة أن ظهوره واستيلاءه على ملوك الطوائف وقتله أردوان أعظمهم شأنًا وأكبرهم جنودًا إنما كان في سنة مائتين وستين بعد الإسكندر، فأوقع التاريخ بذلك وانتشر في الناس فلهذا وقع الخلاف بين الفرس وغيرهم من الأمم واضطرب تاريخ سني ملوك الطوائف لهذه العلة، وقد ذكر ذلك أردشير بن بابك في آخر عهده الذي أورثه من بعده من الملوك من ولده في سياسة الدين والملك فقال: ولولا اليقين بالبور النازل على رأس الألف سنة لظننت أني قد خلّفت فيكم من عهدي ما إن تمسكتم به كان علامة لبقاتكم ما بقي الليل والنهار؛ ولكن الفناء إذا جاءت أيامه أطعتم أهواءكم وطرحتم آراءكم وملكتم شراركم وأذلّتم خياركم، وذكر ذلك أيضًا تنشر موبذ أردشير الداعي إليه والمبشر بظهوره في آخر رسالته إلى ماجشنس

صاحب جبال دباوند والري وطبرستان والديلم وجيلان فقال: ولولا إننا قد علمنا أن بليّة نازلة على رأس الألف سنة لقلنا إن ملك الملوك قد أحكم الأمر للأبد؛ ولكنّا قد علمنا أن البلايا على رأس الألف سنة وأن سبب ذلك ترك أمر الملوك وإغلاق ما أطلق وإطلاق ما أغلق وذلك للفناء الذي لا بد منه ولكنّا وإن كنا أهل فناء فإن علينا أن نعمل للبقاء ونحتال له إلى أمد الفناء، فكن من أهل ذلك ولا تعن الفناء على نفسك وقومك فإن الفناء مكتف بقوته عن أن يعان وأنت محتاج إلى أن تعين نفسك بما يزينك في دار الفناء وينفعك في دار البقاء ونسأل الله أن يجعلك من ذلك بأرفع منزلة وأعلى درجة.

ذكر ملوك الفرس الثانية وهم الساسانية وهي الطبقة

الخامسة من ملوكهم

كان أولهم أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك من ولد بهمن بن أسبندياذ بن كيشتاسب بن كيلهراسب، وهو الذي أزال ملوك لطوائف ويسمى ملكه ملك الاجتماع ملك أربع عشرة سنة وشهوراً ثم زهد في الملك وسلمه إلى ولده سابور وتفرد بالعبادة وبعد ملكه مذ قتل أردوان الملك وكان من أعظم ملوك الطوائف بالعراق وقد ذكرنا السبب في مبدأ ظهور أردشير وخبر داعيه تنشر الزاهد، وفي الناس من يسميه دوشر وكان أفلاطوني المذهب من أبناء ملوك الطوائف أفضي ملك أبيه إليه بأرض فارس فزهد فيه وكيف دعا إلى أردشير وبشر بظهوره وبث الدعاة في البلاد لذلك ووطأ له الأمر حتى اجتمع له الملك واستظهر على جميع ملوك الطوائف، ولتنشر رسائل جسان في أنواع السياسة الملوكية والديانة يخبر عن أردشير، وحاله ويعتذر عنه مما فعل في ملكه من أمور أحدثها في الدين والملك لم تعهد لأحد من الملوك قبله، وإن ذلك هو الصلاح لما توجه الأحوال في ذلك الزمان منها رسالته إلى ماجشنس المقدم ذكرها ورسالته إلى ملك الهند وغيرهما من رسائله، الثاني سابور بن أردشير ملك إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وفي أيامه كان ماني وإليه تضاف المانوية من أصحاب الاثنين، الثالث هرمز بن سابور ملك سنة وعشرة أشهر، الرابع بهرام بن هرمز ملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر وقتل ماني وعدة من متبعيه وذلك بمدينة سابور فارس، الخامس بهرام بن بهرام ملك سبع عشرة سنة وقيل ثمان عشرة، السادس بهرام بن بهرام ملك أربع سنين وأربعة أشهر، السابع نرسي بن بهرام بن بهرام ملك تسع سنين وستة أشهر، الثامن هرمز بن نرسي ملك سبع سنين وخمسة أشهر، التاسع سابور ذو الأكتاف بن هرمز ملك اثنتين وسبعين سنة، العاشر أردشير بن هرمز ملك أربع سنين، الحادي عشر سابور بن سابور ذي الأكتاف ملك خمس سنين وأربعة أشهر، والثاني

عشر بهرام بن سابور ملك إحدى عشرة سنة، والثالث عشر يزدجرد الأئيم بن سابور ملك إحدى وعشرين سنة، الرابع عشر بهرام جورة بن يزدجرد ملك ثلاثاً وعشرين سنة، وهو الذي نشأ عند ملوك الحيرة وبنى له الخورنق لأمر قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا، وكان فصيحاً بالعربية وله بها شعر صالح، الخامس عشر يزدجرد بن بهرام جور ملك ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام، السادس عشر فيروز بن يزدجرد ملك سبعاً وعشرين سنة وقتله أخشنوار ملك الهياطلة، السابع عشر بلاش بن فيروز ملك أربع سنين، الثامن عشر قباد بن فيروز ملك ثلاثاً وأربعين سنة وفي أيامه كان مزدق الموبذ المتأول كتاب زرادشت المعروف بالأبستاق، والجاعل لظاهره باطنًا بخلاف ظاهره وهو أول من يُعدُّ من أصحاب التأويل والباطن والعدول عن الظاهر في شريعة زرادشت وإليه تضاف المزدقية، والتاسع عشر أنوشروان بن قباد ملك ثمانى وأربعين سنة وقتل مزدقاً ومتبعيه وقد أتينا على الفرق بين مذهب مزدق وما كان يذهب إليه في التأويل وبين ما ذهب إليه ماني، والفرق بين ماني ومن تقدّمه من أصحاب الاثنى كابين ذيّصان ومريقيون وغيرهما وما ذهبوا إليه جميعاً في الفاعلين وأن أحدهما خير محمود مرغوب والآخر شرير مذموم مرهوب منه، والفرق بين هؤلاء جميعاً وما يذهب إليه الباطنية أصحاب التأويل في هذا الوقت في كتاب خزائن الدين، وسرّ العالمين وأنوشروان أول من سنّ رسوم الخراج ويّنّ وضائعه وكان فيما سلف مقاسمة وقد كان أبوه قباد شرع في ذلك في آخر أيامه ولم يتمّه، وقد ذكرنا ذلك في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" في باب ذكر السواد ومساحته ووصف طساسيجة وقسمته والعراق وحدوده من الأرض ووصف نهاياته في الطول والعرض، والعشرون هرمز بن أنوشروان ملك اثنتى عشرة سنة وخالف عليه بهرام جوبين الرازي قال ذلك إلى أن سمل هرمز ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره، والحادي والعشرون خُشرو أبرويز بن هرمز ملك ثمانى وثلاثين سنة وقتله ابنه شيرويه بن أبرويز، والثاني والعشرون

شيوخه بن أبرويز قاتل أبيه، واسمه قباذ ملك ستة أشهر، والثالث والعشرون أردشير بن شيوخه ملك ستة وستة أشهر، الرابع والعشرون شهربراز ملك أربعين يوماً وقد أتينا على خبره وسبب مقتله ومقتل غيره من فرسان الفرس وشجعانهم على طبقاتهم من الملوك وغيرهم ممن أجمع علي تقديمه وتفضيله وشجاعته ومقاماته المشهورة وأيامه المذكورة في كتاب لنا ترجمناه بكتاب مقاتل فرسان العجم معارضة لكتاب أبي عبيدة معمر بن المثنى في مقاتل فرسان العرب، والخامس والعشرون كسرى بن قباذ ملك ثلاثة أشهر، السادس والعشرون بوران ابنة كسرى أبرويز ملكت ستة وستة أشهر وكان ملكها في السنة الثانية من الهجرة وفيها قال رسول الله ﷺ حين بلغه تمليك الفرس إياها وما بينهم من التحزب والفتن: لا يفلح قوم يدبر أمرهم امرأة، السابع والعشرون فيروز جشنس بنده ملك ستة أشهر، الثامن والعشرون أزميدخت بنت كسرى أبرويز ملكت ستة أشهر، وكان خرهرمز الأزري أصبهذ خراسان وهو أبو رستم صاحب القادسية بالحضرة فطمع فيها، ورأسلها في الاجتماع معها فواعدته ليلاً وأمرت صاحب الحرس بالفتك به ففعل ذلك وكان رستم يخلف أباه بخراسان وقيل بأذربيجان وأرمينية فلما بلغه قتلها لأبيه سار إليها فقتلها به وذلك في السنة العاشرة من الهجرة التاسع والعشرون فرخزاد خسرو بن أبرويز ملك سنة، الثلاثون يزدجرد بن شهریار بن كسرى أبرويز بن هرمز أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الأثيم بن سابور الأصغر بن سابور الأكبر ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ملك عشرين سنة وهو آخر ملوكهم والمقتول بمرو من بلاد خراسان سنة ٣٢هـ في خلافة عثمان بن عفان.

وكانت للفرس مراتب أعظمها خمسة، هم وسائط بين الملك وبين سائر رعيته فأولها وأعلاها الموبذ تفسيره حافظ الدين لأن الدين بلغتهم موبذ

وهو موبدان موبذ رئيس الموابذة وقاضي القضاة ومرتبته عندهم عظيمة نحو من مراتب الأنبياء والهرابذة دون الموابذة في الرتبة، والثاني الوزير واسمه بزر جفر مذار تفسير ذلك أكبر مأمور والثالث الأصهبذ وهو أمير الأمراء وتفسيره حافظ الجيش، لأن الجيش أصبه وبذا حافظ على ما رتبنا، والرابع دبیر بذ تفسيره حافظ الكتاب، والخامس هو تحشه بذ تفسيره حافظ الكتاب، والخامس هو تحشه بذ تفسيره حافظ كل من يكذب يديه كالمهنة والفلاحين والتجار وغيرهم ورئيسهم ومنه من يسميه واستريوش وكان هؤلاء المدبرين للملك والقوام به والوسائط بين الملك، وبين رعيته، فأما المربزان فهو صاحب الثغر لأن المرز هو الثغر بلغتهم وبنان القيم وكان المرازبة أربعة للمشرق والمغرب والشمال والجنوب كل واحد على ربع المملكة، وللفرس كتاب يقال له كهناماه فيه مراتب مملكة فارس وأنها ستائة مرتبة على حسب ترتبهم لها، وهذا الكتاب من جملة آئين ناماه تفسير آئين ناماه كتاب الرسوم وهو عظيم في الألو ف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوي الرئاسات، والموبذ لهم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥ بأرض الجبال والعراق وسائر بلاد الأعاجم أنماذ بن أشهرشت وكان الموبذ قبله أسفنديار بن أرباد بن أنميد الذي قتله الراضي بمدينة السلام في سنة ٣٢٥، وقد أتينا على خبره وقصة مقتله وما ذكر من سببه مع القرمطي سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين في ذلك في أخبار الراضي من كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر.

وقد تنازع من عني بأخبار الملوك والأمم في أنساب الفرس وتسمية ملوكهم ومدة ما ملكوا ولم نذكر من ذلك إلا ما ذكرته الفرس دون غيرهم من الأمم كالإسرائيليين واليونانيين والروم؛ إذ كان ما يذهبون إليه في ذلك خلاف ما حكته الفرس وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها وإن كان أخبارهم قد درست ومناقبهم قد نسيت ورسومهم قد انقطعت لمر الزمان، وتتابع الحدثنان

فلا نذكر منها إلا اليسير وكانوا أهل العزّ الشأمخ والشرف الباذخ والرئاسة والسياسة فرسانًا في الوغى صبر عند اللقاء أدّت إليهم الأمم إتاوات وانقادت إلى طاعتهم خشية صولتهم وكثرة جنودهم، وقد أتينا على تنازع الناس في أنساب فارس وتفرّع أقاويلهم في ذلك في الجزء البسابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر، وللبابليين ملوك قد ذكروا في كثير من الكتب والزيجات في النجوم مثل النمرود ومن تلاه من الشاردة وسنحاريب وبخت نصر ومن كان بعده من ولده وغيرهم لم نعرض لذكرهم في هذا الكتاب للتنازع الواقع في أعدادهم وتسميتهم وسني ملكهم وتقادم أيامهم. والفرس تذكر أن هؤلاء الملوك البابليين إنما كانوا خلفاء للوكتهم الأولى ومرادبة على العراق، وما يليه من المغرب حيث كانت دار مملكتهم بلخ إلى أن انتقلوا عنها ونزلوا المدائن من أرض العراق، وكان أول من فعل ذلك خماني ابنة بهمن بن أسبندياذ، قال المسعودي: ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات، المشرفة من الفرس كتابًا عظيمًا يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنتهم وسياستهم لم أجدها في شيء من كتب الفرس كخداي ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها مصوّر فيه ملوك فارس من آل ساسان سبعة وعشرون ملكًا منهم خمسة وعشرون رجلًا وامرأتان، قد صوّر الواحد منهم يوم مات شيخًا كان أو شابًا وحليته وتاجه ومخط لحيته وصبورة وجهه وأنهم ملكوا الأرض أربع مائة سنة وثلاثًا وثلاثين سنة وشهرًا وسبعة أيام، وإنهم كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوّروه على هيئته ورفعوه إلى الخزان كي لا يخفى على الحيّ منهم صفة الميت وصورة كل ملك كان في حرب قائمًا، وكل من كان في أمر جالسًا وسيرة كل واحد منهم في خواصه وعوامه وما حدث في ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة، وكان تأريخ هذا الكتاب إنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية، فكان أول ملوكهم فيه أردشير شعاره في صورته أحمر مدنّر وسراويله

لون السماء وتاجه أخضر في ذهب، بيده رمح وهو قائم وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز شعاره أخضر موشى وسراويله موشى لون السماء وتاجه أجبر قائم بيده رمح معتمد على سيفه بأنواع الأصباغ العجمية التي لا يوجد مثلها في هذا الوقت والذهب والفضة المحلولين ونحاسه محكوك والورق فرفيري، اللون عجيب الصبغ فلا أدري أورق هو أم رق لحسنه وإتقان صنعته، وقد أتينا على جل من ذلك الجزء السابع من كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الحاوي لأخبار الفرس الأولى وهم الكيانيون والطوائف من الأشغال والأردوان وغيرهم الساسانية وطبقاتهم وأنسابهم وملوكهم إلى يزدجرد بن شهريار آخرهم ومن أعقب منهم ومن لم يعقب وسيرهم وحروبهم وحيلهم ومكايدهم فيها وكيفية غلبتهم على العراق، وزوال ملك النبط الأردوان منهم والأرمان وضروب سياساتهم الديانية والملوكية الخاصة منها والعامة، وعهودهم وخطبهم ورسائلهم ومبلغ سني ملكهم وشعارهم، وما كان من الكوائن والأحداث في أعصارهم ومبدأ دين المجوسية، وظهورها وخبر زرادشت نبيهم وما جاء به وخطوطهم السبعة التي كانوا يكتبون بها وأحرف كل خط منها ولما أفرد وأعيادهم من النواير والمهرجان وعلة كل نوروز منها، وغير ذلك من الأعياد والعلة في إيقادهم النيران وصبهم المياه وشدهم الكساييج في أوساطهم كشد النصارى الزناير وأسباب الملك وحاجة الناس إلى الملوك والتدبير والحوادث المنذرات بزوال الملك من فارس إلى العرب، وما كانوا يرونه عن أسلافهم ويتوقعون من الدلائل والعلامات في ذلك واحتراس ملوكهم عن وقوعه وضروب آيئتهم من المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن وغيرها وأحكامهم في خواصهم وعوامهم، وما بنوا من المدائن وكوّروا من الكور وحفروا من الأنهار، وأثروا في الأرض من عجيب البنيان وبيوت النيران والعلة في عبادتهم إياها، وما قالوه في مراتب الأنوار والفرق بين النار والنور وأضداد الأنوار ومراتبها ومراتب ذوي الرئاسات الملوكية والديانية من المرازبة والأصبهزين،

والهرا بذة والموابذة ومن دونهم ورايات الفرس وأعلامهم وتشعب أنسابهم وما قال الناس في ذلك واليوت المشرقة فيهم من أبناء الملوك وغيرهم، والشهارجة والدهاقين والفرق بينهم وبين من سكن منهم في السواد وغيره من البلاد قبل ظهور الإسلام وبعده إلى هذا الوقت المؤرخ، وما تذكره الفرس في المستقبل من الزمان ويتظرونه في الآتي من الأيام من عود الملك إليهم ورجوعه فيهم وظهوره عليهم، وما يذكرون من دلائل ذلك ونذراته بتأثيرات النجوم وغيرها من الأمارات والعلامات كظهور المنتظرين عندهم كبهرام هماوند وسشياوس وغيرها وما يكون من قصصهم وما يحدث في الأرض من الآيات ووقوف الشمس نحو من ثلاثة أيام وغير ذلك وذلك إلى مدة حدودها وأوقات قرورها رأينا الاضطراب عن ذكرها في هذا الكتاب وقول من قال منهم بعد ظهور الإسلام إن الفرس من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل وما استشهدوا به على ذلك من أشعار ولد معد بن عدنان في افتخارهم بالفرس على اليمانية وأنهم من ولد أبيهم إبراهيم كقول جرير بن الخطفي التميمي مفتخرًا لنزار على اليمن:

أبونا خليل الله لا تنكرونا	فأكرم بإبراهيم جسدًا ومفخرًا
وأبناء إسحاق الليوث إذا ارتدوا	حاتل موت لابسين السنورا
إذا افتخرنا عدو الصبهد منهم	وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
أنوبا أبو إسحاق يجمع بيتنا	أب كان مهديًا نبيًا مطهرا
ويجمعنا والغرب أبناء فارس	أب لا يبالى بعده من تأخرا
أبونسا خليل الله والله رينا	رضينا بما أعطى الإله وقدرًا

وكقول إسحاق بن سويد العدوي عدي قريش:

إذا افتخرت قحطان يومًا بسودد	أتى فخرنا أعلى عليها وأسودا
ملكناهم بدءًا بإسحاق عينا	وكانوا لنا عودًا على الدهر أعبدا
ويجمعنا والغرب أبناء فارس	أب لا يبالى بعده من تفردا

وكقول بعض النزاريّة:

وإسحاق وإسماعيل مـدا معالي الفخر والحسب اللبابا
فوارس فارس وينخوا نزار كلا الفرعين قد كبرا وطابا

وإن الفرس قد كانت في سالف الدهر تقصد البيت الحرام بالندور العظام
تعظيمًا لإبراهيم الخليل عليه السلام بابه وأنه عندهم أجل الهياكل السبعة
المعظمة والبيوت المشرفة في العالم، وأن رجلاً تولاه فأعطاه المدة والبقاء
واستشهدوا بقول بعض العرب في الجاهلية:

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وقول من قال منهم: إن منوشهر الذي ترجع إليه الفرس جميعًا في أنسابها
هو منشخر بن منشخرباغ وهو يعيش بن ويزك ويزك هو إسحاق بن إبراهيم
الخليل واستشهداهم بقول بعض شعراء الفرس في الإسلام مفتخرًا:

أبونا ويزك وبه أسامي إذا افتخر المفخر بالولادة
أبونا ويزك عبد رسول له شرف الرسالة والزهادة
فمن مثلي إذا افتخرت قروم وييتي مثل واسطة القلادة

وقول من قال منهم جميعًا: إن الملك سيتقل من ولد إسماعيل إلى ولد
إسحاق وهذا هو الأغلب على باطنة عصرنا من أصحاب التأويل مع من
ينازعهم هل ذلك في ولد العيص، أم في المصطفين من ولد آل عمران ولذوي
المعرفة منهم في ذلك ألغاز ورموز وأعراض وغير ذلك من أخبارهم والغرر
من أيامهم مما أخذنا عن علمائهم كالموابذة والهراينة وغيرهم من ذوي المعرفة
بأخبارهم بأرض العراق وخوزستان وفارس وكرمان، وسجستان والماهات
وغير ذلك من أرض الأعاجم. ونقلناه من الكتب الصحيحة المشهورة
عندهم، وكتاب مروج الذهب يشتمل على الأخبار عن بدء العالم وأوليته،
وأقاول الأمم في ذلك من أصحاب القدم والحدث وما احتج به كل فريق

منهم لقولهم على تباينهم والخلق وتفرقهم على الأرض والأنبياء وشرائعهم، والملوك وسيرهم وسياساتهم والأمم وآرائهم ونحلهم وشيمهم وأخلاقهم ومساكنهم من أخبار العرب، والفرس والسرانيين واليونانيين والروم والهند والصين وغيرهم من الأمم ومن كان فيهم من الأطباء والحكماء والفلاسفة القدماء والنواحي والآفاق والأرض وشكلها وقسمتها، وما على ظهرها من عجيب البنيان والعامر منها والغامر والأفلاك وهيئاتها والنجوم وكيفية تأثيراتها في هذا العالم الأرضي. ووصف الأقاليم السبعة ومقاديرها وأطوالها وعروضها والبحار وخلجانها والمتصل منها والمتفصل، وما فيها وحولها من العجائب وما كان من الأرض برًا فصار بحرًا وبحرًا فصار برًا على مرور الأزمان، وكروور الدهور وعلّة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي والأنهار ومبادئها ونهاياتها وأخبار الأمم الدائرة والممالك البائدة وجامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا ﷺ ومولده ومبعثه وهجرته، ومغازيه وسراياه وسواريه إلى وفاته والخلفاء والملوك من بعده وكتائبهم ووزرائهم والغرر من أخبارهم، وما كان من الكوائن والأحداث والحروب في أيامهم إلى سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع وهو مجزأ على ثلاثمائة وخمس وستين جزءًا فإذا اجتمع كانت سمته كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وإذا افترق كان كل جزء منه كتابًا قائمًا بنفسه مضافًا إلى ما اشتمل عليه وأفرد له.

ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين

عدّة ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستّة عشر ملكًا وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يومًا، وذلك موجود في قانون ثاون الإسكندراني وغيره وقد ذهب قوم ممن عني بأخبار سيرة الملوك وتواريخ الأمم إلى أن عدّة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين، وقيل في عدة ملوكهم ومدة سنينهم أكثر من ذلك وأقل غير أن الأشهر ما ذكرناه، وكان أول من يعدّ من ملوك اليونانيين في التاريخ المقدم للحنفاء والقوانين والزيجات في النجوم وغيرها فيلبس أبو الإسكندر ملك سبع سنين وكان لليونانيين قبله ملوك سلفوا يُتنازع في أعدادهم وسماتهم، ومدة ما ملكوا من السنين، الثاني ابنه الإسكندر الملك ملك خمس عشرة سنة تسعًا منها قبل قتله دارا بن دارا وستًا بعد قتله إيّاه على ما في ذلك من التنازع في مدة ملكه بين المجوس والنصارى وغيرهم، وأفضى الملك إليه وله ست وثلاثون سنة والعوام تكثّر من سنه وهذا هو المعول عليه، الثالث أبطليموس أوزنداس ملك سبع سنين، الرابع أبطليموس الكصندرس ملك اثنتين وعشرين سنة وهو الذي نقلت له التوراة نقلها اثنان وسبعون حبرًا بالإسكندرية من بلاد مصر من اللغة العبرانية إلى اليونانية وقد ترجم هذه النسخة إلى العربية عدة ممن تقدم وتأخر منهم جنين بن إسحاق، وهي أصح نسخ التوراة عند كثير من الناس فأما الإسرائيليون من الأشمعت وهم الحشر والجمهور الأعظم والعنانية وهم ممن يذهب إلى العدل والتوحيد فيعتمد في تفسير الكتب العبرانية والتوراة والأنبياء والزبور وهي أربعة وعشرون كتابًا وترجمتها إلى العربية على عدة من الإسرائيليين المحمودين عندهم قد شاهدنا أكثرهم منهم أبو كثير يحيى بن زكرياء الكاتب الطبراني أشمعتي المذهب وكانت وفاته في حدود العشرين والثلاثمائة، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومي

أشمعثي المذهب أيضًا، وكان قد قرأ على أبي كثير وقد يفضل تفسيره كثير منهم وكانت له قصص بالعراق مع رأس الجالوت داود بن زكي من ولد داود، واعترض عليه وذلك في خلافة المقتدر وتحزب من اليهود لأجلهما وحضر في مجلس الوزير علي بن عيسى وغيره من الوزراء والقضاة وأهل العلم لفصل ما بينهم وترأس الفيومي على كثير منهم وانقادوا إليه وكانت وفاته بعد الثلاثين والثلاثمائة، ومنهم داود المعروف بالقومسي وكانت وفاته سنة ٣٣٤ وكان مقيمًا ببيت المقدس وإبراهيم البغدادي ولم أشاهدهما وقد كانت جرت بيننا وبين أبي كثير ببلاد فلسطين والأردن مناظرات كثيرة في نسخ الشرائع والفرق بين ذلك وبين أعبداء وغير ذلك وبين يهودا بن يوسف المعروف بابن أبي الثناء تلميذ ثابت بن قرّة الصابئ في الفلسفة والطب في الرقة من ديار مصر، وبين سعيد بن علي المعروف بابن أشلميا بالرقة أيضًا، وكذلك بين من شاهدنا من متكلميهم بمدينة السلام مثل يعقوب بن مردويه ويوسف بن قيوما وآخر من شاهدنا منهم ممن تقدّم إلينا من مدينة السلام بعد الثلاثمائة إبراهيم اليهودي التستري وكان أحذق من تأخر منهم في النظر وأحسنهم تصرفاً فيه.

الخامس أبطليموس الأريب ملك سبعًا وعشرين سنة، السادس أبطليموس محب أخيه ملك ستًا وعشرين سنة، السابع أبطليموس الصانع ملك خمسًا وعشرين سنة، الثامن أبطليموس محب أبيه ملك سبع عشرة سنة، التاسع أبطليموس الظاهر ملك أربعًا وعشرين سنة، العاشر أبطليموس محب أمه ملك عشرين سنة، الحادي عشر أبطليموس الحوال ملك ثلاثًا وعشرين سنة، الثاني عشر أبطليموس المخلص ملك سبع عشرة سنة، الثالث عشر أبطليموس الكصندرس أيضًا ملك عشرين سنة، الرابع عشر أبطليموس قساس ملك ثمانية عشر يومًا، الخامس عشر أبطليموس ديونسيوس ملك تسعًا وعشرين سنة، السادس عشر قلوبطرة ابنة أبطليموس ملكت اثنتين وعشرين

سنة وكانت حكيمة ولها كتب في الرقية وغيرها، وليس أبطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وغيره من الكتب من هؤلاء البطليموسيين ولم يكن ملكاً وقد بينا ذلك في كتاب "أخبار ملوك الروم الأولى" فيما يرد من هذا الكتاب في ملك أنطونيوس بيوس مجملًا وفيما تقدمه من الكتب مشروحًا.

وأتينا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" على أخبار اليونانيين وأنسابهم وآرائهم وديارهم والتنازع في بدء أنسابهم ومن قال: إنهم من ولد يونان بن يافث بن نوح ومن قال: بل هو يونان بن أرعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ومن قال: بل هو يونان بن عابر أخو قحطان بن عابر، ومن ذهب إلى أنهم من ولد اليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم وأنهم أخوة الروم وغير ذلك من الأقاويل، وكيفية غلبة الروم عليهم ودخولهم في جملتهم حتى زال اسمهم وانقطع ذكرهم ونسب الجميع إلى الروم بغلبة أوغسطس الملك عليهم عند خروجه من رومية ومسيره إلى الشام ومصر، وتنازع الناس في الفلاسفة كفيثاغورس وثاليس وأنبدقليس والرواقئين وأصحاب الأسطوان وأميرس وأرسيلوس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وثاوفرسطس وثامسطيوس وأبقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة والأطباء أروم هم أم يونانيون؟ وما ذكرنا من الشواهد من كتبهم أنهم يونانيون وقول من قال: إنهم روم وسير ملوكهم وحروبهم وأخبار الإسكندر وسيره ومسيره في مشارق الأرض ومغاربها ما وطئ من ممالك ولقي من الملوك وبنى من المدن، ورأى من العجائب وأخبار الردم وهو سد يأجوج ومأجوج وما كان بينه وبين معلمه أرسطاطاليس بن نيقوماخس صاحب كتب المنطق وغيرها، وتفسير أرسطاطاليس الغداء التام وقيل تام الفضيلة لأن أرسطو هو الفضيلة وطاليس تام وتفسير نيقوماخس قاهر الخصم من الرسائل والمكاتبات في ضروب السياسات الملوكية والديانية وغير ذلك وتنازع الناس في الإسكندر أهو ذو القرنين أم غيره، وما قيل في ذلك وما

كان من أخبار خلفائه بعده كأنطيوخس الباني مدينة أنطاكية وإلى اسمه أضيفت
 فعربتها العرب فسمتها أنطاكية وكسليقس الباني مدينة سلوقية وغيرهما وما
 كان بينهم وبين من كان بالإسكندرية من بلاد مصر من الحروب، وأخبار
 الفلاسفة وآرائهم الإلهيين منهم والطبيين، ومن قتل منهم، وما كانوا عليه
 من الآراء إلى عهد سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس من الفلسفة المدنية وما
 أحدثوه من الآراء خلافاً على من تقدم ومباينة للفلسفة الأولى الطبيعية التي
 إليها كان يذهب فيثاغورث وثاليس الملطي وعوام اليونانيين وصابثو المصريين
 الذين بقيتهم في هذا الوقت صابثو الحرانيين وقد ذكر ذلك أرسطاطاليس في
 كتابه في الحيوان وهو تسع عشرة مقالة فقال: ولما كان منذ عشرين سنة من
 زمن سقراط مال الناس عن الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة المدنية وما ذهب إليه
 سقراط ومن رأى رأيه ممن سميناه في الموجود الأول الذي اقتبست الموجودات
 وجودها عنه، وكيف يفيض عليها بجموده وكيف حصلت الموجودات عنه
 وعلى أي شيء هو سبب وجودها وغاية لها وعلى أي جهة ينبغي أن يعتقد،
 وكيف ترتيب مراتبها في الوجود وكيف ارتبط بعضها ببعض وبأي شيء
 ارتبطت واثقلت ومن أي شيء موادها، وما جواهر الأجسام الطبيعية التي
 تحتوي عليها الأجسام السماوية وهي الأجسام الهولانية وما مراتب
 الروحانيين، وما فوض إلى كل واحد منهم من التدبير ونفس الإنسان وكم
 قواها وما فعل كل واحد منها، ومرتب بعضها في بعض وإحصاء جمل
 أعضائها ومرتبها وأي القوى هي الرئيسية؟ وما مراتبها؟ ومن انتهى في
 الرئاسة؟ وأيها المخلومة وأيها الخادمة؟ وكيف يحدث العقل في الإنسان؟
 وكيف فعل العقل الفعال في الحر الناطق وتنازع الناس في السعادة المطلوبة
 التي لها كون الإنسان وما الشقاء الذي يصير إليه إذا حاد عن طريق السعادة،
 وذكر المنام وأصناف الرؤيا ولأي جزء من أجزاء النفس ذلك وما الرؤيا
 الصادقة ومن أين تحصل للنفس وكيف صارت الصادقة تدل على أي جهة
 تدل، وكيف الطريق إلى علم عبارة الرؤيا، وما الحاجة إلى الاجتماعات

الإنسانية وأصناف الاجتماعات وهي التي بها يتعاونون على بلوغ أغراضهم التي إليها يأتون وأبها عظمى وأبها وسطى، وأبها صغرى وما الاجتماع المدني الذي يكون في المدينة الفاضلة وما المدينة الفاضلة وما مراتب أجزائها ومراتب رئاساتها وكيف صارت منزلة أجزاء هذه المدينة منزلة أعضاء الحيوان من الحيوان فإنهم يتعاونون على تكميل السعادة للإنسان كما يتعاون أعضاء الحيوان على تكميل حياة الحيوان وكيف ينبغي أن يكون ملك هذه المدينة ورئيسها الأول وأي علامات وشرائط ينبغي أن تكون فيه مولده وفي صباه وحدثه يرشح بها لملك المدينة الفاضلة والفضائل التي يصير بها سائسا كاملا ورئيسا فاضلا، وبأي آداب وصناعات يؤدب فتمكن فيه حتى تحصل له مهنة الملكية الفاضلة، وفي أي الأمم يوجد ذلك في الأغلب وفي أيها في النادر وهل هو جزء من أجزاء المدينة أم غيرها على ما في ذلك من التنازع بين أفلاطون وأرسطاطاليس على حسب ما ذكره أفلاطون في كتاب الفحص عن ملك المدينة الفاضلة الذي هو الفيلسوف في الحقيقة، وذكره أرسطاطاليس في كتابه في السياسة المدنية وعدد أجزاء هذه المدينة ومثلها الطبيعية وكيف ينبغي أن تكون الرئاسات التي تتبع الرئيس الأول في هذه المدينة، وبماذا تكمّل وتلتئم تلك الرئاسات وكم أصناف المدن المضادة للمدينة الفاضلة كالمدن الجاهلية والمدن الضالة والمدن الفاسقة ومراتب ملوكهم ورئاساتهم ونحو ماذا يأمن وعلى بلوغ أي غرض يتعاونون، وما أصناف السعادات التي تصير إليها أنفس أهل المدينة الفاضلة في الحياة الآخرة وأصناف الشقاء التي تصير إليها أنفس أهل المدن المضادة للمدينة الفاضلة في الحياة الآخرة، وما الأشياء التي ينبغي أن يعلمها ويعمل بها أهل المدينة الفاضلة باشتراك وعلى العموم لينالوا بها السعادة الكاملة المطلوبة وما العلامات التي يتميز بها أهل المدينة الفاضلة من باقي الأمم والمدن المضادة لهم، وما ينبغي أن تكون عليه أحوال أهل المدينة الفاضلة متى لم تكن لهم مدينة تخصهم وكانوا غرباء في المدن المضادة لمدينتهم وذكر الأصول الفاسدة التي منها تفرّعت أصناف الآراء والاجتماعات والمدن

والرئاسات الجاهلية والأصول الفاسدة التي منها تنشأ أصناف الآراء الاجتماعات والمدن والرئاسات الضالة، وقولهم في الأوائل التي بها وجود سائر الموجودات وهي الأول أكملها وجودًا إذا لم يكن وجوده لأجل غيره ووجود كل ما سواه لأجله والأشياء منه لا هو منها اقتبست وجودها من وجوده فهو كل الأشياء وليست الأشياء هو ومعرفته الواجبة ألا طريق إليها إلا منه ولا سبيل إليه إلا به إذا كانت العلة لا يدركه معلول ولا يحدث قديمًا ولا مخلوق خالقًا والثواني التي تليه في الوجود ومراتبها بحسب مراتب الأجسام السمائية وعددها على عددها، والعقل الفعال والنبس والصورة والهيولي وأن باقي الموجودات هي الأجسام أجناسها ستة: الجسم السمائي والحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والنبات والأجسام الحجرية وهي المعدنية والاستقصات الأربعة، وهي النار والهواء والماء والأرض وما ذهبوا إليه في العقل الأول والثاني والنبس وما تحت ذلك من الطبائع وأن العقل هو العلة المتوسطة بين الله عز وجل وبين خلقه، والسبب الذي شرفت به النفس الناطقة في عالمها والمرأة التي بها تنظر إلى محاسنها ومساوئها، وبها تتأمل صور مهالكها ومناجيبها وقولهم في النفس الناطقة وغيرها من النفوس كالنزاعية والتخيلية والحسية والبهيمية، وما يرتبط منها بالأجسام السمائية التي هي على أعدادها ومقسومة عليها وأن النفس الناطقة جوهر بسيط من جوهر الحي الذي لا يموت وأن موتها انتقالها من جسم إلى جسم وأنها إذا فارقت البدن عاينت كل ما في العوالم ولم يخف عليها خافية، وأن غرضها وغايتها القصوى السعادة واللحاق بعالم العقل وهي الإنسان على الحقيقة والعلة في نزولها من عالم العقل إلى عالم الحس حتى نسيت بعد الذكر وجهلت بعد العلم، وقول من رأى ذلك منهم ولأية علة صار الإنسان العالم الصغير وما اجتمع فيه وشبه به من سائر الأشياء وما الاتصال والنسبة بين العوالم عند من ذكرنا قوله، وما ذهب إليه أرسطاطاليس في أزلية العلة والمعلول وذكره ذلك في المقالة الأولى من كتابه في سمع الكيان وفي المقالة الثامنة منه أيضًا وهو ثماني مقالات وفي

كتاب السماء والعالم وهو أربع مقالات وفي كتاب ما بعد الطبيعة، وهو ثلاث عشرة مقالة وقول سائر أهل الشرائع مع تنازعهم وغيرهم من أصحاب القدم في المعاد بعد مفارقة النفوس الأجساد وقول أصحاب التأويل وغيرهم في الروح اللطيف غير المحسوس والكثيف المحسوس وغير ذلك من حدودهم المؤيد منها والمقصود وسائر الآراء والنحل قال المسعودي: وأرسطاطاليس هو تلميذ أفلاطون وأفلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ أرسيلائوس في الطبيعيات دون غيرها من العلوم وتفسير أرسيلائوس رأس السباع وأرسيلائوس تلميذ أنكساغورس، وقد ذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"، الفلسفة وحدودها والأخبار عن كمية أجزائها وما ذكره فيثاغورس وثاليس الملطي والرواقيون وأفلاطون وأرسطاطاليس وغيرهم وتنازعهم في ذلك وصفة الفيلسوف الذي يجب له في الحقيقة هذه الاسم ويطلق عليه وكيفية سيرته وأخلاقه وأوصافه وصورته ومراتب الفلسفة وعلى ما ذا استقرت وكيف وقعت التعاليم بها إلى هذا الوقت وإلى ماذا انتهت والغرض من كتب المنطق ووصفها والحاجة التي دعت إلى تأليف كتب المنطق وما المنفعة التي تستفاد منها ولم صارت ثمانية كتب وما العلة في هذا الترتيب وما الغرض المقصود في كل واحد منها، وما الأشياء التي ينبغي أن يبتدئ بالنظر فيها من أراد قراءة كتب المنطق وفي أي صنف من الصناعات تدخل صناعة الفلسفة، وكم حدودها وإلى من يضفاف كل حد منها من الفلاسفة ومن أي الجهات استخرجت حدودها وما معنى كل حد منها وكم أقسام الفلسفة الأولى والثواني، ولما قسمت بهذه القسمة وجرت قسمتها هذا المجري، ولأية علة ابتدئ بالفلسفة المدنية من سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس ثم ابن خالته ثوفرسطس ثم أوديمس ومن تلاه منهم واحد بعد آخر وكيف انتقل مجلس التعليم من أثينة إلى الإسكندرية من بلاد مصر، وجعل أوغسطس الملك لما قتل قلوبطرة الملكة التعليم بمكانين الإسكندرية ورومية ونقل تيدوسيوس الملك الذي ظهر في أيامه أصحاب الكهف التعليم

من رومية ورده إياه إلى الإسكندرية، ولأي سبب نقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز من الإسكندرية إلى أنطاكية ثم انتقاله إلى حران في أيام المتوكل وانتهى ذلك في أيام المعتضد إلى قويرى ويوحنا بن حيلان، وكانت وفاته بمدينة السلام في أيام المقتدر وإبراهيم المروزي، ثم إلى أبي محمد بن كرنيب وأبي بشر متى بن يونس تلميذي إبراهيم المروزي وعلى شرح متى لكتب أرسطاطاليس المنطقية يعول الناس في وقتنا هذا وكان وفاته ببغداد في خلافة الراضي ثم إلى أبي نصر محمد بن محمد الفارابي تلميذ يوحنا بن حيلان، وكانت وفاته بدمشق في رجب سنة ٣٣٩ ولا أعلم في هذا الوقت أحدًا يرجع إليه في ذلك إلا رجلًا واحدًا من النصارى بمدينة السلام يعرف بأبي زكريا بن عدي وكان مبدأ أمره ورأيه وطريقته في درس طريقة محمد بن زكريا الرازي وهو رأي الفيثاغورسيين في الفلسفة الأولى على ما قدمنا فلنذكر الآن ملوك الروم على طبقاتهم الصابئين منهم والمتنصرة وجملة ما ملكوا من السنين وما كان من الحوادث العظيمة في أيامهم ويلادهم وغير ذلك من أخبارهم.

**ذكر ملوك الروم على طبقاتهم من الحنفاء وهم الصابئون
والمتنصرة وعدتهم وجملة ما ملكوا من السنين**

عدة ملوك الروم جميعًا من غاثيوس قيصر أول ملوكهم إلى قسطنطين ابن
لاون ابن بسيل الملك عليهم في هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع
ثمانية وسبعون ملكًا من ذلك الملوك الصابئون المسمون بالحنفاء قبل النصرانية
أربعون ملكًا والمتنصرة من قسطنطين بن هيلاني إلى قسطنطين بن لاون هذا
ثمانية وثلاثون ملكًا، وجملة ما ملكوا من السنين تسع مائة وست وستون سنة
وشهر من ذلك الصابئون ثلاثمائة وأربع وسبعون سنة وثلاثة أشهر، والمتنصرة
إلى ملك قسطنطين بن لاون خمسمائة وإحدى وتسعون سنة وعشرة أشهر.

ذكر الطبقة الأولى من ملوك الروم وهم الصابئون

كان أول من يعد من ملك منهم برومية غاثيوس قبصر ملك ثمانى عشرة سنة، وقد كان ملك بها قبله ملوك أولهم روملس وأرمانوس البانيان لها المعروفان بابني الذئبة وإلى اسمها أضيفت رومية وأضيف الروم إلى اسمها وغيرهما من الملوك غير أن غاثيوس أول من يعد في التاريخ القديم وقيل: إن أول من ملك الروم هماساطوخاس وهو جاثيوس الأصفر بن روم بن سملاحين بن هريا بن علقابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، الثاني من ملوك رومية يوليوس ملك أربع سنين وأربعة أشهر، الثالث أوغسطس وتفسير أوغسطس باللغة الإفرنجية الأولى الضياء وسمي قيصر تفسير ذلك بهذه اللغة شق عنه وذلك أنهم ذكروا أن أمه ماتت وهي مقرب به فشق عنه بطنها واستخرج وصار ذلك كالسمة لكثير من ملوكهم واشتهر ذلك عنهم فسمتهم العرب القياصرة ملك ستاً وخمسين سنة وخمسة أشهر، وأكثر من عني بأخبار ملوك الروم وتواريخهم بأوغسطس يتدئ لأنه أول ملك من ملوك الروم خرج عن مدينة رومية دار مملكته، وسير جنوده برّاً وبحراً فاستولى على ملك اليونانيين ومصر والشام وقتل قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فاجتمع له ملك الروم واليونانيين وزالت رسوم اليونانيين فسمي الجميع روما وذلك لانتني عشرة سنة خلت من ملكه وولي هيرودس بن أنطيقوس على أورشلم وهي بيت المقدس وجبل يهودا وجبل الجليل ولايتين وأربعين سنة خلت من ملكه كان مولد المسيح عليه السلام ببيت لحم من بلاد فلسطين يوم الأربعاء لست بقيت من كانون الأول وكانت مريم يوم ولادته بنت ثلاث عشرة سنة عند النصراري وكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة منها بعد رفع المسيح ست سنين فكان من آدم إلى مولده عندهم خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وست سنين ومن زوال ملك قلوبطرة آخر من ملك اليونانيين على ما قدمنا في هذا

الكتاب إلى مولده ثلاثون سنة.

الرابع طياريوس قيصر ملك ثلاثاً وعشرين سنة، هو الذي بنى مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشام وإلى اسمه أضيفت فعربتها العرب حين افتتحت البلاد فقالت طبرية وخمس عشرة سنة خلت من ملكه عمد أيشوع الناصري عن النصارى في نهر الأردن وكان المعمد له ابن خالته يحيى بن زكريا ولذلك سمي يحيى المعمداني واسم أمه صابات وكان أكبر من أيشوع بستة أشهر ولسبع عشرة سنة خلت من ملكه وهي سنة ٣٤٣ للإسكندر بن فيلبس الملك كان عند النصارى صلب أيشوع الناصري، وذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من آذار وهو عندهم من في مثل اليوم الذي أهبط فيه آدم من الجنة ومات عندهم ودفن وقام وانبعث من بين الموتى حيًا وصعد إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة، ولا يصعد عندهم إلى السماء إلا من نزل منها، وكان فصيح اليهود في هذه السنة يوم السبت لسبع بقين من آذار وفصح النصارى إلى قيامة المسيح يوم الأحد لست بقين من آذار والصعود يوم الخميس لثلاث خلون من نيسان والنصارى تصوم يوم الأربعاء؛ لأن أيشوع ولد فيه والجمعة لأنه صلب فيه عندهم تطوعًا لا فريضة.

الخامس غاثيوس بن طياريوس ملك أربع سنين وقتل أصطفنوس رئيس الشمامسة والشهداء عند النصارى ويعقوب أخا يوحنا بن زبدي في خلق كثير من النصارى، السادس قلوذيوس بن طياريوس ملك أربع عشرة سنة وفي أول سنة من ملكه قتل أغريفوس عامله على الإسرائيليين يوحنا بن زبدي أحد التلاميذ وجبس شمعون الصفا ثم خلصر شمعون الصفا من الحبس وصار إلى مدينة أنطاكية والنصارى يدعونها مدينة الله، ومدينة الملك وأم المدن لأنها أول بلد أظهر فيه دين النصرانية وبها كرسي بصرس ويسمى شمعون وسمعان وهو خليفة أيشوع الناصري والرأس على سائر التلاميذ الاثني عشر والسبعين

وغيرهم فشرع بطرس في بناء الكنيسة المعروفة في أنطاكية بالقسيان إلى هذا الوقت، وفي السنة الثالثة من ملكه دخل شمعون الصفا مدينة رومية وسقف بها ودبرها سنين ودانت امرأة الملك وكان اسمها فروطانيقي ويقال لها بطريقية النصرانية وصارت إلى أورشلم وهي بيت المقدس فأخرجت الخشبة التي تظن النصارى أن المسيح صلب عليها ويسمون صليب المسيح وكانت في أيدي اليهود قد منعوا النصارى منها فأخذتها منهم وردتها على النصارى وقوت أمرهم ونحن ذاكرون لمعاً من أخبار هذه الخشبة إلى ما آل أمرها في قصة هيلاني أم قسطنطين فيما يرد من هذا الكتاب وإن كنا قد أتينا على شرح ذلك فيما سلف من كتبنا.

السابع نيرون بن قلوذيوس ملك ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ولثلاث عشرة سنة خلت من ملكه قتل بطرس ويولس بمدينة رومية وصلبها منكسين، وذلك بعد أيشوع باثنتين وعشرين سنة وقد أتينا على خبر بطرس بمدينة رومية مع سيمن المصري الذي تسميه النصارى جميعاً إلا الأريوسية الساحر، وكان صحب أيشوع ثم خالفهم فيما سلف من كتبنا، وفي السنة الثامنة من ملكه وثبت اليهود بأورشليم فيما ذكرت النصارى على يعقوب بن يوسف أخى أيشوع الناصري عندهم في الجسمية وكان أول أساقفة بيت المقدس وألقوه على رأسه من أعلى الهيكل فمات لا متناعه من الرجوع إلى مذهبهم ومقامه على دين النصرانية ودفن إلى جانب الهيكل وهدموا البيعة وأخذوا خشبة الصليب وخشبتى اللصين فدفنوها في قبر واحد، وفي أيام هذا الملك فيما قيل كان ماريانوس الحكيم صاحب كتاب جغرافيا في صورة الأرض وشكلها وبحارها وأنهارها وعامرها وغامرها وقد ذكره أبطليموس القلوذي في كتاب جغرافيا في صورة الأرض وشكلها أيضاً وأنكر عليه أشياء ذكرها.

الثامن غلباس ملك سبعة أشهر، التاسع أوثون ملك ثلاثة أشهر العاشر

بيطاليس ملك ثمانية أشهر، الحادي عشر أسباسيانوس ملك تسع سنين وسبعة أشهر ووجه بابنه طيطوس في السنة الثانية من ملكه إلى أورشليم لخلاف كان منهم عليه فحصرها وافتتحها عنوة وقتل أكثر أهلها من اليهود والنصارى وخرب الهيكل وكان عدة من قتل من الإسرائيليين فيما ذكر نحواً من ثلاثة آلاف ألف، وعم الأذى اليهود والنصارى في أيامه، الثاني عشر طيطوس بن أسباسيانوس ملك سنتين وثلاثة أشهر وفي أول سنة من ملكه أظهر مرقيون مقالته وهي القول بالاثنين الخير والشر وسعد ثالث بينهما وكان ابناً لبعض الأساقفة ببلاد حران، وإليه تنسب المرقبوية من أصحاب الاثنين، الثالث عشر دومطيانوس بن أسباسيانوس ملك خمس عشرة سنة وعشرة أشهر، الرابع عشر نرواس قيصر ملك سنة وخمسة أشهر.

الخامس عشر طرايانوس قيصر ملك تسع عشرة سنة وفي السنة السادسة من ملكه كانت وفاة يوحنا التلميذ بمدينة أفسيس بعد أن كتب الإنجيل في جزيرة من جزائر البحر، السادس عشر إيليا أذريانوس ملك عشرين سنة وقتل من اليهود بأورشليم وجبل يهودا وجبل الجليل وغيرها من أرض الشام مقتلة عظيمة لخلاف كان منهم عليه وكذلك من النصارى وخرب أورشليم وهو آخر خرابها فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمرها وسمّاها إيليا فصارت سمة لها إلى هذا الوقت وأسكنها جماعة من اليونانيين والروم وبنى الأقرانيون على المقبرة هيكلاً عظيماً للزهرة وبنى نحو الهيكل الذي يدعى البهاء برجاً عظيماً وجعل على أعلاه لوحاً من الرخام مكتوباً فيه بالذهب اسم الملك إيليا وهذا البرج إلى هذا الوقت وهي سنة ٣٤٥ يسمّى محراب داود وهو متصل بسور المدينة وإنما بني بعد داود بمئين من السنين وكان بنياناً عظيماً سبع طبقات فهدم من أعاليه، وفي أيامه كان ساقدس الفيلسوف الصامت وقد أتينا على خبره مع هذا الملك وغيره وإشاراته ورموزه في كتاب الاستذكار، لما جرى في سالف الأعصار.

السابع عشر أنطونينوس بيوس ملك اثنتين وعشرين سنة قال المسعودي: وفي أيامه كان أبطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وجغرافيا والمقالات الأربع والقانون الذي عمل عليه ثاون الإسكندراتي وكتاب الأنواء وكتاب الموسيقى، وإن لم يذكر العود فيه فذلك دليل على أن حدث بعده وغير ذلك مما أضيف إليه من الكتب وهو بطلا ماوس وبلغته وقيل: إنه ممن ولد قلوذيوس السادس من ملوك الروم على ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب وكانت أرصاده التي أرخ بها المجسطي في ملك أنطونينوس هذا، وذلك موجود في المقالة التاسعة من هذا الكتاب وقد أدرك جالينوس عصره وشاهده في حال صباه وجالينوس يعينه في كثير من أقاويله وأرصاده لمخالفته أبرخس صاحب الأرصاد القديمة وقد غلط كثير من الناس ممن يدعي المعرفة بأخبار حكماء الأمم وفلاسفتهم والملوك، ومن كان منهم في أعصارهم فجعلوه بعض ملوك اليونانيين بعد الإسكندر المسمين بهذا الاسم وأنه أبو قلوبطرة الملكة الحكيمة آخر من ملك من ملوك اليونانيين المقدم ذكرها فيما سلف من هذا الكتاب، وذكروا أمورًا أيّدوا بها قولهم هذا قد أتينا عليها فيما سلف من كتبنا قال المسعودي: ومن أدل الدلائل على بطلان قولهم أن أبطليموس ذكر في النوع الثامن من القول الثالث من كتاب المجسطي أنه رصد الشمس بالإسكندرية فوجد الاعتدال الحريفي في اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور القبط سنة ٨٨٠ لبخت نصر فإذا نظرنا ما بين ملك بخت نصر إلى غلبة الإسكندر لدارا وهو أربع مائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة عشر يومًا من غلبته إلى زوال ملك قلوبطرة آخر من ملث من اليونانيين الملقبين بالبطلمين الذين ملكوا بالإسكندرية بعد الإسكندر بغلبة أوغسطس ملك الروم على ملكها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب مئتي سنة وست وثمانون سنة وثمانية عشر يومًا، ومنذ غلبة أوغسطس إلى وفاته أربع وأربعون سنة وملك بعده من ملوك الروم إلى أنطونينوس الذي ذكرنا أن أبطليموس كان في أيامه من السنين مائة سنة وثلاث وعشرين سنة وسبعة أشهر فمنذ

ملك بخت نصر إلى ملك أنطونينوس هذا على هذه المسافة ثمان مائة واثنان وثمانون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يومًا وجدنا ذلك موافقًا لما حكيناه على أبطليموس من تاريخ رصده.

الثامن عشر مرقس، ويسمى أولليلوس قيصر ملك تسع عشرة سنة وفي ملكه أظهر ابر ديصان مقالته وكان أسقف الرهاء من بلاد الجزيرة وإليه تضاف الديصانية من أصحاب الاثنين، وتفسير ابر ديصان وهي كلمة سريانية ابن النهر والنهر هناك معروف بديصان إلى هذا الوقت على باب من أبواب الرهاء، يعرف بشدة مصبه إلى ناحية حرّان ثم ينتهي إلى نهر البليخ وإنما يجري شهور وينقطع في القيظ وله كنيسة على هذا النهر مما يلي الباب، يعيد لها النصراني عيدًا في السنة وقيل: إنه كان منبوذًا أصيب على شاطئ هذا النهر فأضيف إليه، التاسع عشر قومودوس بن أنطونينوس ملك اثنتي عشرة سنة وفي أيامه كان جالينوس تاج الأطباء وإمامهم في عصره الذي به يقتدون وعلى كتبه يعولون والمفسر لكتب أبقراط، والمخلص لها بمدينة أبرغامس من أرض اليونانيين وقد ذكر ذلك جالينوس في كتابه في أخلاق النفس في فهرست كتبه وبين الإسكندر قومودوس الملك هذا خمس مائة سنة ونيف، قد بين ذلك جالينوس في كتابه في الأخلاق أيضًا فينبغي أن يكون لجالينوس إلى وقتنا هذا وهو سنة ١٢٦٧ للإسكندر وسنة ٣٤٥ للهجرة سبع مائة سنة ونيفًا على التقريب، وكان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وقد كان دين النصرانية ظهر في الروم واليونانيين وغيرهم في أيامه وذكر جالينوس المتدينين من النصراني في كتابه جوامع كتاب أفلاطون في السياسة؛ لأنه كان متدينًا بذلك وبين جالينوس وبين أبقراط نحو من ستمائة سنة؛ لأن أبقراط كان قبل الإسكندر بقريب من مائة سنة في أيام أرطخشست من ملوك الفرس الأولى وأرى أنه بهمن بن أسندياذ بن كيشتاسب بن كيلهراسب وقد ذكر ذلك جالينوس في تفسير كتاب إيمان أبقراط وشرحه له، وترجمه حنين بن إسحاق

فحكى أن أرطخشست هذا وجّه إلى عامله على مدينة قوس من أرض اليونانيين وهم يومئذ في طاعته يأمره بدفع قناطير من المال إليه، وحمله إليه مكرماً لأنه نال من الفرس في ذلك الوقت داء يقال له الموتان، فامتنع أبقرات من ذلك لأنه لم ير من العدل إشفاء الفرس وهم أعداء اليونانيين، قال المسعودي: والبقارطة ثلاثة أبقرات هذا صاحب الكتب المصنفة في الطب التي ترجمها وشرحها جالينوس وغيره ككتاب الفصول، وكتاب مقدمة المعرفة وهو كتاب الأمراض الحادثة، وكتاب ماء الشخير، وهو كتاب تدبير الأمراض، وكتاب أبتديا، وهو كتاب الأهوية والبلدان وغير ذلك من الكتب المنسوبة إليه من السنن وغيرها، وهو من ولد سقلايوس وكان معظماً في اليونانيين وله هيكل وسقلايوس من ولده أبلون وكان معظماً لحكمته له أيضاً هيكل في بغض الجزائر كان يحج إليه في أيام اليونانيين قبل ظهور النصرانية، وقد ذكره أفلاطون في كتابه المسمى فادُن في النفس والاثنان الباقيان من البقارطة من أولاده أيضاً؛ لأنه كان لأبقرات الكبير ابنان أحدهما يقال له تاسلوس، والآخر دراقرن وكان لكل واحد منهما ابن سماه باسم جده أبقرات ذكر ذلك غير واحد ممن تقدم وتأخر منهم حنين بن إسحاق في كتابه الاسطقصات على رأي جالينوس على طريق المسألة الجواب إلى ابنه إسحاق ودواد.

العشرون برطينقس قيصر ملك ثلاثة أشهر، الحادي والعشرون يوليانوس قيصر ملك شهرين، الثاني والعشرون سورش ملك سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى في أيام القتل والأذى والتشريد، وسار إلى بلاد مصر فبنى بالإسكندرية هيكلًا عظيمًا سماه هيكل الآلهة، الثالث والعشرون أنطونيوس ملك ست سنين، الرابع والعشرون مقرينوس ملك سنة وشهرين، الخامس والعشرون أنطونيوس الثاني، ملك أربع سنين، السادس والعشرون الإكصندرس ويلقب مامياس ملك ثلاث عشرة سنة، السابع والعشرون مقسميانوس ملك ثلاث سنين، الثامن والعشرون بوبينوس ملك ثلاثة أشهر،

التاسع والعشرون غرديانوس ملك ست سنين، الثلاثون فيلبس قيصر ملك ست سنين ودعي إلى دين النصرانية فأجاب، وترك ما كان عليه من مذاهب الصابئين واتبعه على ذلك كثير من أهل مملكته فآل ذلك إلى تحزبهم، واختلاف كلمتهم في الديانة وكان فيمن خالفه عليه بطريق من بطارقته يقال له: داقوس فقتل فيلبس واستولى على الملك.

الحادي والثلاثون داقوس ملك سنتين وتبع النصارى فقتل منهم مقتلة عظيمة ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف، وهم في جبل من جبال الروم يعرف بنخاوس شرقي مدينة أفسيس وهو على نحو ألف ذراع منها وكانت هذه المدينة على بحر الروم فبعد البحر عنها في هذا الوقت، خربت وأحدثت مدينة على نحو ميل منها قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" الذي كتابنا هذا تال له في أخبار ملوك الروم تنازع الناس في أصحاب الكهف والرقيم ومواضعهم، وهل هم أصحاب الرقيم أم هؤلاء غيرهم، ومن قال منهم: إن الرقيم بالهوتة وهي خارمي من بلاد الروم بين عمورية ونيقية، وكيفية تزاور الشمس في حال طلوعها وغروبها عن الكهف والعلّة في ذلك على الشرح والإيضاح، وما كان من توجيه الواصل لمحمد بن موسى بن شاكر المنجم إلى هناك وما شاهد قال المسعودي: وللناس ممن عني بهيئة الفلك وعلم النواحي والآفاق وتأثيرات الأجسام السماوية في هذا العالم في كيفية ازورار الشمس عن كهفهم في حال طلوعها وغروبها لموضعهم من الشمال كلام كثير من ذلك أن كل بيت يستقبل بابه الشمال في البلدان الخارجة عن مدار السرطان إلى ناحية الشمال وكل بلد عرضه أكثر من أربع وعشرين درجة فإن الشمس إذا طلعت أخذت عن يمين الباب، وإذا توسطت السماء كانت على ظهر البيت، وإذا غربت أخذت عن ذات الشمال وهذا الصعق الذي فيه الكهف واغل في الشمال وباب الكهف مستقبل الشمال، وذكر هؤلاء أن مدينة أفسيس التي هي مدينة أصحاب الكهف في

الإقليم الخامس طولها من المغرب سبع وخمسون درجة تامة وعرضها ثمان وثلاثون درجة ويمكن أن يكون الله عز وجل خلق لهم هذا الكهف مستقبل الشمال على ما ذكرنا؛ تكرمة لهم، وليجعلهم آية للعالمين وقد أخبر الله عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

الثاني والثلاثون: غليوس قيصر ملك ستين وكان شريكه في الملك أخوه يوليانوس.

الثالث والثلاثون: غالينوس قيصر ويلقب والأريانوس ملك خمس عشرة سنة.

الرابع والثلاثون: قلوذيوس الثاني ملك ستة، وفي أيامه كان ظهور ماني وإليه أضيفت المانوية من أصحاب الاثنين وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك الفرنس الثانية وهم: الساسانية في ملك سابور بن أردشير، وما كان من مقتله في ملك بهرام بن هرمز بن سابور مجملًا وفيما سلف من كتبنا مفصلًا مشروحًا وقول أصحاب المانوية: إنه الفارقليط الذي وعد به المسيح، وما ذكر ماني من ذلك في الجبلّة وفي كتابه المترجم بالشايرقان وفي كتاب سفر الأسفار وغيرها من كتبه والحجاج بين سائر أصحاب الاثنين من المانوية والديصانية والمرقيونية وغيرهم من فلاسفة في المبادئ الأولى، وغير ذلك وقد ذكر ماني في كثير من كتبه المرقيونية والديصانية وأفرد للمرقيونية بابًا في كتابه المترجم بالكنز وللديصانية بابًا في كتابه سفر الأسفار وغير ذلك من كتبه، وإنما ذكرنا ذلك دلالة على أنها كانا قبله إذ كثير ممن لا علم له بأرباب الآراء والنحل والمذاهب والملل يعتقد أنها كانا بعده.

الخامس والثلاثون: أورلليوس بن قلوذيوس ملك ست سنين.

السادس والثلاثين: طاقطوس وعاضده على الملك أخوه فوروس ملكا تسعة أشهر.

السابع والثلاثون: بروبس ملك تسع سنين.

الثامن والثلاثون: قاروس ملك ستين وخمسة أشهر.

التاسع والثلاثون: دقلتيانوس ملك سبع عشرة سنة.

الأربعون: مقسيميانوس وشاركه في الملك مقسنتيوس بن مقسيميانوس فاقسما المملكة بعد خطوط كثيرة وحروب عظيمة قد ذكرناها في كتاب "أخبار الزمان ومن أباحه الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة"، فتملك مقسيميانوس على الشام وما يلي بلاد الجزيرة ومواضع من أرض الروم. وتملك مقسنتيوس على مدينة رومية وما اتصل بذلك من أرض الإفرنجة وتملك معها على بلاد بوزنطيا وما يليها قسطنس أبو قسطنطين، ثم هلك قسطنس فأفضى أمر المملكة إلى ولده قسطنطين المعروف بأمه هيلاني وكانت له مع مقسيميانوس ومقسنتيوس برومية حروب طويلة إلى أن هلك مقسنتيوس نفسه، وكانت مدة ملكهما نحوًا من تسع سنين.

قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: فهذه الطبقة الأولى من ملوك الروم الذين كانوا على دين الصابئة وهي الخنيفية الأولى، وهم أربعون ملكًا وفي زيغ ثاون الإسكندراني: إن عدة الملوك من أوغسطس إلى قسطنطين ابن هيلاني تسعة وعشرون ملكًا، وسبيل هؤلاء الملوك من أوغسطس إلى قسطنطين أبي قسطنطين سبيل ملوك الفرص الأولى والطوائف من جيومرت إلى أردشير مضطرب تاريخهم متنازع في أعدادهم غير محصلة أوقاتهم وإنما يعول على تاريخ ملوك الروم من قسطنطين المظهر لدين النصرانية والمحارب

عليها كما تعول الفرس في تاريخ سنه، وتحصيل أيام ملوكها منذ ملك أردشير
بن بابك على أننا لم نأل جهداً في تحصيل أعداد ملوكهم ومدة أيامهم وتحن
ذاكرون الطبقة الثانية من ملوك الروم المنتصرة قبل ظهور الإسلام وسعده إلى
هذه الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥..

ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم وهم المنتصرة وتاريخهم وأعدادهم وما كان من الكوائن والأحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم

أول ملوك هذه الطبقة قسطنطين بن قسطنس ويعرف بأمه هيلاني، وإليها ينسب على ما قدمنا ملك اثنتين وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وهو الذي أظهر دين النصرانية وحارب عليها حتى قبلت وانتشرت في البلاد إلى هذه الغاية، وقد ذكرنا في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" التنازع في سبب تنصره وتركه ما كان عليه من مذاهب الخنفاء، وما قالت الخنفاء في ذلك من ظهور الوضع في جسمه وإجماعهم على خلعه؛ إذ كان في أقل دياناتهم وواجب عباداتهم أن من كان به ذلك لا يصلح للملك، وأنه مايل من فشا فيه دين النصرانية واستظهر بهم وبخاصته وصنائه على من خالفه. وأظهر النصرانية؛ إذ كان غير محظور فيها تمليك من به ذلك، وقول من قال منهم: إنه كتم ما ظهر به وأفشاه إلى بعض وزرائه ممن كان يخفي النصرانية وأعلمه أنه يخشى خلعه عن الملك، فضمن له القيام بكفايته ذلك، وأنفذ عدة عساكر إلى من حوله من الأعداء مرة بعد أخرى بأسماء الأصنام السبعة، التي كانت على أسماء الكواكب السبعة، ومثالات لها من النيرين والخمسة، وكان الصابئون يقربون لها القرابين ويعتكفون على عبادتها بعد أن جعلها في غاية الضعف فعادت منكوبة مهزومة؛ فأظهر الإزراء بها، والتقص لمن يرى عبادتها وأشار عليه حينئذ بالانتقال إلى النصرانية ففعل، وما ذهب إليه النصارى من أن السبب في ذلك ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع ملك برجان، وأنه قيل له: استنصر به على عدوك تنصر عليه، وإنه ركب مثال ذلك على رءوس الأعلام كالأسن؛ فظهر على عدوه بعد أن كانوا الظاهرين عليه، فدان بها حينئذ.

وقول من قال منهم: إنه رأى ذلك في يقظته، وغير ذلك من أقاويل الفريقين على الشرح والإيضاح، ولثلاث سنين خلت من ملكة بنى مدينة القسطنطينية على الخليج الآخذ من بحر مايطس، ويعرف هذه الوقت ببحر الخزر إلى بحر الروم، والشام ومصر. وذلك في الموضع المعروف بطابلا من صقع بوزنطيا، وبالع في تحصيتها وإحكام بنائها، وجعلها دار مملكة له أضيفت إلى اسمه، ونزلها ملوك الروم بعده إلى هذا الوقت، غير أن الروم يسمونها إلى وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا بولن، وإذا أرادوا العبارة عنها أنها دار الملك لعظمها قالوا: إستن بولن ولا يدعونها القسطنطينية، وإنما العرب تعبر عنها بذلك.

والقسطنطينية من الأرض الكبيرة المتصلة برومية وبلاد الإفرنجية، والصقالبة والأندلس وغيرهم من الأمم الواغليين في الشمال، واتصل ذلك بالشرق كأرض الترك، وغيرها من خراسان إلى الهند والصين والخليج الآخذ من بحر مايطس الذي يعرف بالخزري، يحيط بها من ثلاث جهاتها، وينصب في البحر الرومي، وقيل: إنه يحيط بها من جهتين: المشرق والشمال، وجانباها: الغربي والجنوبي في البر.

وطول الخليج ثلاثمائة وستون ميلاً، وقيل: ثلاثون عليه ست عدوات لمن يرد من دار الإسلام إليها مما يلي الثغور الشامية والجزرية وغيرها.

فالعدة الأولى: تعرف بأقروبي، وعرض الخليج هناك ميل وعلى هذا الموضع نزل سابور الجنود بن أردشير، وحاصر القسطنطينية، وبنى هناك بيت نار، واشترط على الروم عند انصرافه بقاءه، فلم يزل ذلك البيت قائماً إلى أيام المهدي فخر، ثم نزل عليه بعده أتوشروان بن قباد ملك الفرس في بعض غزواته، فأجرى إلى ما هناك نهراً، ونصب عليه أرخاء، وأراد سكر هذا الموضع من الخليج بالحجارة، وجرب الرمل يعبر عليه، فعلبه الماء لشدة انصبابه من البحر الخزري إلى الرومي الذي هو بحر الشام ومصر.

والعدوة الثانية: يقال لها الأفقطي تكون من هذه العدو على نحو من ثلاثين ميلاً وعرضها من الجانب الشامي إلى ذلك الجانب تسعة أميال ومن هذه العدو تعبر عساكر الروم إذا أرادوا الخروج إلى دار الإسلام.

والعدوة الثالثة: تعرف بسكرة، وبينها وبين عدوة الأفقطي نحو من ثلاثين ميلاً يكون عرض هذه العدو اثني عشر ميلاً، وهذه العدو تقرب من مدينة نيقية.

والعدوة الرابعة: تعرف بفيلاس بينها وبين عدوة سنكرة نحو من ثمانية أميال يكون عرض هذه العدو من الجانب الشامي إلى ذلك الجانب وهو بند تراقية نحواً من أربعين ميلاً، ومن هذه العدو يعد بأساري الروم إذا أرادوا بهم الفداء إلى اللامس؛ لأنه عدوة عريضة يرهبون بها الأسرى.

والعدوة الخامسة: تعرف بلبادو، وبينها وبين عدوة فيلاس نحو من عشرين ميلاً يكون عرض هذه العدو من الجانب الشامي إلى ذلك الجانب وهو بند تراقية نحواً من عشرين ميلاً، وقد حاصر القسطنطينية في الإسلام من هذه العدو ثلاثة أمراء آبائهم ملوك وخلفاء أولهم: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، والثاني: مسلمة بن عبد الملك بن مروان، والثالث: هارون الرشيد بن المهدي.

والعدوة السادسة: تعرف بأبدو، وهي فم الخليج الصاب في بحر مصر والشام، ومبدؤه من بحر مايطس المسمى بحر الخزر، وعرضه في المبدأ نحو من عشرة أميال، وهناك مدينة للروم تعرف بمسنة تمنع من يرد في ذلك البحر من مراكب الكوزكانه، وغيرهم من أجناس الروس والروم تسميهم روسيا معنى ذلك: الحمر، وقد دخل كثير منهم في وقتنا هذا في جملة الروم كدخول الأرمن والبرغر وهم نوع من الصقالبة والبجناك من الأتراك، فشحنوا بهم

كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشامية، وجعلوها بإزاء برجان وغيرهم من الأمم المتأبدة لهم والمحيطه بملكهم، وأبدوا مدينة على هذا الخليج مما يلي الشام والجزيرة، لا من جانب القسطنطينية ومن هذه العدو إلى القسطنطينية مائتا ميل رومية تكون أميالاً بأميالنا نحو مائة وعشرين ميلاً، وأبدو جبلاً: جبل من هذا الجانب من عمل الأبيق، وجبل من ذلك الجانب من عمل تراقية، وكان على هذين الجبلين حرس على كل جبل عشرون رجلاً يحرسون المراكب إذا دخلت وخرجت ويفتشونها، وكانت فيه سلسلة تفتح وتغلق في عمودي حديد من هذه الجانب إلى ذلك الجانب هو باب الخليج الذي يحاصر به القسطنطينية حين كان للمسلمين أسطول يغزونهم من الثغر الشامي، والشام ومصر والأسطول كلمة رومية سمة للمراكب الحربية المجتمعة، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطينية والتنازع في ذلك وقول من قال: إن ما وراء الخليج كان من أرض برجان، فاحتال قسطنطين على ملك برجان لعلمه بالموضع وحصاته حتى أذن له في بنائها، وما يلم من خصالها وهوائها ومائها وتربتها، وأن الخيل لا تنزوي بها ولا تصهل لما يلحقها من الربو لنداوة البلد وعفونته وقيل: إن ذلك لطلسم فيها وغير ذلك من أخبارها.

ولعشرين سنة خلت من ملك قسطنطين كان السنهودس الأول بمدينة نيقية من بلاد الروم، تفسير ذلك المجمع وهو القدّاس، حضر هذا المجمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفًا مختلفو الآراء، فاختر منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفًا متفقين غير مختلفين، فحرموا أريوس الإسكندراني، وإلى اسمه أضيفت الأريوسية من النصارى ووضعوا في هذا المجمع الأمانة التي يتفق عليها سائر النصارى من الملكية واليعقوبية والعباد وهم النسطورية، ويذكرونها كل يوم في القدّاس، ولهم أربعون كتاباً فيها السنن والشرائع، واتفقوا على أن يكون فصح النصارى يوم الأحد الذي يكون بعد فصح اليهود، وألا يكون فصح

اليهود مع فصيح النصارى، وكان المقدم والرئيس في هذا المجمع الإسكندر بطريك الإسكندرية من بلاد مصر، وهو بالرومية بطرياركس تفسيره رئيس الآباء فخفف، وحضر أسطاث بطريك أنطاكية، ومارقس أسقف بيت المقدس، وبوليوس بطريك رومية، وكان هذا الاجتماع في اليوم التاسع عشر من حزيران سنة ٦٣٦ للإسكندر الملك وقيل: إنها السنة التاسعة عشرة من ملك قسطنطين، وكثير من النصارى يعد ذلك من شمعون بن قلوفا، فأخفاها بلبته، وبنت هيلاني بإيليا الكنيسة المعروفة بالقيامة في هذا الوقت الذي يظهر منها النار في يوم السبت الكبير الذي صبحه الفصح، وكنيسة قسطنطين، وديارات كثيرة للنساء والرجال على الجبل المطل على مدينة بيت المقدس المعروف بطور زيتا، وهو بإزاء قبلة اليهود، وغمرت مدينة إيليا عمارة لم يكن قبلها مثلها، ولم يزن ذلك عامراً إلى أن أخربته جنود الفرس حين غلبت علي الشام ومصر وسبت من كان في تلك الديارات وغيرها قبل ظهور الإسلام، وذلك في ملك كسرى أبرويز ملك فارس والملك على الروم يومئذ فوقاس على ما نحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب جملةً، وقد سلف في كتبنا مشروحاً.

والأطوار المقدسة للنصارى أربعة: فأولها طور سيناء الذي كلّم الله موسى عليه وأنزلت عليه التوراة، وهو على أيام من مدينة القلزم، وعلى يوم وبعض آخر من راية من ساحل بحر القلزم.

والثاني هور طور هارون، وهو على أيام من جبل طور سيناء.

والثالث طور زيتا على ما ذكرناه.

والرابع طور الأردن بين فلسطين وطبرية جميعها للملكية من النصارى والأطوار: الجبال.

وبنت هيلاني كنيسة حمص وهي إحدى عجائب العالم على أربعة أركان.

وكنيسة الرهاء من بلاد ديار مصر وهي إحدى عجائب العالم الأربع المذكورة، وكانت هيلانى من بلاد الرهاء من قرية تعرف بتل فخار إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا هذا على طريق آمد، وقد أتينا على خبر قسطنس أبي قسطنطين، والسبب في تزوجه بها عند مشاهدته إيّاها، والعجائب الأربع: جامع دمشق، ومنارة الإسكندرية وقنطرة سنجة، وهذه الكنيسة، وقد أغفل قوم من مصنفى الكتب في التواريخ والسير من النصارى فزعموا أن خروج هيلانى أم قسطنطين إلى الشام كان لسبع سنين من ملك ابنها قسطنطين وهذا غلط متفاحش؛ لأن قسطنطين دان بالنصرانية بعد مضي عشرين سنة من ملكه.

قال المسعودي: ولقسطنطين أخبار ومسير وسياسات في الملك والدين وسير في الأرض وحروب قبل تنصره وبعده، وقد أتينا على جميع ذلك في كتابنا في "أخبار الزمان ومن أباداه الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة" وما تلاه من الكتاب الأوسط، وفي النسخة الأخيرة من كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وفي كتاب "فتون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"، وفي كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار"، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعاً من ذلك؛ ليكون منبهاً عليها ومدخلاً إليها.

الثاني من المنتصرة: قسطنطين بن قسطنطين ابن هيلانى ملك وعشرين سنة وكان أبوه قسطنطين عهد إليه بالملك في حياته وولاه القسطنطينية، وولى أخاه قسطنس أنطاكية والشام ومصر والجزيرة وجعل مقامه بأنطاكية وولى أخاه قسطنس رومية وما يليها من بلاد الإفرنجية والصقالبة وغيرهم من الأمم، وأنزله رومية، وأخذ على أخويه هذين العهود والمواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين؛ فاستقام ملكه إلى أن هلك.

الثالث: يوليانوس ابن أخي قسطنطين ابن هيلانى ملك سنتين، وكان يخفي الصابئية في أيام عمه وابن عمه، فلما ملك أظهرها، وارتد عن دين

النصرانية، وخرب الكنائس، ورد التماثيل التي جعلها الصابئون مثلاً للجواهر العلوية والأجسام السمائية التي هي وسائط بين العلة الأولى عندهم وبين الخليقة في العبادات، وقتل من النصارى خلقاً كثيراً، وجعل عقوبة من لم يرتد إلى الخنيفية القتل، وكان يأخذ من عاد إلى الخنيفية بإلقاء اللبان على النار، والأكل من ذبيحة الحنفاء وغير ذلك، وكان عظيم السطوة كثير الجنود.

قال المسعودي: وسار إلى أرض العراق في ملك سابور بن أردشير فهلك بهم غرب أصابه، وقد أتينا على خبره وخبر سابور الجنود ملك بابل، وما كان بينهما من الحروف في الجزء السابع من كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر في أخبار الفرس في ملك سابور، والروم تسميه بأربديس تفسير ذلك: المرتد، والصابئة أوسيبوس تفسير ذلك: المؤمن التقى، والنصارى جميعاً يتبرءون منه، ومنهم من يدعوه البزتاظ.

الرابع: يوبيانوس ملك سنة، وكان خليفة يوليانوس المقتول، ومعه في عسكره، ففرعوا إلى تملكه عليهم فأبى إلا أن يرجعوا النصرانية، فأجابوا إلى ذلك فرد دين النصرانية، وانصرف بجيوش الروم على العراق بعد قصص كانت له مع سابور ومهادنة قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا.

الخامس: والنطيوس ملك اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر.

السادس: والنس ملك ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

السابع: والنطيانوس ملك ثلاث سنين وأربعة أشهر، وعاضده على ملكه غراطيانوس فهلك قبله.

الثامن: تدوس الكبير وتفسير تدوس: عطية الله ملك تسع عشرة سنة، وفي ملكه كان السنهودس الثاني وهو المجمع بمدينة قسطنطينية من بلاد

بوزنطيا اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفًا، فلعنوا مقدونس وأشياعه مع البطارقة الذين بعده الذين قالوا بمقالته، وكان المقدّم في المجمع طيموثاوس بطريرك الإسكندرية، ومليطيوس بطريرك أنطاكية، وقورّس بطريرك بيت المقدس، وفي هذا المجمع بَطْرِك، وهو أول بطريرك لبيت المقدس، وإنّما كانوا أساقفة، وكانت البطارقة أصحاب الكرامى أربعة:

أولها مدينة رومية: وهي لبطرس رئيس الخواريين، وخليفة أيّسوع.

الثاني الإسكندرية: من بلاد مصر وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة.

والثالث قسطنطينية: من بلاد بوزنطيا: وكان أول بطريرك لها مطروfanس ربّته الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الذين أقاموا دين النصرانية بمدينة نيقية المقدّم ذكرهم.

والرابع أنطاكية: وهي لبطرس أيضًا، واستخلف بطرس على الكرسي بها حين سار إلى مدينة رومية واذيوس، فصارت البطارقة خمسة إلى هذا الوقت المؤرّخ بها في كتابنا وهي سنة ٣٤٥ للهجرة جميعًا للملكيّة، فكان من السنهودس الأول بنيقية الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا إلى هذا الاجتماع ست وخمسون سنة، وأطلق طيموثاوس بطريرك الإسكندرية في هذا المجمع للبطارقة والأساقفة والرهبان ببلاد مصر والإسكندرية أكل اللحم؛ لأجل الثنوية؛ ليعرف من كان منهم مثنوي المذهب؛ إذ كانت الثنوية تمتنع من ذلك، فأما البطارقة والأساقفة والرهبان بغير مصر والإسكندرية كرومية وأنطاكية وغيرهما من البلاد، فإنهم امتنعوا من أكل اللحم وأكلوا بدلًا عنه السمك محنة لهم؛ إذ كانت الثنوية لا تأكل اللحم ولا السمك إلا السّماعين منهم، فإن منهم من يأكل اللحم والسمك، ومنهم من يأكل السمك دون اللحم.

قال المسعودي: ولثماني سنين خلت من ملكه ظهر الفتية أصحاب الكهف الذين كانوا قد هربوا من داقبوس الملك على ما قدّمنا في أخبار الطبقة الأولى من ملوك الروم في هذا الكتاب، وقد ذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" أخبارهم، وما قيل فيهم، والتنازع في موضعهم أهو الموضع الذي بمدينة أفسيس وراء مدينة زمرنى على البحر الرومي؟ أم الهوية التي تسمى خارمى مما يلي قرّة بأرض الروم؟ أم غيرهما من المواضع التي يشار إليها بذلك؟ وخبر تدوس الملك والسبب في إفضاء الملك إليه، وما كان من خبره قبل ذلك وبعده.

التاسع أرقاذيوس بن تدوس: ملك ثلاث عشرة سنة.

العاشر تدوس الصغير بن تدوس الكبير: ملك اثنتين وأربعين سنة، وإحدى وعشرين سنة خلت من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسيس على بطريك القسطنطينية نسطورس، وكان على كرسيها أربع سنين حضر هذا المجمع مائتا أسقف وكان المقدم فيه قورئس بطريك الإسكندرية، وكلستوس بطريك رومية، وبولانيوس بطريك إيليا فلعنوا نسطورس، وتبرءوا منه، ونفوه فسار إلى صعيد مصر، فأقام ببلاد أخميم والبلينا، ومات بقرية يقال لها سيفلح، وموضعه معروف في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وأضافت الملكية العباد من النصارى وهم المشارقة إليه تقريباً لهم بذلك فسموا النسطورية، وكانت رئاسة البطركة للمشاركة في ذلك الوقت بالمداين من أرض العراق لداديثوع بعد بلادها في ملك فارس.

قال المسعودي: فذكرت العباد أن تبادوس الملك كان كتب إلى يوحنا بطريك أنطاكية وأساقفته أن يسيروا إلى مدينة أفسيس؛ لينظروا فيما بين نسطورس وقورئس بطريك الإسكندرية من الخلاف، فاجتمع نسطورس وأصحابه وقورئس وأصحابه بها، فانتدب قورئس فحرم نسطورس قبل

موافاة يوحنا صاحب أنطاكية الذي جعل الملك حكماً بينهما فلما رأى نسطورس أن قورئس يجري إلى الخيلة والمغالبة والعدول عن الحق اعتزل، وقال: الديانة لا تكون بالمجاذبات والحيل، وطلب الرئاسة، وأن يوحنا بطريرك أنطاكية لما وافى فوقف على فعل قورئس أنكره عليه، وحرمه وأنكر ذلك عليه عند قراءته مقالة نسطورس ومقالة قورئس، وصحح مقالة نسطورس وأمانته، وردّ مقالة قورئس، وذكر أنها مخالفة للحق لا يجوز لأحد أن يقول بها، ولا يتقلّد بها، وأن يوحنا عاد إلى أنطاكية، وكتب إلى بطريرك المشرق بما جرى، وتوجّه الخيلة على نسطورس من صاحب الإسكندرية ببذل الأموال لبطانة الملك حتى حلّ الحرم عنه، وبقي حرم نسطورس؛ فكان هذا أحد أسباب الخلاف بين أهل المشرق من النصارى وأهل المغرب وداعية إلى ما كان بينهم من العداوة والقتال وسفك الدماء، والعباد تذكر أن أول البطارقة السريانيين الذين نزلوا كرميَّ المشرق على قديم الأيام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة بعد توما أحد الاثني عشر أدى السليح قبل حدوث الخلاف بين النصارى وهو أدى بر ماري السليح من السبعين، وهو نصّر أهل المدائن ودير قنّى وكسكر وغيرها من السواد، وبنى بيعتين إحداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذ، وجعلها كرسياً لمن يأتي بعده من البطارقة، ورسم ألا تتمّ البطركة لمن نصب لها إلا في هذه البيعة، وأخرى بدير قنّى وقبره بها، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا خبر المشاركة من النصارى مع سابور ملك فارس حين أخذهم بالتمجّس، وامتناعهم من ذلك، وقتله منهم نحواً من مائتي ألف وغيره ذلك من أخبارهم، وذكر الملكية أن مقالة نسطورس كانت درست فأحيها برسوما مطران نصيين، ودعا إليها المشاركة من النصارى فدانوا بها.

قال المسعودي: وفي هذا المجمع خالفت النسطورية الملكية، وافترقوا عنهم فمن المجمع الثاني المائة والخمسين الأسقف الذين اجتمعوا بمدينة القسطنطينية، ولعنوا مقدونس إلى هذا المجمع المائتي أسقف الذين اجتمعوا

بمدينة أفسيس إحدى وخمسون سنة، وكان في أيام تدوس هذا عند النصارى حوادث في الدين والملك منها نفيه يوحنا المعروف بفم الذهب بطريرك القسطنطينية بحكومة حكمها في كرم فكرهت ذلك زوجة الملك يدوقية وغير ذلك.

الحادي عشر مرقيان: ملك ست سنين وفي أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع بمدينة خلكيذون على ديسقرس بطريرك القسطنطينية وأوطيسوس اجتمع فيه ستائة وثلاثون أسقفًا، فمن المجمع الثالث المائتين أسقف الذين اجتمعوا بمدينة أفسيس إلى هذا المجمع إحدى وعشرون سنة وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى وفارقوهم وقد ذكرنا في كتاب "أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة في أخبار ملوك الروم وطبقاتهم وسيرهم" نجبر يعقوب البرذعاني الأنطاكي وقيل: الخراي تلميذ سورس، وكيف أضيف أهل مقالة ديسقرس إلى اليعاقبة، ونسبوا إلى يعقوب وما كان من سوارى؟

وقد ذكرنا في أخبار ملوك الروم المنتصرة من كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" عند ذكرنا مرقيا هذا والسنهودس الذي كان في أيامه ما اتفقت عليه الملكية والنسطورية واليعقوبية، وما اختلفت فيه من الكلام في الأفانيم والجوهر وغير ذلك، وما احتج به كل فريق منهم لذلك على الشرح، وقول من خالف هؤلاء من فرق النصارى الأريوسية والمارونية والبيالقة وهو المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي وهو من أول بطارقة أنطاكية وأصحاب الكراسي بها متوسطًا بين مذاهب النصارى والمجوس وأصحاب الاثنين من تعظيم سائر الأنوار وعباداتها على مراتبها وغير ذلك.

وإنما نذكر في هذا الكتاب لَمَعًا وجوامع منبهين بذلك على ما تقدم من كتبنا وسبق من تصنيفنا، ولليعاقبة كرسيان لا ثالث لهما أحدهما بأنطاكية،

والآخر بمصر والغالب على نصارى مصر من الأقباط وغيرها بفسطاطها وسائر كورها وما يليها من أرض النبوة والأجاش رأي يعقوبية، وبها منهم ما لا يحيط به الإحصاء كثرة، ومقام بطركتهم بدير يعرف بأبي مقاراً بناحية الإسكندرية، والملكية والنسبورية بمصر قليلون جداً وما عدا هذه البلدين، فإنها لليعقوبية مطارئة وأساقفة.

الثاني عشر لاوون الكبير: ملك ست عشرة سنة.

الثالث عشر لاوون الصغير: ملك سنة، وكان يعقوبي المذهب، وأراد حمل أهل مملكته على ذلك؛ فهلك، ولم يبلغ ما أراده، وقيل: إنه أُغتيل بالسم.

الرابع عشر زينون: ملك سبع عشرة سنة، وكان يعقوبي المذهب، وزهد في الملك، وجعله إلى ولده؛ فهلك ولده فعاد إلى الملك.

الخامس عشر أنسطاس: ملك سبعا وعشرين سنة، وكان يعقوبي المذهب.

السادس عشر يوسطين: ملك تسع سنين وتبع يعقوبية بالقتل والنفي.

السابع عشر يوسطانوس: ملك تسعا وعشرين سنة، وفي ملكه كان السنهودس الخامس بمدينة القسطنطينية، فحرموا أريمانس أسقف منبج؛ لقوله بتناسخ الأرواح في أجسام الحيوان وتبديل الأسماء وتغير الأجسام، وأن الله - عز وجل - لا يفعل ذلك بخلقه إلا باستحقاق؛ لما ارتكبه من الإجرام، وأنه لا يجلب بعذابهم منفعة، ولا يدفع عن ذاته مضرة؛ إذ كان غنياً عن جميع ذلك وغير ذلك من الكلام في إيلام الحيوان والتعديل والتحرير، وأيا أسقف الرهاء، وتدوس أسقف المصيصة، وتوذروطس أسقف أنقرة؛ لأقاويل أظهرها.

حضر هذا المجمع أصحاب الكراسي الأربعة وأساقفتهم وهم مائة

وأربعة وستون أسقفًا، ولم يحضر بطريرك إيليا وحضر أصحابه؛ فكان من المجمع الرابع الستائة والثلاثين الذي اجتمعوا بخلقيدون إلى هذا المجمع مائة وست وثلاثون سنة، وقد ذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوافت" ما كان في أيام هذا الملك من أمر اليعاقبة والملكية ببلاد مصر والإسكندرية، وأمر اليهود بإيليا وجبل يهودا وجبل الجليل وقتلهم النصارى، وما بنى هذا الملك من الكنائس والديارات ويطور سيناء على الناطس والعلقية وهو الموضع الذي أنزلت فيه التوراة على موسى بن عمران عليه السلام وغير ذلك من أحواله.

الثامن عشر يوسطينوس: ملك ثلاث عشرة سنة، وكان في أيامه أنوشروان الملك.

التاسع عشر طياربوس: ملك ثلاث سنين وثمانية أشهر، وكان بينه وبين أنوشروان مراسلات ومهاداة.

العشرون موريق: ملك عشرين سنة وأربعة أشهر، وظهر في أيامه رجل من أهل مدينة حماة من أعمال حمص يعرف بمارون؛ إليه تنسب المارونية من النصارى إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وأمرهم مشهور بالشأم وغيرها، أكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان، وكان له دير عظيم يعرف به شرقي حماة، وشيزر ذو بنيان عظيم حوله أكثر من ثلاثمائة صومعة فيها الرهبان، وكان فيه من الآلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم؛ فخرّب هذا الدير وما حوله من الصوامع بتواتر الفتن من الأعراب وحيف السلطان، وهو يقرب من نهر الأرنت نهر حمص وإنطاكية، وكان مارون قد أحدث آراء بان بها عمّن تقدّمه من النصارى في المشيئة وغيرها، وكثر متّبِعوه، وقد أتينا على شرح مذهبه وموافقته الملكية والنسطورية واليعاقبة في الثالث، ومخالفته إياهم فيما يذهب إليه من أن المسيح جوهران

أفنوم واحد مشيئة واحدة، وهذا القول متوسط بين قول النسطورية والملكية وغير ذلك في كتابنا "في المقالات في أصول الديانات"، ولبعض متبعيه من المارونية ويعرف بقيس الماروني كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والأنبياء والكتب والمدن والأمم وملوك الروم وغيرهم وأخبارهم انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي، ولم أر للمارونية في هذا المعنى كتاباً مؤلفاً غيره، وقد ألف جماعة من الملكية والنسطورية واليعقوبية كتباً كثيرة ممن سلف وخلف منهم، وأحسن كتاب رأيته للملكية في تاريخ الملوك والأنبياء والأمم والبلدان وغير ذلك؛ كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي، وكتاب سعيد بن البطريق المعروف بابن الفَرَّاش المصري بطريرك كرسي مارقس بالإسكندرية، وقد شاهدناه بفسطاط مصر انتهى بتصنيفه إلى خلافة الراضي، وكتاب إثنايوس الراهب المصري رتب في هملوك الروم وغيرهم من الأمم وسيرهم وأخبارهم من آدم إلى قسطنطين ابن هيلاني، ورأيت لأهل المشرق من العباد كتاباً ليعقوب بن زكرياء الكسكري الكاتب، وقد شاهدناه بأرض العراق والشام يشتمل على أنواع من العلوم في هذه المعاني يزيد على غيره من كتب النصارى، وكتاب لليعاقبة في ذكر ملوك الروم واليونانيين وفلاسفتهم وسيرهم وأخبارهم ألفه أبو زكرياء دنخا النصراني، وكان متفلسفاً جداً نظاراً، جرت بيني وبينه مناظرات كثيرة ببغداد في الجانب الغربي بقطيعة أم جعفر ومدينة تكريت في الكنيسة المعروفة بالخضرَاء في الثالوث وغيره، وقد أتينا على ذكرها في كتاب "المسائل والعلل في المذاهب والملل"، وفي كتاب "سر الحياة"، وذلك في سنة ٣١٣.

قال المسعودي: وقد كان خسرو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان لما هزمه بهرام جوبين واحتوى على الملك وقتل هرمز لجأ إلى موريق مستنجداً به فأنجده وزوجه ابنته مريم وهي أم شيرويه القاتل لأبيه أبرويز، وأنجده بجيش كثير فسار بهم أبرويز مما يلي أرمينية وأذربيجان؛ فواقع بهرام، وكشفه فلحق بأرض

الترك إلى أن قتل بها هناك غيلة، وقد أتينا على ما كان في أيامه في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجواهر" في النسخ الأخيرة التي قررنا أمرها في هذا الوقت وهي سنة ٣٤٥، وهي أضعاف ما تقدّم من النسخة المؤلفة في سنة ٣٣٢.

الحادي والعشرون فوقاس: ملك ثمانين سنين وأربعة أشهر، ولما ملك تتبع ولد موريقيس حما أبرويز وحاشيته بالقتل؛ فلمّا بلغ ذلك أبرويز أحفظه، وسير الجنود إلى بلاد الشام ومصر؛ فاحتوى عليها، وقتلوا من النصارى خلقاً كثيراً وخربوا الكنائس بإيلياء وغيرها، وتوجه شهرراز في جيوش كثيرة كثيفة نجو القسطنطينية، فخيّموا على الخليج بإزائهم، واشتدّ حصارهم إيّاهم، وكان هرقل بن فوق بن مرقس يخلف من مدينة صلوونيقي وهو من أهلها إلى القسطنطينية بالزاد في البحر وهم محاصرون؛ فبانّت شهامته، وظهرت شجاعته، وأحبه أهل القسطنطينية فخلاً بالبطارقة، وذوى المراتب فأغراهم بفوقاس، وذكر لهم ما نزل بهم في أيامه؛ وذكرهم بسوء آثاره فيهم وغلبة الفرس على ملكهم؛ بسوء تدبير وقبح سياسته وإقدامه على الدماء ودعاهم إلى الفتك به فأجابوه إلى ذلك فقتلوه.

ذكر ملوك الروم من الهجرة إلى سنة ٣٤٥

واجتمعت البطارقة وغيرهم من ذوي المراتب من الروم وغيرهم بعد قتل فوقاس؛ لاختياره من يصلح للملك؛ فوقع اختيارهم بعد خطب طويل، وتنازع كثير على هرقل؛ فملكوه، ورجوا صلاح أحوالهم بتمليكه، وهو الثاني والعشرون من ملوك الروم المنتصرة، وكان ملكه ثلاث وثلاثين سنة خلت من ملك كسرى أبرويز بن هرمز ملك بابل؛ فملك خمسًا وعشرين سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وفي أول سنة من ملكه كانت هجرة رسول الله ﷺ؛ فأقام في الملك أيام النبي ﷺ، وأيام أبي بكر وعمر، وستين من خلافة عثمان وفي أيامه غلب المسلمون على بلاد سورية وهي الشام والجزيرة، وكان أخوه قسطنطين معاضدًا له على الملك فهلك قبله، ولما ملك هرقل جد في حرب الفرس، فكانت له معهم حروب كثيرة وفسد الأمر بين كسرى أبرويز وصاحب جيشه المحاصر للقسطنطينية شهربراز، وأتاه هرقل وملاه على أبرويز؛ فخرج هرقل في مراكب كثيرة في الخليج إلى بحر الخزر، وسار إلى طرابزندة وأبواب لازقة، واستجد هناك ملوك الأعاجم من اللان والخزر والسيرير والأبخاز وجرزان والأرمن وغيرهم حتى صار إلى بلاد أزان واليلقان وأذربيجان والماهات من أرض الجبل، واتصلت جيوشه بأرض العراق؛ فشن الغارات، وقتل وسبى وانصرف راجعًا إلى القسطنطينية بحيلة أوقعها أبرويز عليه.

قال المسعودي: وقد أتينا على خبر شهربراز والسبب في فساد الحال بينه وبين أبرويز، وإلى ما آل أمرهما، وشرح أخبار هرقل وما كان بينه وبين فارس من الحروب وحيلة ومكايد وما كان بينه وبين النبي ﷺ من المكاتبات والمراسلات، وما كان بين جنوده وبين المسلمين من الحروب بالشام ومصر وغيرهما في خلافة أبي بكر وعمر، وخروجه عن الشام وقطعة الدرب إلى بلاد الروم، وقوله عند صعوده جبل الآكام، وإشرافه على الشام: عليك السلام يا

سورية سلام مودع لا يعود إليك أبدًا حتى يولد الغلام المشثوم وليته لا يولد فما أحلى رضاعه ! وأمر فظامه ! وما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في حال إمرته على الشام من قبل عمر وعثمان؛ والمراسلات والملاطفات وأخباره، فناق غلام معاوية بأن عثمان بن عفان يقتل، وما يثول إليه أمر المسلمين بعد ذلك وغير ذلك من أخباره في كتاب " أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والممالك الدائرة " وفي كتاب " فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف "، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعًا وجوامع منبهين بذلك على ما تقدم تأليفه من كتبنا، ومدخلًا إلى علم ما سبق إيضاحه من تصنيفنا.

الثالث والعشرون قسطنطين بن قسطنطين أخى هرقل وقيل: إنه ابن هرقل ملك تسع سنين وستة أشهر في خلافة عثمان بن عفان، وهو الذي غزا في البحر في نحو ألف مركب حربية وغيرها فيها الخيل والخزائن والعدد يريد الإسكندرية من بلاد مصر، وكان عامل مصر والإسكندرية لعثمان عبد الله بن سعد بن أبي السرح؛ فالتقوا في البحر فكانت على قسطنطين؛ فعطبت مراكبه، وهلك أكثر رجاله، ونجا في مركب؛ فوقع في جزيرة سقلية من بلاد إفريقية؛ فقتله جرجيق ملكها تشاؤمًا به؛ لإهلاكه النصرانية، وسميت هذه الغزاة ذات الصواري، لكثرة المراكب وصواربها وهي الأدغال، وكان ذلك في سنة ٣٤ للهجرة.

قال المسعودي: وفي ملكه كان السنهودس السادس، وهو المجمع بالقسطنطينية من بلاد بوزنطيا وقيل: بل كان قبل هذا الوقت، وكان اجتماعهم على لعن رجل يقال له قورس الإسكندراني خالف الملكية، وأحدث قولًا نحو قول المارونية في المشيئة والفعل، وكان عدة من اجتمع فيه من الأساقفة مائتين وتسعة وثمانين أسقفًا، وقيل: دون ذلك في السنهودس الخامس إلى هذه السنهودس ثمان وستون سنة وأربعة أشهر، وقيل: دون ذلك وهذا آخر

السنيودسات لم يكن لهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو سنة ٣٤٥، والملك على الروم قسطنطين بن لاوون بن بسيل اجتماع فيما بلغني مع قربنا من ديارهم وبحثنا عن أخبارهم وتنقلنا بالثغر الشامي وأنطاكية والشام ومصر.

والملكية تذكر هذه الاجتماعات الستة في قداسها: وهي الصلاة على القربان في كل يوم، وقد اختلف أهل دين النصرانية في العيارة عن اسمها هذه المجامع عند مقابلتهم الأمانات بالتراجم المعروفة فممنه من يسميه أهل مصر من السنيودسات أحدها سنيودس وبها عبرنا في كتابنا هذا؛ لأنها أفصحها ولقمانا بمصر في هذا الوقت، ويسمونها أهل المشرق السنادسات، وقوم يقولون: سناطس، وقد أتينا على شرحها والسبب في وقوعها، وما كان في ذلك من الخلاف والمناظرات بينهم وأخبار أصحاب الكراسي الذي هم البطارقة أحدهم بطريك ومراتبهم وتسميتهم وأعدادهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا ممن كان منهم بمدينة رومية والإسكندرية من بلاد مصر وأنطاكية والقسطنطينية وإيلياء في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجواهر" وفي كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"، وإن كانت أسماؤهم مثبتة في الديبطخة التي تقرأها النصارى في القداس، وذكرنا أسماء الاثني عشر والسبعين تلاميذ المسيح وتفرقهم في البلاد وأخبارهم، وما كان منهم، ومواضع قبورهم، وأن أصحاب الأنجيل الأربعة منهم يوحنا ومتى من الاثني عشر ولوقا ومرقس من السبعين وأن مرقس صاحب الإسكندرية ومن كان بعده من البطارقة على هذا الكرسي الحكام على سائر أصحاب الكراسي في كل ما يختلفون فيه، والقضاة عليهم إذا تنازعوا ومتى اجتمعوا في محفل جلسوا حشراً، وصاحب هذا الكرسي بعمامة إذ كان خليفة بطرس؛ وأن السبب في ذلك أن بطرس لما دعا التلاميذ إلى أن يسير بعضهم إلى الإسكندرية بالإنجيل الذي كتبه، ويدعو الناس جزعوا من ذلك؛ لأجل من كان بها من الصابئين والقطرين أحدهم قاطر ويسمى بالقبطية هيراتقس، وهم الكهنة،

وأن مرقس انتدب لذلك، وكان أصغر القوم سنًا؛ فناول به بطرس الإنجيل، ومحا اسمه منه، وأثبت فيه اسم مرقس، وقال له: قد جعلناك الحاكم عليه فيما تنازعوا فيه وغير ذلك من أسرار دين النصرانية وأخبارهم من السليحين وغيرهم مما هو موجود في الكتاب المعروف ببركسيس، وفي كتاب ديونوسيوس الفلوباخيوطا في أسرارهم أيضًا، وفي كتاب أقليمنس وكان تلميذًا لبطرس، ورأيت كثيرًا من النصاري يقف في هذا الكتاب، ويدفع أن يكون صحيحًا، وفي الأربع عشرة رسالة لبولس التي كتب بها في أوقات متفرق إلى أهل رومية وغيرهم، وتدعى هذه الرسائل كتاب السليخ، وذكرنا في كتاب المقالات في أصول الديانات وكتاب خزائن الدين وسر العالمين، أقاويل الأمم في العوالم الأربعة: عالم الربوبية، وعالم العقل، وعالم الطبيعة، ومراتب الروحانية والجواهر العلوية والأجسام السمائية، وسائر الوسائط والفرق بين النار والنور ومراتب الأنوار، وما قاله كل فريق منهم في ذلك من الهند وقدماء الفلكيين وأصحاب الاثني ومن وافقهم من أصحاب التأويل في هذا الوقت والحفء والكلدانيين: وهم البابليون الذين بقيتهم في هذا الوقت بالبطائح بين واسط والبصرة في قرايا هناك، وتوجههم في صلاتهم إلى القطب الشمالي والجدي. والشمسية وهم: صابئة الصين وغيرهم، وهم على مذهب بوداسب وغوام اليونانيين وتوجههم في صلاتهم إلى المشرق، وصابئة المصريين الذي بقيتهم في هذا الوقت صابئو الخرائين وتوجههم في صلاتهم إلى التيمن، وهو القبلة واستدبارهم الشمال، وامتناعهم من كثير من المأكّل التي كان صابئة اليونانيين يأكلونها كلحم الخنزير والفراخ والثوم والباقي وغير ذلك، وقولهم بنبو أغاثديمون وهرمس وأميروس وأراطس صاحب كتاب صورة الفلك والكواكب وغير ذلك وأرياسيس وأراني الأول والثاني وغيرهم، وأسرارهم في الذبائح والصلوات للكواكب السبعة وغيرها والقوفات وهي الدخن للكواكب، وتمثيلهم مراتب الكهنوت في هياكلهم بما علا من الروحانية، وتسميتهم أعلى الكهنة رأس كمرين، وما يذهبون إليه من قول

أفلاطون: إن من عرف نفسه حقيقة المعرفة تأله، ومن قول صاحب المنطق: من عرف نفسه فقد عرف بها كل شيء، وما جرى بين فروريوس الصوري صاحب كتاب إيساغوجي في المدخل إلى كتاب أرسطاطاليس في المنطق، وكان نصرانياً ينصر مذاهب صابئة اليونانيين مخفياً لذلك، وبين أنابو الكاهن المصري، وكان ينصر الفلسفة الأولى التي كان عليها فيثاغورس وثاليس الملكي وغيرهم، وهي مذهب صابئة المصريين من المسائل والجوابات في العلوم الإلهية، وذلك في رسائل بينهم معروفة عند من عني بعلوم الأوائل وما كانوا عليه من الآراء والنحل، وقد صُنِّف على مذاهب الفوثاغوريين والانتصار لهم كتب كثيرة، وآخر من صُنِّف في ذلك أبو بكر محمد بن زكرياء الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره كتاباً في ثلاث مقالات وذلك بعد سنة ٣١٠.

وقد ذكر أفلاطون ترتيب العوالم في كتابه المعروف "بظيماوس فيما بعد الطبيعة" وهو ثلاث مقالات إلى تلميذه ظيماوس مما ترجمه يحيى بن البطريق، وهو غير كتابه ظيماوس الطبي الذي ذكر فيه كون العالم الطبيعي، وما فيه والهيئات والألوان وتراكيبها واختلافها وغير ذلك شرحه جالينوس، وفسَّره حنين بن إسحاق وذكر بأنه سقط عنه منه كراستان الأولى والثانية، والذي حصل من ترجمته أربع مقالات، ذكر أرسطاطاليس ترتيب العوالم في كتابه فيما بعد الطبيعة في الحرف المعروف باللام وغيره من الأحرف فيما فسَّره طامستوس، وترجمه إلى العربية إسحاق بن حنين، وذكرنا فيما سلف من كتبنا ما ذهب إليه النصارى من أن البارئ - عز وجل - خلق في الابتداء جنس الملائكة المقربين روحانيين ذوي جواهر بسائط أحياء ناطقة؛ ليمجدوه من غير حاجة منه - عز وجل - إلى ذلك وأنه تعالى جعلهم منقسمين لطبقات تسع، وعلى طبقات بعضها أعلى من بعض، واسم جملة الروحانيين بالسريانية وهو اللسان الأول طُغَم، وبالرومية طَغَمَتَس، وبالعربية تغم.

والكنيسة عندهم كنيسة السماء، ومراتب الكهنوت على مقدار طغيمات الملائكة، وهي تسع: فالطغمة الأولى عندهم طغمة البطارقة ثم ما يلي ذلك من مراتب الكهنة، وذكرنا مذاهب الصابئين في ذلك، وأنهم يرون أن هذه المراتب على ترتيب الأفلاك التسعة، وكذلك مذاهب أصحاب الاثنين في ذلك قبل ظهور ماني، وأسماء كل فرقة منهم، وما رتبها من ذوي الرئاسات الديانية تشبيهاً بما علا من الجواهر العلوية والأجسام السماوية.

والعشرون قسطا بن قسطنطين: ملك خمس عشرة سنة، وذلك في خلافة علي بن أبي طالب، وصدرًا من أيام معاوية بن أبي سفيان.

الخامس والعشرون هرقليناس بن قسطنطين: وهو هرقل الأصغر وقيل: إن جده هرقل الأكبر ملك أربع سنين وثلاثة أشهر في أيام معاوية.

السادس والعشرون قسطنطين بن قسطا: ملك ثلاث عشرة سنة بقية أيام معاوية وأيام يزيد ومروان بن الحكم، وصدرًا من أيام عبد الملك بن مروان.

السابع والعشرون أسطانيانس: المعروف بالأخرم ملك تسع سنين في أيام عبد الملك، ثم خلع، وخرم أنفه، وقطع عرق تحت لسانه؛ ليخرس فسلم من ذلك، وحمل إلى بعض الجزائر فهرب، ولحق بملك الخرز مستنجدًا به، وتزوج هناك فلم ير عندهم ما يحب فصان إلى طرفلا ملك بركان.

الثامن والعشرون أولنطس: وقيل لونطس ملك ثلاث سنين في أيام عبد الملك، ثم زهد في الملك، وأظهر العجز عنه، فلحق بالدير فترهب.

التاسع والعشرون أبسيمر: المعروف بالطرسوسي ملك سبعة سنين في أيام عبد الملك، فسار أسطانيانس الأخرم، ومعه طرفلا ملك بركان منجدًا له في جيوش كثيفة فكانت له مع أبسيمر حروب يصول شرحها قد ذكرناها في كتاب

"أخبار الزمان وما أباده الحدّثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة" فغلب أسطنيانس على الملك، وخلع أبسيمر، وكان ذلك في السنة الأولى من ملك الوليد بن عبد الملك واستوى الأمر له الملك الثاني وهو الثلاثون من ملوكهم وقد كان شرط لطرفلا ملك برجان إذا رجع الملك إليه أن يحمل إليه في كل سنة خراجاً، وكان يفعل ذلك، واشتد عسفه للروم وبسط يده في القتل فيه، وأباد كثيراً من رؤسائهم ويطارقتهم؛ فأجمعوا على قتله فقتلوه فكان ملكه الثاني ستين ونصفاً.

الحادي والثلاثون فيلبقوس: ملك سنين وستة أشهر بقيت أيام الوليد، وهلك في أول سنة من ملك سليلان بن عبد الملك.

الثاني والثلاثون نسطاس بن فيلبقوس: ملك ثلاثة أشهر على تحزب كثير واختلاف كلمة، ثم خلع ونفي.

الثالث والثلاثون تيدوس: المعروف بالأرمني كان ملكه في السنة التي بويج فيها سليمان بن عبد الملك فبعث إليه سليمان أخاه مسلمة؛ لغزو القسطنطينية برّاً وبحراً وذلك في سنة ٩٧، وكان في مائة ألف وعشرين ألف مقاتل وكان على أسطول المسلمين في البحر عمر بن هبيرة الفزاري فانضم إلى مسلمة بطريق يعرف باليون بن قسطنطين المرعشي، وضمن له أن يناصحه على أهل القسطنطينية فركن مسلمة إلى ذلك عبر الخليج وحاصر القسطنطينية؛ فوجّه أهلها إلى مسلمة يذلون الفدية؛ فأبى فمكر به أليون، واستأذنه في مكاتبة رؤساء الروم والتوسط بينه وبينهم فكاتبهم، وسار إليهم فخلا بالبطريرك صاحب كرسي القسطنطينية ورئيس الديانة وسائر البطارقة أصحاب السيوف وولاة الأعمال؛ فبدعاهم إلى أن يملكوه عليهم؛ ليقوم بأمرهم، ويصرف مسلمة عنهم، وذكر لهم ضعف تيدوس ملكهم علن مقاومته؛ فأجابوه إلى ذلك وعاد إلى مسلمة، فأخبره أنهم قد دخلوا في طاعته

وسأله التبعده عنهم قليلاً، وترك حصارهم؛ ليطمئثوا إليه ففعل ذلك، فدخل
أليون القسطنطينية؛ فملك ونصب التاج على رأسه، فأمر بنقل ما كان مسلمة
أعده من الأقوات لعسكرة؛ فأدخل القسطنطينية، وبلغ مسلمة ذلك فعلم أنه
مكشور به؛ فرجع إلى حصارهم، وعاودهم الحرب وعظم البلاء على من مع
مسلمة؛ لذهاب أقواتهم وولي عمر بن عبد العزيز على تلك الحال فكتب إلى
مسلمة يأمره بالقفول، واستحثه على ذلك فقفل بعد كر شديد، وخطب طويل
وذلك في سنة ١٠٠، وقد أتينا على شرح هذه الحروب وما كان فيها من الحيل
والمكايد في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوائف".

الرابع والثلاثون أليون بن قسطنطين: ملك ستاً وعشرين سنة بقية أيام
سليمان ابن عبد الملك، وأيام عمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك،
وهشام، وهلك في السنة التي بويع فيها الوليد بن يزيد.

الخامس والثلاثون قسطنطين بن أليون: ملك إحدى وعشرين سنة أيام
الوليد بن يزيد، ويزيد بن الوليد، ومروان بن محمد، وأبي العباس السفاح،
وعشر سنين من خلافة المنصور.

السادس والثلاثون أليون بن قسطنطين: ملك سبع عشرة سنة وأربعة
أشهر بقية أيام المنصور، وخمس سنين من خلافة المهدي.

السابع والثلاثون ريني امرأة أليون بن قسطنطين، وتفسير ريني:
صلاح، ثم لقبت بعد ذلك أغسطة وملك معها ابنها قسطنطين بن أليون؛ فلم
يزال ملكين بقية أيام المهدي وأيام الهادي، وصدرًا من خلافة الرشيد، وكانت
هي تمضي الأمور والاسم لابنها وكانت المهادنة للمهدي والهادي والرشيد،
فلما نشأ ابنها أفسد وتعدي وطغى وناشد الرشيد، ونقض ما كان بينهم من
الصالح فغزاه الرشيد، وأوقع به فهرب فكاد أن يؤخذ فلما صار إلى قراره

خافت أمه أن يكر عليه الرشيد، وكان طغيان ابنها وقبح سياسته قد ظهر في رعيته حتى سبوه وأنكروه؛ فاحتالت عليه أمه؛ ليقبى ملكها عليها، فأمرت بمرأة فأحيت في حال نومه، ثم أنبهته وقابلته بالمرأة ففتح عينيه على غرة؛ فذهب بصره، وكان مدة ملكه مع أمه سبع عشر سنة، وتفردت بالأمر خمس سنين وذلك في أيام الرشيد، وهادنت الرشيد وحملت إليه الإتاوة، فتطرق بذلك عليه نقفور؛ فأعين وعوضد حتى خلعت، وانتزع الملك منها وذلك في سنة ١٨٧، وهي في بلاط بنته بالقسطنطينية يعرف بالإبتارو إلى هذا الوقت، ولغثيظها إلياطس، وكان ذا رأي وحزم وسياسة والبلاط القصر، وفي هذا البلاط ميناء عليه سلسلة فيه ينزل رسل العرب إذا قدموا للقداء.

الثامن والثلاثون نقفور بن إستبراق، ملك سبع سنين وثلاثة أشهر في أيام الرشيد وهلك في أول خلافة الأمين، وقيل: إنه كان من ولد جفنة من غسان ممن تنصر أبأؤه وقيل: بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا في أرض الروم من بلاد الجزيرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويبيع لابنه إستبراق بالملك بعده، ولم يعهد هذا فيمن سلف من ملوك الروم، وكانت كتبه تصدر من نقفور وإستبراق ملكي الروم، وكانت ملوك الروم قبله تحلق لحاها، وكذلك ملوك الفرس لأمر قد ذكرناها في غير هذا الكتاب فأبى ذلك نقفور، وقال: هذا تغيير لخلق البارئ سبحانه، وكانت مرتبته قبل أن يلي الملك لغثيظ، وهي ولاية ديوان الخراج، وكانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية، فغير ذلك نقفور، وكتب ملك الروم وقال: هذا كذب ليس أنا ملك النصرانية، أنا ملك الروم والملوك لا تكذب وأنكر على الروم تسميتهم العرب ساراقينوس تفسير ذلك: عييد سارة؛ طعنًا منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وأنها كانت أمة لسارة وقال: تسميتهم عييد سارة كذب والروم إلى هذا الوقت تسمي العرب ساراقينوس، وكان مقتل نقفور في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٣، وقد أتينا على أخباره مع الرشيد وحروبه لبرجان، وقتلهم إياه.

وغير ذلك من أخباره في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر".

التاسع والثلاثون إستبراق بن نقفور بن إستبراق: ملك شهرين.

الأربعون ميخائيل بن جورجس: وكان ابن عم نقفور، وصهره ملك سنتين في أيام الأمين، وقيل: أكثر من ذلك، فوثب به أليون المعروف بالطريق وغلب على الأمر، وأقام ميخائيل قبله مخفيًا أمره، وأشاع هلكه بعد أن ناله بأنواع المكاره.

الحادي والأربعون أليون: المعروف بالطريق ملك سبع سنين وثلاثة أشهر وذلك بقية أيام الأمين، وصدرًا من خلافة المأمون، فاحتال صنائع ميخائيل فاستخلصوه، فوثب بأليون وهو مغتر فقتله، وعاد الملك وقيل: إنه في حال غلبة أليون على الأمر ترهب.

الثاني والأربعون ميخائيل بن جورجس الملك الثاني: ملك تسع سنين في أيام المأمون، وقيل أكثر من ذلك وقد أتينا على خبره، وما كان من أمره، وعوده إلى الملك ثانية في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر".

الثالث والأربعون توفيل بن ميخائيل: ملك أربع عشر سنة بقية أيام المأمون، وأيام المعتصم، وصدرًا من أيام الوثاق، وهو الذي فتح مدينة زيطرة من الثغور الجزرية؛ فخرج المعتصم نافرًا غازيًا حتى نزل على عمورية؛ فافتتحها وذلك في سنة ٢٢٣، وكان دخوله من الثغور الشامية، ودخل الأفشين خيذر بن كاوس الأشروسي فيمن كان معه من الأولياء، وعمر بن عبيد الله بن مروان الأقطع السلمي صاحب ملطية من الثغور الجزرية، فلقيهم الملك توفيل بن ميخائيل، فكانت بينهم حروب عظيمة؛ فانكشف الملك، وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ممن كان استأمن إليه من ناحية أذربيجان والجلال لما واقعهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب الطاهري، وكانوا

الوفا، ولحق الأفشين بالمعتصم، فنزل معه على عمورية، وفي ذلك يقول الحسين
 بن الضحّاك الخليع الباهلي في قصيدة له طويلة يمدح أبا الحسن الأفشين:
 أثبتت المعصوم عزّاً لأبي حسن أثبت من ركن أضـم
 كل مجد دون ما أثله لبني كاوس أملاك العجم
 لم يدع بالبد من مساكنة غير أمثال كأمثال إرم
 وقراتوفيل طعناً صادقاً فض جمعته جميعاً ومزم

وقد ذكره أبو تمام في قصيدته التي مدح بها المعتصم، وذكر فتح عمورية
 التي أولها:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقال:

لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب

وقال الحسين بن الضحّاك أيضاً في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم:
 لم تبق من أنقرة نقرة واجتحت عمورية الكبرى
 إن يشك توفيل بتاريخه فحق أن يعذر بالشكوى

وقال:

تفنى بنو العيص وأيامهم وذكر أيامك لا تفنسى
 يا رب قد أملك من بابك فاجعل لتوفيلهم العقبى

وإنما ذكرنا هذه الشواهد؛ لأن فريقاً ممن لا علم له بسير الملوك وأيامهم
 ذهبوا إلى أن المواقع للأفشين، والذي فتح عمورية الكبرى في أيامه هو:
 نقفور الذي كان في أيام الرشيد، وما ذكرنا أشهر وأوضح؛ إذ كان من الكوائن
 التي يشترك الناس في علمها؛ بسبب شهرتها واستفاضة أنبائها، ولكن الحاجة

دعت إلى الاستشهاد.

الرابع والأربعون ميخائيل بن توفيل: ملك ثمان وعشرين سنة بقية أيام الواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين، وكانت أمه تدور تدبر الملك معه، ثم أراد قتلها لأمر كان منها، فهربت ولحقت بالدير؛ فترهبت ونازعه في الملك رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يُعرف بابن بقراط فلقبه ميخائيل، وقد أخرج من في سجنونه من المسلمين للقتال معه وقواهم بالخيال والسلاح؛ فظفر بابن بقراط فشوه بخلقه، ولم يقتله؛ لأنه لم يلبس ثياب الفرير والخف الأحمر، وقتل ميخائيل بسيل الصقلي جد قسطنطين بن لاون بن بسيل الملك على الروم في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا وهو: سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع، وكان قتله إياه في سنة ٢٥٣ في خلافة المعتز، وقيل في سنة ٢٥٢.

الخامس والأربعون بسيل الصقلي: ملك عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدرًا من خلافة المعتد، وكانت أمه صقسية؛ فنسب إليها فقيل: الصقلي.

قال المسعودي: وقد أتينا على خبره، وبدء أمره وخروجه من بلده وهو بند تراقية إلى القسطنطينية ملتصقًا للرزق، طالبًا للمعاش، وما كان عليه من الشدة والشجاعة والهمة والمعرفة بأمور الخيل، وكيف اتصاله بميخائيل بن توفيل إلى أن صار المدبر لخيله، وانتقاله في المراتب إلى أن سمى براكنميس تفسير ذلك: المدبر للملك: وقيل: إن توفيل استحضره لما نوى إليه خبره وخبر المراتين اللتين تزوج الملك بإحدهما وزوجه الأخرى؛ إذ كانت شريعتهم تمنع من الجمع بينهما، وكان الملك يختلف إليهما، وما توجه لبسيل عليه من الحيلة حتى قتله، وصفا له الملك وغير ذلك من أحواله في كتاب "قنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف".

السادس والأربعون أليون بن بسيل: ملك ستًا وعشرين سنة بقية أيام

المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرًا من أيام المقتدر، وقيل: إن وفاته كانت في سنة ٣٩٧.

السابع والأربعون أخوه الأكصندرس بن بسيل: ملك سنة: وقيل: أكثر من ذلك وقيل: إنه اغتيل؛ لسوء سيرته وقبح سياسته.

الثامن والأربعون قسطنطين بن لاون بن بسيل: ملك وله نحو من ست سنين، وقيل: أكثر من ذلك في سنة ٣٠١، وغلب على أمره بطريق البحر وصاحب مغازيه رومانوس، فقام بأمر الملك وشرط على نفسه شروطًا منها:

إنه لا يطلب الملك، ولا يريده، ولا يتسمى به، ولا أحد من ولده، وأقام على ذلك نحوًا من ستين، ومن رسوم ملوك الروم ألا يجلس معهم في مجلسهم أحد، ولا يلبس خفّين أحمرين غيرهم، فجعل لأرمانوس أن يجلس معه، ويلبس خفّا أحمر والآخر أسود، ثم نقض الشروط، وسمّى نفسه ملكًا، ولبس التاج والثياب الفرفير التي لا يلبسها إلا الملوك وخفّين أحمرين، وحجر على قسطنطين ونشأ لأرمانوس أربعة أولاد؛ فخص الأوسط واسمه: توفيلقطس، وجعله خادماً للكنيسة، فلما كبر وبلغ مبلغ الرجال جعله بطريرخًا: وهو ملك الدين والقيّم به، كما أن الملك صاحب السيف فهو صاحب كرسي القسطنطينية إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وصاحب الكرسي هو شريك الملك ليس يساوي الملك في الخلق أحد إلا هو، ولا يكفر الملك إلا له، وإذا جلس الملك جلس على كرسي من ذهب، وجلس البطريرخ على كرسي من حديد، فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج وإعطاء الجند فهو إلى الملك، وما كان من أموال الأحياس والوقوف لنفقات الكنائس والديرة والأساقفة والرهبان، وما أشبه ذلك من أمر دينهم فهو إلى البطريرخ، وله في كل بند عامل مثل عامل الملك، والبطريرخ لا يأكل اللحم، ولا يطأ النساء، ولا يتقلد السيف، ولا يركب الخيل، وإذا أراد أن يركب حمازًا، وحولّ رجله على جانب

مثل ركوب النساء، وكان أولاد أرماتوس الباقون: إخرصطفورس، وإصطفن، وقسطنطين، وكانوا جميعاً يخاطبون بالملك، وزوج أرماتوس ابنته إلنا بقسطنطين؛ فكانت تخاطب بالملكة أيضاً، وولد لقسطنطين الملك منها ولد سَمَاهُ أرماتوس فهو ولي عهده، والمرشح للملك بعده في هذا الوقت، وهلك إخرصطفورس وبقي أخواه قسطنطين، وإصطفن فلم يزل الأمر على ذلك إلى نحو من سنة ٣٣٠ للهجرة فواطأ ابنا أرماتوس قسطنطين بن لاون على إزالة أبيهم أرماتوس عن الملك؛ ليصفوا له الأمر فدخلوا عليه في بعض الأيام في عدّة من الناس، فقبضوا عليه وأنفذوه إلى دير كان بناه في بعض الجزائر بالقرب من القسطنطينية، وأقام ولداه مع قسطنطين نحوًا من أربعين يومًا، وعملا على الفتك به والاستيلاء على الملك، ونذر بما دبراه، فسبقيهما إلى ذلك فأحضرهما طعامه، وقد أعدّ لهم عدّة من خواصه؛ فقبض عليهما، ونفاهما إلى جزيرتين في البحر منفردتين؛ ففتك أحدهما وهو: قسطنطين بالموكّل به، ورام من أصحابه وأهل الجزيرة طاعته فقتلوه وحملوا رأسه إلى الملك قسطنطين؛ فأظهر الجزع عليه، وتوفي أرماتوس بعد أربع سنين من ترهبه، وبقي إصطفن في هذه الجزيرة إلى هذا الوقت على ما ينمي إلينا من أخبارهم، ونحن بفسطاط مصر ممن يرد في المراكب من القسطنطينية من التجار والرسل إلى السلطان بها، وصفا الملك لقسطنطين؛ فبقي في الملك بقية أيام المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي، وإلى هذا الوقت من خلافة المطيع.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" خبر من خرج عليه من الخوارج، ونازعه في الملك قبل استيلاء أرماتوس عليه وقيامه به كقسطنطين بن أندرونقس الملقب بدوقاس، وكان أبوه أندرونقس استأمن إلى المكتفي من ناحية طرسوس، وكان صاحب جيش أليون ملك الروم، وصار إلى مدينة السلام في سنة ٣٩٤، وأسلم على يد المكتفي، ثم هلك فهرب ابنه هذا عن طريق الجبل وأرمينية وأذربيجان؛ فكثر

أتباعه والمعاضدون له، وصار إلى القسطنطينية، ونازع قسطنطين بن أليون على الملك، وكاد أن يتم له، ثم وثب به صينائع قسطنطين فقتلوه وذلك في سنة ٣٠١، وكترقاس أخى الدمستق بارزوس بن القفاس المساجل في هذا الوقت لأبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون بن الحارث العدوي عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب صاحب جند حمص وجند قنسرين والثغور الشامية والجزرية وديار مضر وديار بكر والمواقع له مرة بعد أخرى، وكان قرقاس طلب الملك وطمع فيه فقبض عليه وسُمل.

وقد أتينا على سير هؤلاء وأخبارهم وحروبهم مع سائر الأمم، وما بنوا من المدن، وكوروا من الكور، وشيدوا من الهياكل حين كانوا على الحنيفية والكنائس حين دانتوا بالنصرانية، وما كان من الكوائن والأحداث في أيامهم ودياناتهم، ووجوه سياساتهم إلى هذا الوقت، والتنازع في أعدادهم، وما ملكوا من السنين، وما كان بينهم وبين ملوك الفرس وغيرهم من الأمم من الحروب والوقائع والزخوف والحيل والمكايد، وما كان بينهم وبين خلفاء المسلمين وملوكهم من المغازي والوقائع المشهور في البر والبحر وأخبار الرسل والوفود بينهم والمهادنات والأفدية، وغير ذلك، والتنازع في أنساب الروم وما قيل في ذلك، وما يذهب إليه بعض ذوي المعرفة منهم والدراية في هذا الوقت من أنهم ولد رومي بن لنطي بن يونان بن نويه بن سرجون بن بزنت بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن إليفز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم؛ فسموا باسم جدهم وأضيفوا إليه، ومن قال منهم: إنه من ولد روم بن سملاحين بن هريا بن علقا بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم، وغير ذلك من الأقاويل في كتاب "أخبار الزمان ومن أبياده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة" وفي الكتاب الأرمسط، وفي النسخة الأخيرة من كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" التي قررنا أمرها في هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وهي أضعاف ما تقدم من النسخ، وفي كتاب "فتون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"،

وفي كتاب "ذخائر العلوم" وفي كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" الذي كتابنا هذا تالٍ له ومبني عليه، وقد خصصنا كل كتاب منها من أخبار بما لم نخصص به الآخر إلا ما لا يسع تركه، وإنما ذكرنا في هذا الكتاب جملاً وجوامع؛ استذكّاراً لما تقدم، وقد قدمنا في أول أخبار الروم من هذا الكتاب أن عدة ملوك الروم ثمانية وسبعون ملكاً من الصابئين والمتنصرة قبل الإسلام وبعده، وأن مدة سنيهم إلى ملك قسطنطين هذا تسعمائة سنة وست وستون سنة وشهر، وفصلنا ما ملكه الصابئون والمتنصرة .

وإذ قد ذكرنا الروم وأنسابهم وتاريخ سنيهم وطبقات ملوكهم إلى وقتنا هذا فلنذكر الآن حدود بلادهم وبنودهم، وما يتصل منها بالبحار وما لا يتصل.

ذكر بنود الروم وحدودها ومقاديرها وما يتصل منها بالخليج
 ويخزي الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة
 على ما تقدم من تأليفنا فيما سلف من كتبنا

أرض الروم أرض واسعة في الطول والعرض، آخذة في الشمال بين
 المشرق والمغرب، مقسومة في قديم الزمان على أربعة عشر قسماً، أعمال مفردة
 تسمى البنود كما يقال: أجناد الشام كجند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق
 وجند حمص وجند قنسرين؛ غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد
 وأطول، والروم يسمون بلادهم من أرمانيا، ويسمون البلاد التي سكانها
 المسلمون في هذا الوقت من الشام والعراق وسوريا والفرس إلى هذا الوقت
 تقارب الروم في هذه التسمية؛ فيسمون العراق والجزيرة والشام سورستان،
 إضافة إلى السريانيين الذين هم الكلدانيون، ويسمون سورياً ولغتهم سورية،
 وتسميته العرب النبط.

فالبند الأول: يسمى الأفتى ماتي تفسير ذلك: الأذن والعين وهو بند
 الناطليق أعظم بنود الروم، فيه عمورية أوله مما يلي بلاد الإسلام من الثغور
 الشامية حصن هرقله، وأول عمل الناطليق رستاق يُعرف بغصطوبلي، وفيه
 يقوم سوق البخور، وهو سوق يقوم في السنة مرة.

البند الثاني: بند الأبسيق فيه مدينة نيقية أول عمل هذا البند غصطوبلي،
 وآخره خليج القسطنطينية فهذان البندان من ديار الإسلام إلى خليج
 القسطنطينية في الطول يكون أميالاً أربعمائة ميل وأربعة وثلاثين ميلاً.

البند الثالث: يسرة الناطليق يعرف بترقسين: وهو بند أفسيس مدينة
 أصحاب الكهف، ومدينة زمري أخرج هذا البند عدة من الحكماء في سالف
 الزمان فلاسفة وأطباء فمن الأطباء: روفس الأفيسي له مصنفات كثيرة في

الطب، وجالينوس يمدحه كثير من كتبه، ويذم روفس الحينطي، وهذا البند متصل ببحر الروم والشام.

البند الرابع: بند بنطيليا، وهي: دقابي يتصل بالبحر الرومي أيضًا، وفي آخر هذا البند عمل سلوقية، وحصن بوقية واللامس الذي يكون فيه الفداء بين المسلمين والروم، ومنه إلى طرسوس خمسة وثلاثون ميلًا وهو بند ضيق، وحروب المسلمين عليه برًا وبحرًا؛ فهذان البندان متصلان من دار الإسلام على البحر الرومي إلى خليج القسطنطينية أيضًا يكون طولها ثلاثمائة ميل وخمسة وستين ميلًا.

البند الخامس: بند القباذق وهو يمنية عمورية فيه قرة وحصن يدقسي وحصن سلندو وذو الكلاع واسمه بالرومية كوسطرة وقونية، ووادي سالمون ووادي طامسة، وأول عمل هذه البند مما يلي الثغور الشامية مطمورة تُعرف بماجدة من قلعة لؤلؤة على نحو عشرين ميلًا، وآخر نهر ألس وتفسير ألس بالعربية: نهر الملك، وهو نهر مقلوب يجري مما يلي الجنوب مستقبلًا للشمال كنيل مصر ومهران السند ونهر أنطاكية المعروف بالأرنط، وما عدا ذلك من الأنهار الكبار فمصبها كلها من الشمال إلى ناحية الجنوب؛ لارتفاع الشمال على الجنوب وكثرة مياهه، وقد أتينا على علة ذلك فيما سميناه من كتبنا.

البند السادس: بند البقلار وهو بند عمل أنقرة، وأول عمل أنقرة نهر ألس، وهو آخر عمل القباذق، وآخر عمل البقلار بحر الخزر الذي هو بحر مايطس؛ فهذان البندان متصلان من دار الإسلام إلى بحر الخزر في الطول يكون أميالًا أربعمائة ميل وخمسة وأربعين ميلًا، وليس للروم أطول من بند البقلار هذا، ولا أكثر رجاله منه.

البند السابع: بند الأفظاط وهو عمل نقمودية، وهو بند مربع بين البقلار

والأبسيق، وآخر عمل هذا البند خليج القسطنطينية، وعرض الخليج هناك ميل ويسمى ذلك الموضع إلى هذا الوقت أقرويلي وقد قدّمنا صفة ذلك فيما سلف من هذا الكتاب في ملك قسطنطين ابن هيلاني عند ذكر بنائه القسطنطينية ووصف خليجها والعدوات الست التي عليه.

البند الثامن: بند الأرمنياق يمّة البقلار وهو عمل ماسية، وفي طرف هذا البند عمل خرشنة، وآخره بحر مايطس الذي يسميه كثير من الناس بحر الخزر، وإنما هو متصل به؛ لأن بحر الخزر هو الذي عليه دور الأعاجم كالباب والأبواب وموقان والجيل والديلم وآبسكون ساحل جرجان والههم ساحل أمل قصبة طبرستان على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند أخبارنا عن البحار وترتيبها، وما يصب إليها من كبار الأنهار.

البند التاسع: بند فلاغونية وهو يمّة الأرمنياق، وفي طرفه عمل قلونية، فهذه تسعة بنود دون الخليج مما يلي الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الإسلام، الخمسة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية وهي بند طابل، ومنه القسطنطينية حده من جهة المشرق الخليج الآخذ من بحر الخزر إلى بحر الشام ومن القبلّة بحر الشام ومن المغرب سور ممدود من بحر الشام إلى بحر الخزر يُسمى مقرون تيّخس تفسيره: السور الطويل، طوله مسيرة أربعة أيام، وبينه وبين القسطنطينية يومان، وأكثر هذا البلد ضياع الملك والبطارقة ومروج المواشي.

بند تراقية بند مقدونية بن بلونيسة تفسير ذلك: الجزائر الكثيرة، وقيل: البلدان الكثيرة وهو غربيّ القسطنطينية، فيه خرقيدية ومثونية وقرنتو وأثينس وهي مدينة أرسطاطاليس بن نيقوماخس وثاوفرستس، ودار أرسطاطاليس فيها بيئة إلى هذا الوقت معروفة معظمه.

بند سالونيك التي افتتحها لاون غلام زرافة في البحر سنة ٢٩٠ في خلافة المكتفي، وهي مدينة عظيمة بُنيت قبل القسطنطينية بناها الإسكندر بن فيلبس الملك، وقد غلبت البرغر وأجناس من الترك بدو يسمون الولندرية، إضافة إلى مدينة في أقاصي ثغور الروم مم يلي المشرق تُعرف بولندر وهم: بجناك ويجنني وبجغرد ونوكردة على أكثر هذه البنود الخمسة، وذلك بعد العشرين والثلاثمائة وخيّموا هناك ومنعوا الطريق من القسطنطينية إلى رومية، وهو مسافة نحو أربعين يومًا، وأخربوا أكثر ما هناك من العماير، واتصلت غاراتهم بالقسطنطينية فلا وصول لمن في القسطنطينية إلى رومية في هذا الوقت إلا في البحر.

وإنما العمارة بينهما مما يلي القسطنطينية مسيرة أيام كثيرة، وقد ذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالم" السبب في انتقال هذه الأجناس الأربعة من الترك عن المشرق، وما كان بينهم وبين الغزية والخرلجية والكيمائية من الحروب والغارات على البحيرة الجرجانية، وإليها يصب نهر جيحون ونهر الشاش وفرغانة، وبلاد الفاياب تجري فيها السفن الكبار من بلاد خوارزم إلى بلاد الشاش وغيرها بأنواع التجارات على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وليس في المعمور أكبر منها؛ لأنها مسيرة شهر في مثل ذلك، وقيل: أكثر على ما قدمنا وماؤها عذب، وإليها في العظم بجيرة المارزيون بأرض الروم وسبب مصيرهم إلى هذه الديار، وكان صاحب رومية منقادًا إلى صاحب القسطنطينية، مطيعًا له، ممثلاً لأمره لا يلبس تاجًا، ولا يسمى بالملك على ذلك جرت رسومهم قديمًا قبل ظهور الإسلام إلى نحو سنة ٣٤٠ للهجرة؛ فإن صاحب رومية قوي أمره، وبكرت جموعه؛ فلبس التاج والثياب الفرفير والخفاف الحمر وغير ذلك مما يختص به ملك الروم، وتسمى ملكًا فلما بلغ قسطنطين ابن أليون الملك على الروم في هذا الوقت ذلك أنفذ إليه الجيوش؛ فعادت إليه منكوبة مهزومة فكاتبه حيثنذ ورضي منه بالمسألة، وقد

كان جرى بينهما مصاهرة قبل هذه المنابذة زوّج ملك رومية ابنته بأرمانوس بن قسطنطين وحملها إليه وجعلها بأفخر ما تجهز به بنات الملوك وأعظمه قدرًا؛ فهلكت عنده، وسائر أجناس الإفرنجية من الجلالقة والجاسقس والوشكنس وأرمانجس، وأكثر الصقالبة والبرغر وغيرهم من الأمم فدائنون بالنصرانية منقادون إلى صاحب رومية، ورومية دار مملكة الإفرنجية العظمى قديمًا وحديثًا، وقد ذكر ذلك أرسطاطاليس في رسالته إلى الإسكندر التي يحرضه فيها على المسير لحرب دارا بن دارا ملك فارس فقال: إنك أيها الملك قد رأيت أمارات الظفر عند مسيرك أولًا إلى الإفرنجية، فإن مشايخهم الذين كانوا على تخوم بلادهم لما دنوت منهم أسلموا أطراف بلادهم والتجسوا إلى مدينتهم العظمى رومية.

قال المسعودي: وكانت مساكن الروم واليونانيين متجاورة كمجاورة سكان العراق وهم النبط للفرس سكان فارس والأهواز وأرض الجبال من الماهات وغيرها على ما ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب في باب الأمم السبع قبل تمجيد الأجيال وتحزب الأمم، إلى أن غلبت الروم على ديار اليونانيين، وصار الجميع روما كغلبة الفرس على مملكة النبط غير أن كل فريق منهم يحفظون أنسابهم، ويرجعون إلى شعوبهم، وقد ذكرنا في أخبار اليونانيين من كتاب "فتون المعارف وما جرى في الدهور السوالم" أن هذه البنود التسعة التي تلي أرض الإسلام في هذا الوقت كانت ديار اليونانيين فيألى وراء الخليج بأيام، وكانت ديار الروم ما وراء ذلك إلى وراء بلاد رومية وأرض الأفرنجية برًا وبحرًا، وذلك نحو من خمسمائة فرسخ إلى أن تتصل ببحر أوقيانس المحيط ببلاد الأندلس، وأتينا على أخبار هذه البنود ومقاديرها، وما يتصل منها بالبحر وما لا يتصل، وما فيها من الحصون العظام والمواني والبحيرات والأنهار والهوات والحما، وما وطئ منها المسلمون في أيام مغازيهم إلى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وحدودها، وبما إذا التنازع في أسماؤها؟ وإلى ماذا

أضيفت؟ وولاتها ومراتبها ومواضعهم وسماتهم ومقادير جيوشهم ومن يحاربهم من الأمم في البر والبحر، وما استرجعوه مما كان المسلمون غلبوا عليه من بلادهم كملطية وشمشاط، وحصن منصور وقلعة إبريق التي كانت مدينة البياقة، وكان بها عدة من بطارتهم منه قرياس مولى آل طاهر بن الحسين وخرسخرس وغيرهما، ومدين سيحان التي يخرج منها العيون التي هي أصل نهر سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامي وغير ذلك من الثغور الجزرية، وإلى بلاد قاليقلا وما يتصل بذلك من المشرق والشمال كأرمينية وغيرها والحصون التي عمرت مما كان المسلمون أخربوه في أول الإسلام مما يلي الثغور الشامية، وما غلبت عليه البرغر وبجناك من الترك وغيرهم، والحصون التي عمرت مما كان المسلمون أخربوه في أول الإسلام مما يلي الثغور الشامية وما غلبت عليه البرغر وبجناك من الترك وغيرهم من الولدندرية من ثغر الروم في هذا الوقت، وخبر السور المسمى بالرومية مقرون تينخس تفسير ذلك: السور الطويل كما ذكرنا آنفاً الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الخمسة التي وراء القسطنطينية المبني في سالف الدهر بين جبلين عظيمين، وهو دون النهر العظيم المسمى بالصقلية دناي، وعرضه نحو من ثلاثة أميال على ما قدّمنا ذكره، وعليه كثير من البرغر والصقالبة وغيرهم من الأمم الواغلين في الشمال وقول من قال: إنه جيحون نهر بلخ على ما ذكرناه فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار أنهار العالم الكبار ومصباتها في البحار، وغير ذلك من أخبار الروم وبلادهم، وإنّا ذكرنا في هذا الكتاب لمعاً؛ استذكّاراً لما تقدّم تصنيفه، وتنبيةً على ما سلف تأليفه.

وذكرنا فيما تقدم من كتبنا سائر الممالك والأمم ومساكنهم وملوكهم وسيرهم وسياساتهم وحروبهم ووجوه عباداتهم ممن سكن المشرق والمغرب والشمال والجنوب كالهند والصين والترك والخزر واللان، ومن سكن جبل القبق من اللكرز، ومن جاور الباب والأبواب، وقرب من هذا الجبل من الأمم

كاللان والسريز والخزرج وجرزان والأبخاز والصنارية وكشك والكاسكية وغيرهم والأبر وبرجان والروس والبرغر والإفرنجة والصقالبة، وأجناس السودان مع اختلاف ديارهم وبنائهم وتباينهم في مساكنهم ولغاتهم، وأخبار مصر والإسكندرية وملوكها ونيلها، وما عليه من ممالك الكوشانيين وهم ولد حام بن نوح، وأخبار الكلدانيين وهم السريانيون المسمون النبط، وأخبار بني إسرائيل وأنبيائهم وملوكهم ورؤسائهم وقوامهم، والأربعة والعشرين كتاباً التي تجتمع اليهود والنصارى عليه وتسميها اليهود الكتب الجامعة والنصارى كتب الصورة، والصورة القديمة اثنا عشر منها صغاراً، واثنا عشر كباراً، وتسمى أيضاً كتب الأنبياء منها التوراة خمسة أسفار، ولم تقرأ النصارى في الكنائس من التوراة إلا السفر الأول وهو الخليفة، وغير ذلك مما تقدم عنها وتأخر.

وأخبار العرب البائدة كعاد وعييل ابني عوص بن أرم بن سام بن نوح، وثمود وجديس ابني عابر بن أرم بن سام، وعميلق وطسم ابني لاود بن أرم ابن سام بن نوح، وويار بن أميم بن لاود بن أرم بن سام بن نوح، وجبرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام، وعبد بن ضخم بن عبس بن هرم بن عابر بن أرم بن سام وغيرهم، وتفرقهم عن أرض العراق بعد تلبيل الألسن، وما كان من قضية المجدل، وما ارتجز به كل فريق منهم، وأخبار العرب الباقية من معد وقحطان وأنسابهم وأخبار ملوكهم، وأخبار ملوك حمير من التبابعة وغيرهم، والتنازع في كمية أعدادهم، ومن قال: إنهم سبعون تبعاً، واستشهد بقول عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، أو النعمان بن بشير الأنصارين:

لنا من بني قحطان سبعون تبعاً أقرت لها بالخروج منها الأعاجم

وقول من قال أقل من ذلك، وأكثر والسبب الذي به سمو التبابعة، ومن

قال: إن هذه السمة لم يكن يستحقها منهم إلا من ملك اليمن وحضرموت، واجتمعت له طاعتهم، ومن رأى أنه إنما قيل للملك منهم تبع تشبيهاً بالملك الذي يتفياً به، وإن التبع في أصل اللغة الظل؛ إذ كان الملوك السعداء ظلاً لرعيته، وكهفها لها وملجأ واستشهادهم بقول ليلي الجهنية، وقيل قول سعدى الجهنية:

يسرد المياه حاضرة ونفيضة ورد القطاة إذا سيمأل التبع

يعني: ارتفع الظل، وقيل: لمعان غير ذلك، ومن سار منهم في البلاد ووطئ الممالك ووصاياهم وعهودهم وحكمهم ومغازيهم من لدن حير وهو: العرنجج، ويسمى أيضاً زيد بن سبأ، وهو عبد شمس إلى زوال نظامهم وانقضاء ملكهم بغلبة الحبشة عليهم، والتنازع في مدة ما ملكوا من السنين من أكثر ومقل.

وأقل ما قيل في مدة ملكهم ما حكاه محمد بن موسى الخوارزمي في زيجه في النجوم وغيره: إن ذلك ألف وتسعمائة سنة وثمان وثلاثون سنة، ومن تلاهم من ذوي المراتب الملوكية كالأقيل والأذواء والثامنة والعباهلة وغيرهم، وقيل: إن الأذواء لم تكن مرتبة، وإنما هي سمات للملوكةم كذي الأذعار وذي المنار وذي يزن وذي رعين وذي نواس وذي كلاع وذي أصبح وغيرهم، ومن ملكته الروم من اليمن بالشام من تنوخ والضجاعم من سليخ بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة، وغسان استكفاء بهم من يليهم من بادية العرب أولهم جفنة بن عمر مزقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وآخرهم جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارثة بن حجر بن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة الذي لحق بالروم بعد فتوح الشام، ومن ملكته الفرس بالحيرة من أرض العراق من بني نصر بن لحم من النعامنة والمناذرة، وهم ولد عمرو

بن عدي بن نصر ابن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن غنم بن نمارة بن لحم، واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن كهلان؛ لتكفوا بهم من يليهم من بوادي العرب أيضًا، وآخرهم النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى أبرويز، وملك الحيرة بعد إياس بن قبيصة الطائي وغيره إلى أن جاء الله بالإسلام، وكان عدّة من ملك الحيرة من بني نصر والعباد وغسان وتميم وكندة والفرس وغيرهم نيقًا وعشرين ملكًا ملكوا خمسمائة سنة واثنين وعشرين سنة وشهورًا، وعمرو بن عدي هو صاحب المثل السائر: كبر عمرو عن الطوق، وهو ابن أخت جذيمة البرش الذي قتله الزباء ابن عمرو بن ضرب، وجذيمة صاحب النديمين الذين يضرب بهما المثل وفيهما قال متمم بن نويرة اليربوعي في مراثيته أخاه مالك بن نويرة:

وكان كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكًا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومن ملك من كندة على معد وغيرها، أولهم معاوية بن ثور بن مرتع، وهو من كندة، وآخرهم حجر بن الحارث بن عمرو أبو امرئ القيس بن حجر وهو الذي قتله بنو أسد بن خزيمة وأخبار ولد نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن الهميسع بن تيمن بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم ربيعة ومضر، وهما الصريحان من ولد إسماعيل بن إبراهيم وإياد وأثمار مع تنازع النسب فيهما من اليمن هم أم من نزار؟ واستشهاد من ألحق إيادًا بنزار بقول أبي دؤاد جارية بن الحجاج الإيادي:

وفتو حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

ويقول الكميت بن زيد الأسدي:

إياد حين تنسب من معد وإن رغمت أنوف الراغمين
وكانوا في الذؤابة من نزار وأهل لوائها مترزنين

وقول نساب اليمانية: إنه إياد بن أحاطة بن سعد من حمير، واستشهاد من
ألحق أنهار بنزار بقول الكميت أيضًا:

وأنيار وإن رغمت أنوف ععديو العمومة والخبوول
لهم لغة تبين من أبيهم سم الغر الشواذخ ذي الخجول

وقول اليمن: إنه أنهار بن أراش بن الغوث، وهو الأزد بن نبت بن مالك
بن زيد بن كهلان، وإنه ولد له سبعة من لذكور: فخمسة منهم يدعون بنجيلة،
وواحد يدعى خثعما، وواحد ينسب والد، إلى الأزد؛ وسبب تفرق هذه القبائل
وغيرها من معدّ عن الحجاز، وما قالته نساب القحطانية فيمن تخلّج وتنقل عن
قبائلهم إلى معد وانتسبوا فيهم، وما قالته نساب المعدية فيمن تخلّج أيضًا،
وتنقل عن قبائلهم إلى قحطان، والسبب الذي لأجله انقادت القحطانية إلى
تمليك الملوك عليها، وأبت المعدية ذلك إلى أن جاء الله بالإسلام، ولم سمت
القحطانية أنفسها ومن تقدّمها من العرب البائدة العرب العارية؟ وسموا معدّا
العرب والمتعربة؟ وغير ذلك من فنون الأخبار وضروب السير والآثار على
الشرح والإيضاح.

قال المسعودي: فإذا ذكرنا اليونانيين وملوكهم وغلبة الروم عليهم
، ودخولهم في جملتهم وملوك الروم على طبقاتهم من الخنفاء والمنتصرة قبل
ظهور الإسلام وبعده إلى وقتنا هذا، وهو سنة ٣٤٥ فلنذكر الآن ما كان من
الأفدية والهدن بين الروم والعرب في أيام ولد العباس؛ إذ لم يكن في أيام بني
أمية فداء معروف مشهور فنذكره، بل كلان يفادي بالنفر بعد النفر في سواحل
الشام ومصر والإسكندرية وبلاد ملطية وغيرها من الثغور الجزرية؛ إذ كانت
أموية والثغور الشامية عباسية.

ذكر الأقدية بين المسلمين والروم

الفداء الأول: فداء أبي سليم كان أول فداء جرى في أيام ولد العباس في خلافة الرشيد باللامس من ساحل البحر الرومي على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس سنة ١٨٩، والملك على الروم نقفور بن إستبراق يقال: إنه فودي بكل أسير كان بأرض الروم من ذكر وأنثى فيما ظهر، وذلك على يد القامس بن الرشيد وباسمه وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنبرين من أعمال حلب وفيه قيل:

يا أيها النفر الغزا ة التنازلون بمرج دابق
إني لغازلـو تركـ ست إلى حبيب لي موافق

حضر هذا الفداء، وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولي له بناء طرسوس في سنة ١٧١ للهجرة، وسالم البرلسي البربري مولى بني العباس في ثلاثين ألفاً من المرتزقة، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار وغيرهم نحو من خمسمائة ألف، وقيل: أكثر من ذلك بأحسن ما يكون من العدد والخيـل والسلاح والقوة، وقد أخذوا السهل والجبل، وضاق بهم الفضاء، وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزي، ومعهم أسارى المسلمين، وكان عدّة من فودي به من المسلمين في اثني عشر يوماً ثلاثة آلاف وسبعمائة، وقيل: أكثر من ذلك وأقل، والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التي وقع الفداء فيها وبعدها، وإنما تذكر في كل فداء يرد فيها بعد هذا الفداء الأيام التي وقع فيها الفداء، لا مدة مقام الناس باللامس؛ إذ كان يطول ويقصر، وفي هذا الفداء يقول مروان بن أبي حفصة في كلمة له طويلة يمدح بها الرشيد:

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها محابس ما فيها هميم يزورها
على حين أعياء المسلمين فكاكها وقالوا سجون المشركين قبورها

الفداء الثاني: فداء ثابت في خلافة الرشيد أيضًا باللامس في سنة ١٩٢، والملك على الروم نقفور بن إستبراق أيضًا، وكان القيم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي أمير الثغور الشامية حضره مئات الألوف من الناس، وكان عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة ونيقًا من ذكر وأثني.

الفداء الثالث: فداء خاقان الوائق باللامس في المحرم سنة ٢٣١، والملك على الروم ميخائيل بن توفيل وكان القيم بن خاقان الخادم التركي، وعدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين من ذكر وأثني، وقيل: أربعة آلاف وسبعة وأربعين على ما في كتب الصوائف، وقيل: أقل من ذلك، وفي هذا الفداء أخرج أهل زبطرة، وفيه خرج مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وكان ذا محل في الثغور ومعرفة بأهل الروم وأرضها، وله مصنفات في أخبار الروم وملوكهم وذوي المراتب منهم وبلادهم وطرقها ومسالكها وأوقات الغزو إليها والغارات عليها ومن جاورهم من الممالك من برجان والأبر والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم، وحضر هذا مع الفداء مع خاقان رجل يكنى أبا رملة من قبل أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة يمتحن الأسارى وقت المفاداة فمن قال منهم بخلق التلاوة، ونفى الرؤية فودي به، وأحسن إليه، ومن أبى ترك بأرض الروم؛ فختار جماعة من الأسارى الرجوع إلى أرض النصرانية على القول بذلك، وأبى مسلم الانقياد إلى ذلك فنالته محن ومهانة إلى أن تخلص.

الفداء الرابع: فداء شنيف في خلافة استوكل باللامس في شوال سنة ٣٤١، والملك على الروم ميخائيل بن توفيل، وكان القيم به شنيف الخادم مولاه، وحضر جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القرشي القاضي وعلي بن يحيى الأرمني صاحب الثغور الشامية، فكان عدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام

ألفين ومائتي رجل، وقيل: ألفي رجل ومائة امرأة، وكان مع الروم من النصاري المأسورين من أرض الإسلام مائة رجل ونيف؛ فعوضوا مكانهم عدةً لعلاج؛ إذ كان الفداء لا يقع على نصراني ولا ينعقد.

الفداء الخامس: فداء نصر بن الأزهر وعلي بن يحيى في خلافة المتوكل أيضًا باللامس مستهل صفر ٢٤٦هـ، والملك على الروم ميخائيل بن توفيل أيضًا، وكان القيم به علي بن يحيى الأرمني أمير الثغور الشامية ونصر بن الأزهر الطائي الشيعي من شيعة ولد العباس المراسل إلى الملك في أمر هذا الفداء من قبل المتوكل، وعدة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفان وثلاثمائة وسبعة وستون من ذكر وأنثى، وقد ذكر بعض من لحقنا أيامه من مصنفي الكتب في الكوائن والأحداث والسير والتواريخ أن فداءً كان في أيام المعتز، والملك على الروم بسيل على يد شفيح الخادم في سنة ٢٥٣.

الفداء السادس: فداء ابن طغان في خلافة المعتضد باللامس في شعبان سنة ٢٨٣هـ، والملك على الروم أليون بن بسيل أبو قسطنطين بن ليون الملك على الروم في وقتنا هذا، وكان القيم به أحمد بن طغان أمير الثغور الشامية وأنطاكية من قبل أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر وأجناد الشام وديار مصر وغيرها، وكانت الهدنة لهذا الفداء وقعت في أيام أبي الجيش في سنة ٢٨٢؛ فقتل أبو الجيش بدمشق في ذي القعدة من هذه السنة، وتم الفداء في أيام ولده جيش بن خمارويه، فكان عدة من فودي به من المسلمين في عشرة أيام ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى وقيل: ثلاثة آلاف رجل.

الفداء السابع: فداء رستم ويُعرف بفداء الغدر في خلافة المكتفي باللامس في ذي القعدة سنة ٢٩٢هـ، والملك على الروم أليون بن بسيل أيضًا القيم به رستم بن بردو الفرغاني أمير الثغور الشامية، وكان عدة من فودي به من

المسلمين في أربعة أيام ألفاً ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى، ثم غدر الروم وانصرفوا ببقية الأسرى.

الفداء الثامن: فداء رستم أيضًا، ويُعرف بفداء التمام في خلافة المكتفي أيضًا باللامس في شوال سنة ٢٩٥ هـ والملك على الروم أليون أيضًا القيم به رستم بن بردو، وكان عدة من فودي به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وأنثى.

الفداء التاسع: فداء مونس في خلافة المقتدر باللامس في شهر ربيع الآخر سنة ٣٠٥ هـ والملك على الروم قسطنطين بن أليون ملكهم في وقتنا هذا، وأرمانوس وقسطنطين يومئذ صغير في حجره وكان القيم به مونس الخادم، وبشر الخادم الأفشيني أمير الثغور الشامية وإنطاكية، والمتوسط له والمعاون عليه أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي التميمي الأذن، ي وعدة من فودي به من المسلمين في ثمانية أيام ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وثلاثون من ذكر وأنثى.

الفداء العاشر: فداء مفلح في خلافة المقتدر أيضًا باللامس في رجب سنة ٣١٣ هـ والملك على الروم قسطنطين وأرمانوس، وكان القيم به مفلح الخادم الأسود المقتدري وبشرى خليفة ثمل الخادم الدلفي على الثغور الشامية، وعدة من فودي به من المسلمين في تسعة عشر يومًا ثلاثة آلاف وتسع مائة وثلاثة وثمانون من ذكر وأنثى.

الفداء الحادي عشر: فداء ابن ورقاء في خلافة الرازي باللامس في سلخ ذي القعدة، وأيام من ذي الحجة سنة ٣٣١ هـ والملك على الروم قسطنطين وأرمانوس، وكان القيم به ابن ورقاء الشيباني من قبل الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وبشرى الثملى أمير الثغور الشامية، وكان عدة من فودي به من

المسلمين في ستة عشر يوماً ستة آلاف وثلاثمائة ونيفاً من ذكر وأُنثى، وفضل في أيدي الروم من المسلمين ثمانمائة رجل ردوا وفودي بهم على نهر البدندون في مرار شتى، وزيد في الهدنة بعد انقضاء الفداء مدة ستة أشهر لأجل من تخلف في أيدي الروم من المسلمين حتى جمع الأسارى لهم.

الفداء الثاني عشر: فداء ابن حمدان في خلافة المطيع باللامس في شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥هـ والملك على الروم قسطنطين، وكان القيم به نصر الثملى أمير الثغور الشامية من قبل أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان صاحب جند حمص، وجند قنسرين وديار مضر وديار بكر والثغور الشامية والجزرية.

وكان عدة من فودي به من المسلمين، ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وأُنثى، وفضل للروم على المسلمين قرصاً مائتان وثلاثون؛ لكثرة من كان في أيديهم فوفاهم أبو الحسن ذلك وحمله إليهم.

وكان الذي شرع في هذا الفداء وابتدأ به الإخشيد محمد بن طغج أمير مصر والشام والثغور الشامية، وكان أبو عمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي الأذني شيخ الثغر، والمنظور إليه منهم قدم إليه إلى دمشق في ذي الحجة سنة ٣٣٤هـ ورحل يومئذ بها ومعه يوانس الأنسيطوس البطريقوس المسدقوس المترهب رسول ملك الروم في إتمام هذا الفداء، وكان ذا رأي وفهم بأخبار ملوك اليونانيين والروم ومن كان في أعصارهم من الفلاسفة.

وقد أشرف على شيء من آرائهم والإخشيد جيتئذ شديد العلة فتوفي يوم الجمعة لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة، وصار أبو المسك كافور الإخشيد بالجيش راجعاً إلى مصر، وحمل معه أبا عمير والمسدقوس إلى بلاد فلسطين فدفع إليهما ثلاثين ألف دينار من مال هذا الفداء، وصارا إلى مدينة صور فركبا في البحر إلى طرسوس فإلى ما وصلا إليها ما كاتب نصر الثملى

أمير الثغور الشامية أبا الحسن بن حمدان، ودعا له على منابر الثغور الشامية فجد في إتمام هذا الفداء فعرف به ونسب إليه.

قال المسعودي: وهذا آخر فداء كان بين المسلمين والروم إلى وقتنا المؤرخ به كتابنا، وقد ذكرت أفدية غير هذه لم نجد لها حقيقة لا اشتهر أمرها ولا استفاض خبرها: منها: فداء كان في أيام المهدي على يد المعروف بالنقاش الأنطاكي، ومنها: فداء كان في أيام الرشيد في شوال سنة ١٨١ هـ على يد عياض بن سنان أمير الثغور الشامية، وفداء كان على يد ثابت بن نصر في أيام الأمين في ذي القعدة سنة ١٩٤ هـ وفداء كان في أيام المأمون في ذي القعدة سنة ٢٠١ هـ على يد ثابت أيضًا، وفداء كان في أيام المتوكل سنة ٢٤٧ هـ على يد محمد بن علي، وفداء كان في أيام المعتمد في شهر رمضان سنة ٢٥٨ هـ على يد شفيع ومحمد بن علي.

والصحيح منها: والمعول عليه هو مارسمناه دون ما عداه، وقد ذكرنا في كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف)، وفي كتاب (الاستدكار، لما جرى في سالف الأعصار) شرح هذه الأفدية، ومن حضرها وكيفية وقوعها، ومن ترسل فيها وتوسطها بين المسلمين والروم وشروطها، ومقادير النفقات فيها، وهدنها وما كان بين المسلمين والروم من المغازي في البر والبحر من الصوائف، والشواقي، والربيعيات وما جرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة، وغير ذلك، فلنذكر الآن جامع تاريخ العالم، والأنبياء، والملوك، وما اتصل بذلك.

ذكر تاريخ الأمم، والأنبياء، والملوك، وجامع تاريخ العالم من آدم إلى نبينا ﷺ وما اتصل بذلك

ليس أمة من الأمم من الشرعيين، وغيرهم ممن سلف وخلف إلا ولها تاريخ ترجع إليه وتعول عليه في أكثر أمورها يتقل ذلك خلف عن سلف، وباق عن ماضٍ إذ كان به تعرف الحوادث العظام والكوائن الجسماء، وما كان في الأزمان الماضية، والدهور الخالية، ولولا ضبط ذلك وتقييده لانقطعت الأخبار ودرست الآثار وجهلت الأنساب ولذلك أخذ الإسكندر أهل مملكته بتقييد أيامه وحفظ تاريخه وسيره؛ لكيلا يضيع ما بان من أمره وحمد من سعيه، ولا يجهل كثرة من ناصب من الأعداء، وقتل من الملوك ووطئ من البلاد، وحوى من المملكة؛ لعلمه بما يلحق كثيرًا من الناس من التواني عن نقل الأخبار وتقييد البير والآثار وإعراضهم عن ذلك إشارًا للدعة وميلًا إلى التخفيف واحتذى فعله أردشير بن بابك لما قتل ملوك الطوائف، واستوسقت له الأمور، وانتقاد الناس إلى طاعته قام بضبط سيرته، وعهوده وأيامه، وحروبه إلا أنه أطرح ما كان قبل ذلك وتناساه؛ لكي يكون الذكر لأيامه وسيرته فضبط ذلك ضبطًا شديدًا إلى يزدجرد بن شهريار آخر ملوكهم فكانت الأمم السالفة، والأجيال الخالية، والقرون الماضية تؤرخ الكوائن العظام، والأحداث الكبار عندها، وتملك الملوك فمن أقر بالطوفان من الأمم كانوا يؤرخون به، ثم أرخوا العام بتبليل الألسن بإقليم بابل.

فأما المجوس فلا تكارهم كون الطوفان المستوى على جميع الأرض أرخوا بيكومت كلشاه معنى ذلك ملك الطين، وهو عندهم آدم أبو البشر وأصل النسل وإليه ترجع الفرس في أنسابها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في آخر ملوك الفرس وطبقاتهم مجملًا وفي غيره من كتبنا مفسرًا مشروحًا، ثم أرخوا بقتل داريوس الملك وظهور الإسكندر الملك، ثم أرخوا بظهور أردشير

بن بابك وجمعه الملك واستيلائه على ملوك الطوائف، ثم أُرخوا بملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز ابن هرمز بن خسرو أنوشروان بن قباد الملك، وهو آخر ملوكهم إلى هذا الوقت وأول سته يوم الثلاثاء.

وكان سوا الف اليونانيين، والروم، والنبط وهم السريانيون يؤرخون بملوك لهم متقدمين وكوائن وأحداث، ثم أُرخوا بسني الإسكندر بن فيليب فاستقر رأيهم على ذلك إلى هذا الوقت، وعند تنوزع في مبدأ تاريخ الإسكندر، فمنهم من رأى أن ذلك من ابتداء ملكه، ومنهم من رأى ذلك من أول السنة السابعة من ملكه حين خرج عن بلاد مقدونية إلى ناحية المغرب وغيرها من بلاد الإفرنجية، ومنهم من رأى ذلك من غلبته على إقليم بابل، وقتله دارا ابن دارا، ومنهم من رأى أن ذلك من وفاته.

ومن آدم إلى ملك الإسكندر خمسة آلاف سنة ومائة وإحدى وثمانون سنة، وقيل خمسة آلاف سنة ومائتان وتسع وخمسون سنة، وبين الطوفان إلى ملكه ألفان وتسعمائة وخمس وعشرون سنة، ومن فالغ بن عابر إلى ملكه ألفان وثلاثمائة وأربع وتسعون سنة، ومن إبراهيم إلى ملكه ألف وثمان مائة وثلاث وخمسون سنة، ومن خروج بني إسرائيل من مصر إلى ملكه ألف وثلاثمائة وست وأربعون سنة، ومن ملك داود إلى ملكه سبعمائة سنة وأربعون سنة، ومن سبى بخت نصر لبني إسرائيل إلى ملكه مائتان وثلاث وستون سنة، وقد ذهب قوم إلى أن من ابتداء ملك بخت نصر إلى غلبة الإسكندر لدارا أربعمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وستة وخمسون يوماً، ومنهم من رأى أن ذلك مائتا سنة وتسع وثمانون سنة ومن الإسكندر إلى صلب أيشوع عند النصاري ثلاثمائة واثنان وأربعون سنة، ومن الإسكندر إلى هذا الوقت الذي ألف أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي فيه الكتاب، وهو سنة ٣٤٥ للهجرة ألف سنة ومائتا سنة وثمان وستون سنة.

وكانت القبط بأرض مصر تؤرخ بأول السنة التي ملك فيها بخت نصر، وأولها يوم الأربعاء، وقد ذكر ذلك أبطليموس في كتاب المجسطي، فأما تاريخهم في زيجه فمن أول سني فيلبس أبي الإسكندر، وأول سنته يوم الأحد، وبين تاريخ فيلبس وتاريخ الإسكندر اثنتا عشر سنة وعشرة أشهر وعشرون يومًا، ثم أرخوا بملك دقلطيانوس، الملك القبطي؛ لعظم ملكه واستقر تاريخهم على ذلك إلى هذه الغاية.

وبين تاريخ بختنصر وتاريخ يزدجرد ألف وثلاثمائة وتسع وسبعون سنة فارسية وثلاثة أشهر، وبين تاريخ فيلبس وتاريخ يزدجرد تسعمائة وخمس وخمسون سنة وثلاثة أشهر، وبين تاريخ الإسكندر وتاريخ يزدجرد تسعمائة واثنان وأربعون سنة من سني الروم ومائتان وخمسون يومًا، وبين تاريخ الهجرة وتاريخ يزدجرد من الأيام ثلاثة آلاف يوم وستمائة وأربعة وعشرون يومًا، فأول هذه التواريخ تاريخ بخت نصر، ثم تاريخ فيلبس، ثم تاريخ الهجرة، ثم تاريخ يزدجرد، كذلك ذكر محمد بن كثير الفرغاني في كتاب الثلاثين فصلاً الذي فيه ناكر جوامع المجسطي لأبطليموس وغيره من أصحاب الزيجة في النجوم والقواني، ن كالفرزاري ويحيى بن أبي منصور والخوارزمي وحبش وما شاء الله، ومحمد بن خالد المرورودي، وأبي معشر جعفر بن محمد البلخي، وابن الفرخان الطبري، والحسن بن الخصيب، ومحمد بن جابر البتاني، والنيريزي وغيرهم ممن تقدم وتأخر.

وكان الإسرائيليون يؤرخون بوفاة إسرائيل: وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ثم بخروجهم من أرض مصر مع موسى، وكان دخول إسرائيل مصر وولده الأسباط وأولادهم وهم سبعون نفسًا حين قصدوا يوسف فكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا عنها مع موسى إلى التيه مائتي سنة وسبع عشر سنة يتداولهم ملوك مصر وأحصاهم موسى وهارون في التيه فكان من يصلح

لحمل السلاح والقتال منهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا سوى سبط لاوي ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسة وخمسين نفسًا، وأحصى سبط لاوي بن يعقوب وهو ابن سبطها من ابن شهر إلى فوق فكانوا اثنين وعشرين ألفًا ومائتين وثلاثة وسبعين، فجميع بني إسرائيل على ما أحصينا ستمائة وخمسة وعشرون ألفًا وثمان مائة وثلاثة وعشرون ألفًا.

وكانت وفاة موسى وهارون وأختهم مريم بالتيه في سنة واحدة لتمام أربعين سنة لهم في التيه، وهم لأم واحدة اسمها أماحيه ماتت أولاً مريم أختها في ستة أيام من نيسان ولها مائة وسبع وعشرون سنة.

ومات هارون في أول يوم من آب، ودفن في جبل هور وهو أحد الأطوار الأربعة المقدم ذكرها وله مائة وثلاث وعشرون سنة، ومات موسى في سبعة أيام من آذار في أرض موآب، ودفن في الوادي من أرض مآب وله مائة وعشرون سنة وتولى الأمر بعد موسى يوشع بن نون وحارب ملوك الشام وغيرها.

واستولى على أكثر البلاد فأقام ست سنين، ومات وله مائة وعشرون سنة ودبر الأمر بعده فينخاس بن الغازر بن هارون وما كان كاهنًا، والإسرائيليون يذكرون أنه النبي الذي تسميه المسلمون الخضر، والفرس تزعم أن الخضر هو أحد السبعة بني منوشهر، على ما قدمنا في سلف من هذا الكتاب.

ولأهل الشرائع وغيرهم من أصحاب التأويل في وقتنا هذا فيه كلام طويل يطول ذكره فكان من إبراهيم إلى خروج بني إسرائيل من مصر خمسمائة وسبع وستون سنة، ومن الطوفان إلى خروجهم ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمس وثلاثون سنة، ثم أرخوا بإخرا بختنصر أورشليم، وهي بيت المقدس وسيبهم إلى بابل، وكان من ابتداء ملك بخت نصر إلى ظهور الإسرائيليين

وسبيهم إحدى وثلاثون سنة وأربعة وثلاثون يوماً.

ومن ملك داود إلى سبي بابل أربعمائة سنة وسبع وسبعون سنة، ومن خروج بني إسرائيل من مصر إلى سبيهم ألف وثلاث وثمانون سنة، ومن إبراهيم إلى سبيهم ألف وخمسمائة وتسعون سنة، ومن فالغ بن عابر إلى سبيهم ألفان ومائة وإحدى وثلاثون سنة، ومن الطوفان إلى سبيهم ألفان وستمائة واثنان وستون، ومن آدم إلى سبيهم أربعة آلاف وتسعمائة وثمانٍ عشرة سنة، وكان مقامهم ببابل سبعين سنة إلى أن ردهم بهم بن اسبندياذ بن كيششاسب بن كيلهراسب إلى أورشليم، وأمر بعمارتها.

والإسرائيليون وكثير من الناس يسمونه كورش، وغير ذلك من الكوائن التي كانت فيهم، وكذلك أرخت النصارى من مولد المسيح وغير ذلك من أحواله، وأما الهند والصين ومن وافقهم من الأمم ممن قال بقدم العالم وأزليته فيأبون كون الطوفان عمّ جميع الأرض وما ذكر من تبلبل الألسن.

وتواريخهم موضوعة على سوائف ملوكهم وأحداث عظيمة كانت في أيامهم يبعد علينا في هذا الكتاب وصفها، وقد قدّمنا فيما سلف من كتبنا شرحها.

وبأعالي الهند ومبارقها البيت المعروف ببيت الذهب بدء تاريخهم بعد ظهور البدّ الأول فيهم وهو اثنا عشر ألف عام مضروبة في ثلاثة وثلاثين ألف عام وهو البيت الذي دخله الإسكندرية بن فيلبس الملك حين قتل فور ملكهم وكتب بخبره إلى أرسطاطاليس وما شاهد منه من العجائب فأجابه أرسطاطاليس بالرسالة المعروفة برسائل بيت الذهب التي أولها إلى الإسكندر ملك ملوك الأمم من عبده أرسطاطاليس.

أما بعد... كتبت إلى تذكر الذي أعجبك من ببيان بيت الذهب بالهند،

وما ذكرت أنك رأيت فيه من العجائب والبنيان الشامخ المزخرف بأنواع الجواهر، وما يؤثق العين من الذهب الأحمر، حتى قد بهر العيون منظره، وسار في الأمم ذكره، وقد كتبت إليك أيها الملك أصولك لمعرفةك بالأمور السابقة العليا، والأرضية السفلى أن يعجبك شيء صنعته الأيدي المنيعة بالحكمة في الأيام القصيرة، ومدة الزمان اليسيرة ولكن أَرْضَى لَكَ أيها الملك أن ترفع نظرك إلى ما فوقك، وتحتك، وعن يمينك، وعن شمالك من السماء، والصخور، والجبال، والبحور، وما في ذلك العجائب الغامضة والمصانع الظاهرة، والبنيان الشامخ الذي لا ينحتّه الحديد، ولا يثلمه المجانيق، ولا يعملّه الأجساد المخلخلة الضعيفة في المدّة المنقطعة، ثم مر في إتمام الرسالة في وصف الأرضين والبحار والأفلاك، والنجوم، والآثار العلوية، وغير ذلك مما يحدث في الجو، مما قد ذكرناه مع رسائل أرسطاطاليس إلى الإسكندر في السياسات الديانية والملوكية وغير ذلك في كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالمف)، وهذه الرسالة مستفيضة في أيدي الناس.

وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة، فأما حمير وكهلان ابنا سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن، فإنهم كانوا يؤخرون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم، كملك تبّع الأكبر، وتبّع الأصغر، وتبّع ذي الأذعار، وتبّع ذي المنذر.

وأرخوا بنار صوران، وهي نار كانت تظهر ببعض الحرارة من أقاصي بلاد اليمن أحدها حر والتي يقال: إن الخبرين اللذين قدم بهما تبّع أبو كرب من المدينة إلى اليمن حاكما أهل اليمن إليها وكان ذلك سبب تهود كثير من أهل اليمن، وذلك مشهور في أخبارهم، وأرخوا ببعث شعيب بن مهزم ومليك ذي نواس: جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم الدوسي، ومليك آل أبي شمر من غسان بالشأم، وأرخوا بعام السيل، وهو سيل العرم الذي ذكره الله - عز

وجل - في القرآن وخروج عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد من مأرب، جماع غسان في قومه من الأزد وغيرهم من كهلان وحير، وتفرقهم في البلاد، ثم أرخوا بظهور الحبشة على اليمن، ثم غلبة الفرس على اليمن وإزالة الحبشة إلى أن جاء الله بالإسلام.

فأما تاريخ ولد معد بن عدنان فإنهم كانوا يؤرخون بغلبة جرهم العماليق وإخراجهم إياهم عن الحرم، ثم أرخوا بهلاك جرهم في الحرم، ثم أرخوا بعد ذلك بعام التفرق: وهو العام الذي افترق فيه ولد نزار بن معد بن عدنان من ربيعة ومضر وإياد وأنمار على ما في ذلك من التنازع في نسبة إياد وأنمار إلى نزار على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب.

ثم أرخوا بعد ذلك بعام الفساد: وهو عام وقع فيه بين أحياء العرب وقبائلها التنازع والحروب فاستبدلوا الديار، وتنقلوا في المساكن، وأرخوا بحجة الغدر وكانت قبل الإسلام بنحو من مائة وخمسين سنة وكان سببها أن أوساً وحصبة ابني أزنم بن عبيد ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن أد بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار خرجا في عدة من قومهما حجاً جأ، فلقوا بأنصاب الحرم أناساً من اليمن معهم كسوة للكعبة ومال للسدنة حمل ذلك بعض ملوكهم فقتلوه وأخذوا ما كان معهم ودخلوا مكة فلما كان في أيام منى فشا الخبر بالناس، فوثب بهم وتحزب معهم قوم فانتهبت الناس بعضهم بعضاً فسميت حجة الغدر.

وأرخوا بالحرب بين ابني وائل بكر وتغلب المعروفة بحرب البسوس، وكان الذي هاجها قتل جسّاس بن مرة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل كلياً، وهو وائل بن ربيعة بن الحارث؛ لقتل كليب ناقة يقال لها: سراب لجار لخالة جسّاس، وهي البسوس ابنة المنقذ

التميميّة، ثم السعديّة من قضاة من بني حرم.

وأرخوا بحرب بني بغيض بن ريث بن غطفان المعروفة بحرب ذاحس والغبراء، وذلك قبل البعث بنحو من ستين سنة، وبحرب الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة: وهو العنقاء؛ وإنما سمّي العنقاء لطول عنقه، ابن عمرو: هو مزريقاء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس، البطريق بن ثعلبة البهلوان بن مازن بن الأزد، وهو درّا بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهما أخوان لأب ولأمّ تُسبّا إلى أمّهما قيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو، ونساب قضاة يذكرون أنها قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف ابن قضاة.

وأرخوا بعام الخُنان: وهو عام شمل أكثر الناس فيه الخُنان قال النابغة الجعدي:

فمن يك سائلاً عني فإني من الفتيان في عام الخُنان

وذهب أبو جعفر محمد بن حبيب في آخرين إلى أنه سمّي عام الخُنان؛ أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم وقعة مع بعض العرب فلم يصل بعضهم إلى بعض من كثرة الحديد، فقال قائل: يا بني عامر خنّوهم بالسيوف فلُقّب ذلك عام الخُنان.

قال المسعودي: وكانت كل قبيلة من قبائل العرب تؤرّخ يوم من أيامها المشهورة في حروبها.

فكانت بكر وتغلب ابنا وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، تؤرّخ بعام التحالق من أيام حروبهم المنسوبات إلى حرب البسوس، وفزارة وعبس ابنا بغيض بن ريث بن غطفان

بن سعد بن قيس بن عيلان بن مصر بن نزار يؤرخون بيوم الجيلة: وهو اليوم الذي ظهرت فيه عيس على فزارقة، وقتل حذيفة، وكحل ابنا بدر وغيرهما، وبشو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن يؤرخون بيوم شعب جيلة.

وكان قبل الإسلام بتيف وأربعين سنة بين بني عامر وأحلافها من عيس، وبين من سار إليهم من تميم وعليهم حاجب ولقيط ابنا زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس، وهو خندف بن مضر بن نزار ومن عاضدهما من اليمن مع ابني الجون الكنديين الملكيين، وفي ذلك يقول جرير:

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا وعمرو بن عمرو إذ دعا يال دارم
ولم تشهد بالجونين والشعب ذا الصفا وشذات قيس يوم دير الجماجم

وأباد تؤرخ بخروجها عن تهمة، وحروبها مع فازس الحرب المعروفة بوقعة دير الجماجم، وبذلك الوقعة سُمي الدير؛ لكثرة الجماجم على السواد، وذلك في ملك سابور بن سابور ذي الأكتاف ملك فارس، وفي ذلك يقول الشاعر، شاعر إياد.

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب إياد حولها النخيل والنعم.

وقد ذكر ذلك أبو داود الإيادي فقال:

ألا أبلغ خزاعة أهل مر وإخوتهم كنانة عن إياد
تركنا دارهم لما ثرونا وكنا أهلها من عهد عاد
وأسهلنا وسهل الأرض يُحشى بجرد الخيل مشقة القياد
فنازعنا بني الأحرار حتى علقنا الخيل من خضر السواد

ثم أَرخوا بخروجهم عن العراق إلى الجزيرة حين أوقع بهم سابور، وكان

لقيط الأيادي كتب إليهم، وهو في حبس الملك ينذرهم ويحذرهم بقصيدته المشهورة التي أولها.

يا دُرْ عَمْرَةَ مِنْ تَذْكَارِهَا الْجَزْعَا هِيجَتْ لِي الْهَمُّ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجْعَا
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالَكُمْ أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ النَّدْبَا سَرْعَا
أَحْرَارَ فَارِسَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ مِنْ الْجَمُوعِ جَمُوعٌ تَلْقُطُ السَّلْعَا

ولذلك قال مرة بن محكان السعدي حين وجه معاوية عامر بن الحضرمي إلى البصرة فنزل في تميم يدعوهم إلى أخذ البصرة والثوب بزياد خليفة عبد الله بن عباس على البصرة، وقد سار ابن عباس إلى علي عليه السلام بالكوفة فقال مرّة خَوْفًا لقومه زاجرًا لهم.

قُلْتُ وَاللَّيْلُ مَطْبِقُ بَغْرَاه أَرْقُبُ النِّجْمَ لَا أَحْسَ رَقَادَا
إِنَّهُ حَيًّا يَرَى الصَّلَاحَ فَسَادَا وَيَسْرَى الْغَيَّ فِي الْأُمُورِ رِشَادَا
لِقَرِيبٍ مِنَ الْهَلَاكِ كَمَا أَهْـ لَكَ سَابُورٌ بِالْعِرَاقِ إِسَادَا

في كلمة طويلة.

ثم أَرَّخُوا بَعَامَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ دِيَارِهِمْ إِلَى بِلَدِ الرُّومِ، وَآخِرُ مَنْ دَخَلَ مِنْهُمْ إِلَى هُنَاكَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا كَانُوا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَأَنْفَقُوا مِنَ الْجَزْيَةِ حِينَ أَخَذُوا بِهَا.

وَتَمِيمٌ تَوَرَّخَ بَعَامَ الْكَلَابِ، وَهِيَ الْحَرْبُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَتَمِيمٍ، وَأَسَدٌ وَخَزِيمَةُ تَوَرَّخَ بَعَامَ مَاقُطَ الَّذِي قَتَلُوا فِيهِ الْمَلِكَ حَجْرَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو أَكَلَ الْمَرَارَ الْكَنْدِيِّ أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ امْرُؤُ الْقَيْسِ حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُهُ:

أَرْقُتْ لِسَبْرَقٍ بَلِيلَ أَهْلٍ يَلُوحُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الْجَبِيلِ

بنوا أسد قتلوا ربهـم ألا كل شيء سواه جـلل

والأوس والخزرج ابنا حارثة تؤرخ بعام الآطام لما تحاربوا على الآطام، وهي الحصون، والقصور، وذهب الأصمعي في آخرين من أهل اللغة إلى أنها الدور المسطحة السقوف، وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها فأخربت في أيام عثمان بن عفان، ورسومها باقية إلى وقتنا هذا.

قال قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر الأوسي يذكر الآطام في قصيدته التي يذكر فيها يوم بعث، وهو أحد الأيام المشهورة بين الأوس والخزرج أولها.

أتعرف رسماً كأطراد المذاهب لعمرة وحشاً غير موقف راكب

وقال:

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه وترك الفضا شوركنم في الكواعب

وطيئ وحليمة، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان تؤرخ بعام الفساد، وهي الحرب التي كانت بين الغوث بن طيئ، وجديلة بن سعد بن فطرة بن طيئ بجبلي طيئ أجا وسلمى، وما يلي ذلك من السهل دامت هذه الحرب بينهم ثلاثين ومائة سنة، وفيها ولد فيما ذكر الهيثم بن عدي الطائي حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ، وأوس بن حارث بن لام بن ظريف من بني مازن بن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طيئ، وزيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدي بن مالك بن نابل بن نهبان بن عمرو بن الغوث بن طيئ.

وقد ذكرنا حاتماً، وكان اعتزل حريهم حين تناولت، ولحق بيني بدر بن عمرو بن جوية بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة فنزل عليهم، وقال يمدحهم:

إن كنت كارهة لعيشتنا هاتني فحلي في بني بدر
جاورهم زمن الفساد فنعم الحبي في السراء والضرب

وفي تلك الحروب تفرق السلميون من طيئ فلاحقوا بحاضرة قنشرين من أعمال حلب إلى هذا الوقت، وخالطوا الأسباط وغيرهم، وتزوجوا فيهم، ومن لزم جبلي طيئ أجاً وسلمى يقال لهم: الأجنيون.

ولم يزل من وصفنا من قبائل العرب يؤرخون بالأمر المشهورة من موت رؤسائهم، ووقائع، وحروب كانت بينهم إلى أن جاء الله بالإسلام فأجمع المسلمون على التاريخ من الهجرة على ما نحن ذاكروه فيما يرد من هذا الكتاب في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد ذهب قوم من أصحاب السير والآثار إلى أن آدم لما هبط من الجنة، وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ، حتى بعث الله نوحاً، فأرخوا من مبعثه حتى كان الطوفان، فكان التاريخ منه إلى نار إبراهيم، فلما كثر ولد إبراهيم افترقوا، فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى يوسف، ومن يوسف إلى مبعث موسى، ومن مبعث موسى إلى ملك داود وسليمان، وما كان بعد ذلك من الكوائن والأحداث.

وأرخ بنو إسماعيل من بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل، فلم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقت معد، وكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بمخرجهم، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون بخروج آخر من خرج منها: من قضاة، وهم سعد، ونهد، وجهينة، بنو زيد بن ليث بن سود بن

أسلم بن الحُجاف بن قضاة حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته إلى الفيل.

ومنهم من كان يؤرخ بيوم الفَجَّار بين قريش وسائر كنانة بن لؤي، وبين قيس بن عيلان لما قتل البراض بن قيس بن رافع الضمري: ضمرة بكر بن عبد مناة بن كنانة عروة الرِّحَال بن جعفر بن كلاب، واحتوى على اللطيمة التي كانت معه للنعمان بن المنذر فاقتلت قيس وكنانة قتالا شديداً، فكان الظفر لكنانة على قيس، وحضر هذا الفجار رسول الله ﷺ وله عشرون سنة، وإنهما سُمِّي الفجار؛ لأنهم تفاجروا فيها واقتتلوا في الأشهر الحرم، وهو من أيام العرب المذكورة، وفي ذلك يقول خدّاش بن زهير العامري.

فلا توعدي بالفجار فإنه أحل يبطحاء الحجون المحارما

وقال في ذلك أبو أسماء الضريبة النصري نصر بن سعد بن بكر بن هوازن:

نحن كنا الملوك من أهل نجد وحمة الذمار عند الدمار
ومنعنا الحجاز من كل حي فمنعنا الفجار يوم الفجار

والفجار أربعة:

الأول: يعرف بفجار الرجل، وهو بدر بن معشر الضمري.

والثاني: الفجار المعروف بالرياح، وهو القرن.

الثالث: فجار المرأة القيسي.

والرابع: فجار البراض، وهو أعظمها.

ومنهم من كان يؤرخ بحلف الفضول، وكان بعد منفرقهم من الفجار، لأجل رجل من بني زبيد، وجماع زبيد منه بن صعب بن سعد العشيرة بن

مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان باع سلعة له من العاص بن وائل السهمي فدافعه بالثمن، وعازاه فلما آيس علا على أبي قبيس فنادى:

يا للرجال لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الحي والنشر
إن الحرام لمن تمت حرامته ولا حرام لشويّ لابس الغدر

فاجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب ابني عبد مناف، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي ليكوننّ مع المظلوم حتى ينصف؛ فسمته قريش حلف الفضول، وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطلب بن هاشم:

حلفت لتعقدن حلفاً علينا وإن كنا جميعاً أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا أباة الضيم نهجر كل عار

قال النبي ﷺ بعد مهاجرته إلى المدينة: «لقد شهدت حلفاً في دار عبد الله بن جدعان لو دعيت إلى مثله لأجبت، وما زاده إلا تشديداً».

فأما حلف المطّيين: فهو قبل حلف الفضول، وكان سببه فيما ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب "مناقب قريش وفضائلها" أن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي كان جعل إلى ابنه عبد الدار الحجابة، ودار الندوة، واللواء، وجعل إلى ابنه عبد مناف السقاية والرفادة.

فلما كثرت بنو عبد مناف في الجاهلية قلوا: نحن أحق باللواء، والحجابة، والندوة، من بني عبد الدار؛ ففرقت عند ذلك قريش، وعبد الله بن جدعان التيمي حي، وقال بعضهم: والله لا يرد أمر قصي فنصرت بنو مخزوم، وجمح، وسهم، وعدي بن عبد الدار، وتحالفوا عند الكعبة فسموا الأحلاف، فلما

رأت ذلك بنو عبد مناف حالفوا بني أسد بن عبد العزى، وبني زهرة بن كلاب، وبني تيم بن مرة، وبني الحارث بن فهر، فتحالفوا في دار عبد الله بن جدعان، وجاءهم عبد الله بأنية فيها طيب فغمسوا أيديهم فيها، ويقال: أخرج إليهم الطيب إحدى بنات عبد المطلب، ويقال: إنهم وضعوا الطيب في المسجد، وغمسوا أيديهم فيه، ثم مسحوا الكعبة، وتحالفوا أن لا يسلم بعضهم بعضاً؛ فسموا المطيبين، فحصلت خمس قبائل بإزاء خمس، فسموا أولئك الأحلاف، وهؤلاء المطيبين. قال عمر بن أبي ريعة المخزومي، ويقال: عبيد الله بن قيس الرقيات يذكر المطيبين والأحلاف:

ولهذا في المطيبين جـدود ثم نالت ذوائب الأحلاف
إنها بين عامر بن لؤي حين تدعى وبين عبد مناف

وُبعث رسول الله ﷺ، وقريش تؤرخ بموت هشام بن المغيرة المخزومي، والفيل.

وقد ذكر للإبراهيميين تواريخ كثيرة منها: التأريخ بوفاة إبراهيم، ثم بوفاة إسحاق، وفي الإسماعيليين من كان يؤرخ بوفاة إسماعيل، وغير ذلك مما قدّمنا فيما سلف من كتبنا شرحه.

فكان من آدم إلى الطوفان فيما ذكر أهل الكتب ألفان ومائتان واثنان وأربعون سنة، ومن الطوفان إلى تبليل الألسن بأرض بابل ستمائة وسبعون سنة، ومن تبليل الألسن إلى ولادة إبراهيم أربع مائة وإحدى عشرة سنة، ومن ولادة إبراهيم إلى وفاة موسى عليه السلام خمس مائة وخمس وأربعون سنة، ومن وفاة موسى إلى ابتداء ملك بخت نصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة ومائتان وستة وأربعون يوماً، ومن ابتداء ملكه إلى أن ظهر علي بن إسرائيل فسباهم إلى أرض بابل إحدى وثلاثون سنة وأربعة وثلاثون يوماً، فمن وفاة موسى إلى سبي بخت نصر لبني إسرائيل ألف سنة وتسع سنين واثنان

وثلاثون يومًا، ومن ولادة المسيح إلى هجرة نبينا ﷺ ستمائة سنة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وثلاث وعشرون سنة وأحد عشر شهرًا وعشرة أيام.

وذهب آخرون من أصحاب التواريخ إلى أن من آدم إلى ابتداء ملك بخت نصر أربعة آلاف وثمانمائة سنة وأربعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يومًا بالسنين الفارسية التي هي ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وربيع، ومن ابتداء ملك بخت نصر على غلبة الإسكندر لدارا بن دارا أربع مائة وتسع وعشرون سنة وثلاثمائة وتسعة وعشرون يومًا، ومن غلبة الإسكندر إلى قيام أردشير بن بابك خمسمائة سنة وإحدى عشرة سنة ومائتان وستة وستون يومًا، وهذه هي مدة ملوك الطوائف عند هؤلاء، ومن قيام أردشير إلى ابتداء تاريخ يزدجرد أربع مائة وسبع وثلاثون سنة وثمانية وعشرون يومًا، فمن آدم عليه السلام إلى ابتداء ملك يزدجرد ستة آلاف سنة ومائتان وخمس وعشرون سنة وثلاثمائة وثمانية وثلاثون يومًا الباقي إلى تمام سبعة آلاف سنة للعالم سبع مائة سنة وأربع وسبعون سنة وستة وعشرون يومًا.

وجملة السنين من هبوط آدم عليه السلام من الجنة إلى هجرة النبي ﷺ على ما توجبه التوراة التي نقلها لأبطلميوس الملك إلى اللغة اليونانية اثنان وسبعون حبرًا من أحبار اليهود بالإسكندرية من أرض مصر، وأجمعوا على صحتها على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك اليونانيين ستة آلاف سنة ومائتان وست عشرة سنة.

وبين هذه السنين وما يوجبه حساب التوراة العبرانية تفاوت كثير، وكذلك نسخة التوراة التي بأيدي السامرة، وهم الكوشان، والدوستان من اليهود بأرض فلسطين والأردن، بينها وبين هاتين أيضًا تفاوت بعيد، وقد ذكر عدة من مستأخري أصحاب السير والتواريخ أن من آدم إلى نوح ألف سنة ومائتي سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وخمس وسبعين سنة،

ومن موسى إلى داود خمس مائة سنة وتسعا وسبعين سنة.

ومن وفاة موسى إلى ملك الإسكندر ألف سنة وأربع مائة سنة وسبع سنين، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاثا وخمسين سنة، ومن عيسى إلى نبينا محمد ﷺ ستائة سنة.

قال المسعودي: وفيما ذكرنا تنازع كثير بين الأسلاف والأخلاف من الأمم، ومن عني بتواريخ الأنبياء والملوك قد أتينا على جميع ما قيل في ذلك في كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، وفي كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالمف)، وفي كتاب (الاستذكار لما جرى في سالف الإعصار)، وغيره.

وإنما نذكر في هذا المختصر لمعا وجوامع استذكارا لما تقدم من كتبنا، فلنذكر الآن سني الأمم الشمسية والقمرية، وشهورها، وكبسها، ونسيتها؛ لاتصال ذلك بما ذكرناه، والحاجة الداعية إلى معرفته.

ذكر جمل من الكلام في سني الأمم، وشهورها، وكبسها، ونسيئها، وما اتصل بذلك

جميع ما تؤرخ به الأمم من السنين شمسية... على ذلك عمل سائرهم من السريانيين والفرس، واليونانيين، والروم، والقبط، والهند، والصين إلا العرب والإسرائيليين، ومقدار سنتهم الشمسية من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، وعلى التحقيق وجزء من ثلاثمائة جزء من يوم، ومراعاتهم في ذلك ابتداء سير الشمس من نقطة الاعتدال الربيعي إلى عودها إليها.

وهم مجمعون على أن شهور سنتهم اثنا عشر شهرا، وإن كانت عدتها مختلفة، ولذلك احتاجوا إلى كبس أيام لتتم مدة السنة، فشهور اليونانيين والروم التي غلب عليها تسمية السريانيين إياها لموافقتهم إياهم عليها.

أولها تشرين الأول: وهو أحد وثلاثون يوما، تشرين الثاني: ثلاثون يوما، كانون الأول: أحد وثلاثون يوما وليلة، خمس وعشرين منه ليلة الميلاد.

كانون الثاني: أحد وثلاثون يوما.

شباط: ثمانية وعشرون يوما وربع، يعد ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرون يوما، وفي السنة الرابعة تجبر الكسور فيعد تسعة وعشرون يوما فتسمى تلك السنة كبيسة؛ بسبب زيادة ذلك اليوم.

آذار: أحد وثلاثون يوما.

نيسان: ثلاثون يوما.

آيار: أحد وثلاثون يوما.

حزيران: ثلاثون يوما.

تموز: أحد وثلاثون يوما.

آب: أحد وثلاثون يوما.

أيلول: ثلاثون يوما، فذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربيع يوم.

فأما شهور الفرس، فأولها: فروردين ماه أول يوم منه النوروز، معنى ذلك بالفارسية: اليوم الجديد؛ لأن الجديد في لغتهم نو، واليوم روز، وهو أعظم الأعياد عندهم، أردبهشت ماد، خردادماه، تيرماه، مردادماه، شهريرماه، مهرماه، يوم السادس عشر منه المهرجان، وبينه وبين النوروز ستة أشهر ونصف تكون أيامًا مائة وخمسة وتسعين يومًا، آبان ماه: يوم السادس والعشرين منه تدخل الأيام العشرة المعروفة بالفروودجان منها: تمام آبان ماه، وخمسة كيسة لا تعد من الشهور، تسمى الأندرجاهان، آذرماه: أول يوم منه ركوب الكوسج بالعراق، وغيرها من أرض فارس، وذلك من رسوم الفرس في أيام ملوكها، ديهاء، بهمن ماه، ساسفندارمذماه، عدد كل شهر منها: ثلاثون يومًا، وهي: هرمز، بهمن، أردبهشت، شهرير، أسفندارمذ، خرداد، مرداد، ديباذر، آذر، آبان، خور، ماه، تير، جوش، ديمهر، مهر، اسروش، رشن، فروردين، بهرام، رام، باد، ديبدين، دين، أرد، أشتاد، اسمان، زامباد، مارسفند، أنيران، وليس يتكرر كتكرار أيام الجمعة للعرب، فتصير جملتها مع الخمسة، الأيام غير المعدودة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما.

وكانوا يؤرخون ربيع اليوم الذي يجب لتمام السنة إلى مائة وعشرين سنة، فيكبسون حيثئذ شهرًا، وإنما امتنعوا من كبس يوم في أربع سنين لأمر ذكروها، منها: اعتقادهم في أيام شهورهم أنها أسماء ملائكة، وكراهيتهم أن يزيدوا فيها ما ليس منها: وغير ذلك من الوجوه مما تقدم شرحها فيما ذكرنا

من كتبنا، ولما زال ملكهم، وفنيت ملتهم، وذهب من كان يكبس ذلك ربع اليوم من ملوكهم انتقلت أيامهم، فدار نوروزهم في مدة مائتين وخمسين سنة على أيام المعتضد نحواً من شهرين.

وتقدم لذلك استفتاح الخراج عن الوقت الذي يحصل فيه غلال الناس فردّه المعتضد في سنة ٢٨٢ للهجرة نحواً من مدة شهرين، وقرره على الشهور السريانية؛ لئلا يعود دورانه إذ كانت محفوظة بالكبس، لا يتغير أوقاتها، فجعله في اليوم الحادي عشر من حزيران، ونُسب إليه قليل: النوروز المعتضدي، وبقي النوروز الفارسي يدور في سائر الفصول الأربعة فيتقدم في كل مائة وعشرين سنة شهراً، وإنّما كان موقعه في أول الفصل الصيفي، والمهرجان في أول الفصل الشتوي.

فأما القبط: فيوافقون الفرس في عدد أيام شهورهم، وهي ثلاثون يوماً، أول شهورهم توت: أول يوم منه النوروز القبطي بأرض مصر، بابه، هتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمها، برمودة، بشنس، بثونه، أبيب، مسرى، وفي آخر مسرى تكبس الخمسة أيام المسماة بالقبطية أبغمننا، وتعرف باللواحق، يفعلون ذلك ثلاث سنين متواليات، فإذا كانت السنة الرابعة جعلوا الكبيسة ستة أيام لتنجبر الأرباع من اليوم الواجبة لكل سنة، فتحصل أيام سنيهم على الحقيقة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم.

فأما العرب: فإنها تراعي رؤية الأهلّة فتجعل حساب سنتها عليها، وشهورهم شهر ثلاثون يوماً، وشهر تسعة وعشرون يوماً، فيكون ستة أشهر من السنة تامة وستة ناقص، وأيام سنتهم ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً بالحساب المطلق وهو الجليل.

فأما على التحصيل والتدقيق؛ فإن عدد هذه الأيام للسنة تزيد في كل

ثلاثين سنة أحد عشر يوما، تكون حصة السنة الواحدة من ذلك خمسًا وسدس يوم، فتكون أيام السنة بالحقيقة ثلاثمائة وأربعة وخمسين يومًا وخمسة وسدس يوم، والسنة التي ينجبر فيها هذا الكسر تكون شهورها سبعة تامة وخمسة ناقصة، وهذا العدد لأيام الشهور هو بالحساب المصحح من اجتماع الشمس والقمر بمسيرهما الأوسط.

فأما برؤية الأهلة فإنه يختلف بزيادة ونقصان، فيمكن أن تكون شهور متوالية تامة، وشهور متوالية ناقصة، ولا يكاد يتفق في كل وقت أن يكون أول الحساب بالشهور، والرؤية يوما واحدا إلا أنها يتساويان على مرور الزمان.

وأيام العرب التي تعد بها من غروب الشمس، وهي الأيام السبعة التي أولها الأحد، ابتداءه من غروب الشمس من يوم السبت، وآخره غروبها في يوم الأحد، وكذلك سائر الأيام، وإنما جعلوا ابتداء كل يوم بليته من وقت غروب الشمس من أجل أنها تعد أيام الشهر من وقت رؤية الهلال، ورؤية الهلال تكون عند غروب الشمس، فأما من سمينوا من الأمم مما لا يراعي في الشهور رؤية الأهلة؛ فإن النهار عندهم قبل الليل، وابتداء كل يوم بليته من وقت طلوع الشمس إلى وقت طلوعها من الغد.

قال المسعودي: وقد كان العرب في الجاهلية تنسى لأجل اختلاف الزمان والمواقيت، وما بين السنة الشمسية والقمرية، وفيه أنزل: "إنما النسيء زيادة في الكفر" وكان المتولون لذلك النساء من بني الحارث بن كنانة بن مالك بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، أولهم أبو ثامة جنادة بن عوف بن أمية، وكان يعرف بالقلمس، وبه سمي من بعده من النساء، فقليل: القلابس، وكانوا ينسئون في كل ثلاث سنين شهرا يسقطونه من السنة، ويسمون الشهر الذي يليه باسمه، ويجعلون يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر: الثامن والتاسع والعاشر من ذلك الشهر، فيكون ذلك دائرا في سائر شهور السنة موجبا،

وكانوا بذلك مقارئين لغيرهم من الأمم في مدة زمان سنتهم الشمسية، فلم يزالوا على ذلك إلى أن ظهر الإسلام، وفتح رسول الله ﷺ مكة فوجه أبا بكر في السنة التاسعة من الهجرة على الموسم، فحجَّ بالناس وهي آخر حجة حجَّها المشركون.

وكان الحجَّ في تلك السنة اليوم العاشر من ذي القعدة، ونزلت آيات من سورة براءة، فبعث بها رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، وأمره بقراءتها على الناس بمنى، وكانت الأشهر التي قال: "فسيحوا في الأرض أربعة أشهر" عشرين يوماً من ذي القعدة، وذا الحجة، والمحرم، وصفر، وعشرة أيام من شهر ربيع الأول، وأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بأداء أربع كلمات: "أن لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا مسلم".

ومن كانت بينه وبين رسول الله ﷺ مدة فأجله إلى مدته، فلما كان من قابل حجَّ رسول الله ﷺ في ذي الحجة، وهي حجة الوداع، وخطب الناس فقال: "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها: أربعة حرم: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر بين جمادى وشعبان".

هذه حكاية لفظه - عليه السلام - ولو عدَّ عادَّ هذه الأشهر فبدأ بالمحرم، ثم رجب، وذي القعدة، وذي الحجة؛ لكان ذلك جائزاً، وإنها ذكرنا هذا؛ لأن في الناس من يجعلها من سنتين، والنبي ﷺ إنما قال: منها: فدلَّ على أنها من سنة واحدة.

فأما الإسرائيليون: فالأشعث منهم، وهم الجمهور الأعظم يراعون رؤية الأهلة، وعدد الأشهر، وحصر أيامها، ويسمون ذلك العبور. ورأيت

الأقباط بأرض مصر يسمونه: الأفقطي، ومراعاتهم ذلك لأجل عيد الفصح، ثم تنازعوا بعد ذلك، فقال فريق من العنانية أصحاب عنان بن نبادود، وكان من رؤساء الجوالي بأرض العراق والقرائية: إنهم لا يوقعون الفصح حتى يتكامل إدراك السنبل، ويسمونه أبيب، ومنهم من يقول بالفصح عند إدراك البعض منه، ولا يراعي الكل.

قال المسعودي: وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تنازع من ذكرنا من الأمم في السنين الشمسية والقمرية، وشهورها، وكيفية كبس الأمم ونسبتها، والعلة في ذلك على الشرح والإيضاح والخلاف بين أبرخس ومتبعيه، وأبطليموس القلوذي في أرصادهما وطلبهما مقدار سنة الشمس.

وما ذهب إليه أبرخس من أن ذلك يعلم بوجهين، أحدهما: مقارنة الشمس للكواكب الثابتة التي عودتها إليها، فإن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وأقل من ربع يوم، وما ذهب إليه أبطليموس من أن الغرض والغاية في علم زمان سنة الشمس حركتها، وابتدائها من نقطة الفلك الخارج المائل حتى يعود إلى تلك النقطة، وأن مدة ذلك من الزمان ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلا جزءاً من ثلاثمائة جزء من يوم ما قلنا، وعليه العمل الأعم في وقتنا هذا، ومقدار المدة بين رصد أبرخس، ورصد أبطليموس بمدينة الإسكندرية من بلاد مصر، وما بين رصد أبطليموس، ورصد المأمون بالشماسية من بلاد دمشق من أرض الشام في سنة ٢١٧ للهجرة، وأول يوم من فروردين ماه سنة ٢٠١ ليزدجرد، وعليه حمل الزيج الممتحن:

وما ذهبت إليه الهند في مدة أيام الدنيا، وتنازعهم في عدتها، وأن الأصل في ذلك عدة أيام السند هند، تفسير ذلك دهر الدهور، وهو الكتاب الجامع لعلم الأفلاك، والنجوم، والحساب وغير ذلك من أمر العالم، وعنه ناضل

أبطليموس، وشابه بأرصاد أبرخس وأرصاده، وكيف عملت الهند كتاب "الأرجهز" من كتاب السند هند جزء من ألف جزء من السند هند، وكتاب "الأركند" من كتاب "الأرجهز"، وأن الله عز وجل بلطيف حكمته، وعظم قدرته خلق الكواكب على قدر أوجاتها، وجوزهراتها في أول دقيقة من الحمل، ثم سيرها جميعًا فتحركت جملة واحدة في طرفة عين على سيرها المعلوم، فكانت حركتها أول يوم من الدنيا، ولا تزال تسبح في دور الفلك، فإذا اجتمعت لأي موضع منه أثرت في العالم تأثيرًا عظيمًا منكرًا بدبور، واحتراق، وغير ذلك. وكثيرا ما لا تجتمع كلها، وإن اجتمعت كلها لم تجتمع معها الأوجات والجوزهرات، فلا تزال على ذلك طول أيام السند هند حتى تنتهي بجميع أوجاتها وجوزهراتها إلى الموضع الذي فيه خلقت بهياتها الأولى.

وذلك انقضاء الدنيا عندهم، فإن جميع أيام السند هند منذ أول ما دارت الكواكب إلى أن تجتمع جميعها من السنين، أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف سنة شمسية، على مدار الشمس، السنة منها: ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وربع يوم وخمس ساعة وجزء من أربعمائة جزء من ساعة، وما في بيت الذهب الذي بأعلى أرض الهند ومشارقتها، وهو الذي دخله الإسكندر الملك من حساب ظهور البدء الأول بأرضهم، وتاريخه أن ذلك اثنا عشر ألف ألف عام مضروبة في ستة وثلاثين ألف عام على ما قدمنا، فيما سلف من هذا الكتاب.

وتنازع حكماء الأمم من الفلكية وغيرهم في أوج الشمس، وهو أعلى موضع في فلكها وجوهرها من تحتها مقابل له، وكذلك كل كوكب من السبعة، وعند كثير منهم في هذا الوقت: وهو سنة ٣٤٥ للهجرة: أنه في ست درج ونصف من الجوزاء أيضًا على ما ذكرنا من الدرج فيها، وعلى مذهب السند هند في سبع عشرة درجة وخمس وخمسين دقيقة وأربع عشرة ثانية من

الجوزاء، كذلك ذكر في زيج محمد بن موسى الخوارزمي، وزيج حبش بن عبد الله السندهند؛ لأن لحبش ثلاثة زيجات، المشهور عند الناس: زيج الممتحن، والثاني: السندهند، ولم يخالف الخوارزمي فيه إلا بدقائق، والثالث: الشاه، فإذا قيل: زيج حبش مطلقاً فإنما يراد به الممتحن، والذي حكاه عن أبطليموس فهو قانون ثاون، وثاون عن المجسطي أخذ.

وذكر أصحاب زيج الشاه أنه في عشرين درجة من الجوزاء، وذكر أصحاب زيج الممتحن أنه كان في السنة التي قبس فيها، وهي سنة ٣١٧ على ما قدمنا في هذا الباب في اثنتين وعشرين درجة وتسع وثلاثين دقيقة من الجوزاء.

وذهب ما شاء الله المنجم إلى أن أوج الشمس: هو عضادة عدل الله بها الفلك، وهذا أحد ما عُنّت به، وما ذهب إليه الهند وغيرها من أن الأوج يتحرك في كل مائة سنة درجة واحدة، فيكون مقامه في كل برج ثلاثة آلاف سنة، وقطعه الفلك في ستة وثلاثين ألف سنة، وكيفية تنقله ودورانه إذا انتقل عن البروج الشمالية إلى الجنوبية انتقلت العمارة فصار الشمال جنوباً، والجنوب شمالاً، والعامر غامراً، والغامر عامراً، وأنه لا خلاف بين حكماء الهند، والكلدانيين، والمصريين، واليونانيين، والروم وغيرهم، وبين منجمي عصرنا، وفلكية وقتنا أنه في برج الجوزاء، وإنما التنازع بينهم في ثباته وتنقله على ما ذكرنا.

ولثابت بن قرّة الصابئ الحرائي رسالة في نصرة رأى أبرخس على أن لأوج الشمس حركة مخالفاً لقول أبطليموس، وقد امتحن هذه الرسالة عدة من أهل الهندسة، فوجدوا الأوج في أربع وعشرين درجة ودقائق كثيرة تكون من أول الحمل أربعاً وستين درجة ودقائق كثيرة، وهذا خلاف لما ذكره أصحاب رصد الممتحن؛ لأنهم أجمعوا إلا محمد بن جابر البتاني الحرائي على أن بعد الأوج من رأس الحمل اثنتان وثمانون درجة وتسع وأربعون دقيقة.

وذكرنا ما ذهب إليه هؤلاء من أن السبب في كسوف القمر؛ أن ضوءه إنما هو شيء يقبله من الشمس فمتى تها أن يكون ظل الأرض فيما بين الشمس والقمر فستره، أو ستر بعضه انكشف، أو انكشف بعضه على قدر ما يستر منه، وأن السبب في كسوف الشمس؛ أن القمر يستر الشمس عنا، ولذلك صار كسوف القمر إنما يعرض في وقت مقابله للشمس، وكسوف الشمس إنما يعرض في وقت الاجتماع، وأن أقل ما يكون بين الكسوفين الشمسية والقمرية جميعاً ستة أشهر قمرية، وذلك على الأمر الأوسط، وأنه قد يمكن أن يكون بين كسوفين شمسيين أو قمريتين خمسة أشهر، وذلك عند اتفاق شهور عظمى، ويمكن أن يكون بين كسوفين ستة أشهر، وذلك عند اتفاق شهور صغرى، وأنه لا يمكن أن تنكشف الشمس في شهر واحد مرتين في موضع واحد، ولا في موضعين مختلفين من الأقاليم الشمالية أبداً، وقد يمكن ذلك في موضعين مختلفين عن خط الاستواء أحدهما: في الأقاليم الشمالية، والآخر: في الناحية الجنوبية.

وما ذهبوا إليه من أنه إذا كان الصيف في ناحية الشمال كان الشتاء في ناحية الجنوب، وإذا كان الصيف في ناحية الجنوب كان الشتاء في ناحية الشمال؛ ولأجل ذلك صار نيل مصر زائداً في الشهور الصيفية لترادف الشتاء والانداء بسائر أرض الأحابش من النوبة، والزغاوة، والزنج إلى جبل القمر الذي وراء خط الاستواء، ومبدأ منبع عيون النيل منه ومصب السيول إليه على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار والأنهار الكبار.

وكذلك الشتاء بأرض الهند سبيله سبيل شتاء أرض الأحابش، واليمن على ما شاهدناه بأرض اللار الكبيرة من أرض الهند وغيرها مما ذكرنا من البلاد، وذلك في سنتي ٣٠٣ و ٣٠٤، ويسمى هناك اليسارة؛ والعلة في ذلك عند من ذكرنا كون الشمس وتَنَقُّلُها في البروج من الشمال إلى الجنوب، ومن

الجنوب إلى الشمال إذا قربت من موضع كان الصيف، وإذا بعدت عنه كان الشتاء، وأنه إذا كان في مكان نهار كان في ضده ليل، وإذا كان في موضع ليل كان في ضده نهار، وأن نصف الأرض أبدا نهار، ونصفها أبدا ليل.

والشمس حيث كانت في جميع نواحي الأرض الأربع؛ فإنها إنما تضيء على نصف الأرض سواء: ربع أمامها، وربع خلفها، وربع عن يمينها، وربع عن شمالها، وذلك تمام نصف الأرض، والنصف الآخر ستره أن تضيء فيه كثافة الأرض وتدويرها، فيكون في ذلك النصف الذي لا تضيء فيه الليل؛ لأن الليل ظل الأرض إذا ستر بعضها عن بعض ضوء الشمس، فحيث ما كانت الشمس؛ فهناك النهار، وحيث لا ترى؛ فهناك الليل، وما ذهبوا إليه من أن أقواما يشتون مرتين، ويصيفون مرتين في سنة واحدة، وهم أهل خط الاستواء الذي يقسم مجرى الشمس بنصفين يأخذ من الشرق حتى يعود إلى الشرق، والمدن التي على هذا الخط: فزان وأزين، وعدن، والشحر، وغير ذلك من البلاد.

وأن الشمس إذا صارت إلى أول برج الحمل؛ كان الحر عندهم مفرطاً جداً، وإذا صارت إلى السرطان؛ زالت عن سمت رءوسهم أربعاً وعشرين درجة التي هي الميل فشتوا، ثم تعود الشمس إليهم إذا صارت إلى أول الميزان فيصيفون ثانية، ويشتد الحر عليهم، فإذا هي زالت إلى ناحية الربع الجنوبي وصارت إلى أول الجدي شتوا ثانية، وأنهم على هذا الترتيب يصيفون مرتين، ويشتون مرتين، غير أن شتاءهم أبدا قريب من صيفهم، وأنه قد يكون في بعض المواضع مقدار شهر من الصيف نهار كله لا ليل فيه، وشهر من الشتاء ليل لا نهار فيه، وتكون العشرة أشهر الباقية من السنة كل يوم وليلة أربعاً وعشرين ساعة، وهي المواضع التي يرتفع فيها القطب عن الأفاق سبعة وستين جزءاً وربعا، فهناك يكون مدار ما بين النصف من الجوزاء إلى النصف

من السرطان ظاهراً فوق الأرض أبداً، وما بين النصف من القوس إلى نصف الجدي غائبا أبداً، وما قالوه في المواضع التي يطول نهارها ويقصر ليلها حتى يكون الساعة، والساعتين، والثلاث، وذلك في أقاصي بلاد الروم، وبلاد البرغر، وبلاد خوارزم مما يلي البحر الخزري، وما قالوه في الساعات المعتدلة، وهي التي تكون كل ساعة منها: بمقدار ما يدور الفلك خمس عشرة درجة.

والساعات الزمانية: وهي المعوجة التي تكون كل واحدة منها: مقدار نصف سدس النهار ونصف سدس الليل، وما ذهبوا إليه من تأثيرات الكواكب السبعة من النيرين والخمسة، وخاصتها في الأديان، والبقاع، والحيوان، والنبات، وغير ذلك. وفيما خالف بين لغات الناس، وألوانهم في المعمور من الأرض، والعلة في مطر الإقليم الأول في القيظ دون سائر البلاد.

وما قالوه في العلة التي صار لها كثير من المواضع لا تمطر كفسطاط مصر وغيرها إلا اليسير؛ وأن السبب في ذلك أن جزء بلاد مصر من جهة شمالها عادم الجبال الشوامخ، وأكثر ما يسيل إليه من جهة بحر الحبشة يحجز بينه وبين مصر جبال البجة كالمقطم وما يليه، فيمنع ذلك البخار، فيسيل إلى جهة الشام، والعراق، وليس في سمت مصر من جهة الجنوب بحر، فما يسيل إلى سمتها من البخار أقل مما يسيل من جهة بحر الحبشة إلى الشام والعراق والنيل، يعين حركة الهواء من الجنوب إلى الشمال بجريته، فينقاد سيلان تلك الأبخرة إلى الشمال في بلاد كلها حارة؛ لقلة العرض، ومجاورة البحار.

أما بحر الحبشة: فمن جهة شرقها، وأما بحر الإسكندرية: وهو بحر الروم فمن جهة شمالها فيحمي جوها، فلا يغلظ البخار السائل إليها، ولا يجتمع حتى يخالط بحر الإسكندرية، ويمتزج به، ويميزان معاً جهة الشمال من بلاد أروفي، وإذا صارا إلى الموضع الذي يعرض لهما فيه الانحصار ببرد الجو، وما يحيط به من الجبال سالت تلك الأبخرة هنالك فصارت أمطاراً في تلك

المواضع الشمالية؛ فلهذه العلة عدم أهل مصر المطر؛ ولأن النيل بزيادته يفيض على بلد مصر، فإذا نقص تراءه إلى قعره فقبلت تلك الأرض حسيا كثيرا؛ لكثرة إقامة الماء عليها، فيكثر ما يرتفع من أرضها في كل يوم من البخار بحر الشمس، فإذا جاء الليل يبرد جوها، بالإضافة إلى قدر ما كان عليه عند شروق الشمس فاستحال البخار ماء، فسال بالليل سيلانا ضعيفا لعدمه التكاثف والانحصار فصار طلاء عائدا إلى الأرض، ولعل غير ذلك ذكروها، ويجوز أن يكون ذلك لعل استأثر الله - عز وجل - بعلمها، ولم يظهر أحدا من خلقه عليها لما هو - عز وجل - أعلم به من عمارة البلاد، وصلاح العباد.

قال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: ولما ذكرنا شرح طويل، والكلام فيه كثير، ومن ضمن الاختصار لم يجوز له الإكثار، وإنما نذكر في هذا الكتاب طرفا من كل باب؛ ليستدل الناظر فيه بما رسمناه على المراد مما تركناه، قانعين بالتعريض، والإشارة من التطويل في العبارة، فإذا ذكرنا جامع التاريخ من آدم إلى نبينا ﷺ، وسني الأمم، وشهورها، ونسبها، وكبائسها، وما اتصل بذلك فلنذكر الآن التاريخ من مولد رسول الله ﷺ على مبعثه، وهجرته، ووفاته، ومن كان بعده من الخلفاء، والملوك إلى هذا الوقت.

ذكر التاريخ من مولد رسول الله ﷺ، ومبعثه، وهجرته، ومغازيه، وسراياه، وسواريه، وكتابه، ووفاته، وتاريخ الخلفاء والملوك بعده، وأيامهم، وكتابهم، ووزرائهم، وحجائبهم، وقضاتهم، ونقوش خواتيمهم، وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم، وحصر تواريخهم على سنة ٢٢٤هـ في خلافة المطيع

قد ذكرنا فيما سلف من كتبنا تواتر النذارات، وما ظهر في العالم من الآيات المؤذنة بمولد نبينا ﷺ، ونبوته، وما أيده الله به عند مبعثه من المعجزات، والدلائل والعلامات مثل: إنباته الكائنات قبل كونها، وإطعامه الخلق الكثير من الزاد القليل، وهطل الغمام، ونطق الذراع، وتحويله الماء المالح عذبا، وإروائه الخلق الكثير من الماء اليسير، وغير ذلك، وما أتى به من القرآن المعجز الذي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثله مع تحديه إياهم، وتقريعهم بالعجز عنه فأغنى ذلك عن إعادة شيء منه في هذا الكتاب لشرطنا فيه على أنفسنا الاختصار والإيجاز، ونحن بادئون بحضر التاريخ من مولده ﷺ.

كان مولد رسول الله ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، وإنما لم تجاوزه بنسبه ﷺ معدّا لنهي عن ذلك بقوله: «كذب النسّابون»، وإذا كان التنازع بين معدّ، وإسماعيل بن إبراهيم يكثر، ويختلف في العدد، والأسماء، والعمل الموزون الذي يقطع عليه، ولا يتنازع فيه اتصال نسبه إلى معدّ بن عدنان.

وقد استقصينا شرح ذلك، وما قيل فيه من الوجوه في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" وأتينا فيما سلف من هذا الكتاب على ما اشتهر واستفاض من اتصال معدّ بإسماعيل بن إبراهيم، وما بين إبراهيم وآدم من الآباء على ما ذكره أهل الكتاب وأهل النسب.

ويكنى أبا القاسم، وأمه آمنة: بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ولدته عام الفيل لثمان خلون من شهر ربيع الأول، وقيل: لعشر وهو اليوم الثامن من ديهاء سنة ١٣١٧هـ من بدء ملك بخت نصر، واليوم العشرون من نيسان سنة ٨٨٣ للإسكندر بن فيلبس الملك، وسنة ٣٩ من ملك أنوشروان خسرو بن قباد بن فيروز، وذلك بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسة وستين يوماً، وقيل: أقل من ذلك، وكان قدومهم مكة يوم الأحد لخمس ليال خلون من المحرم.

وتوفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب، وهو - عليه السلام - حمل، وقيل: بل مات بعد مولده بشهر، وقيل: بل في السنة الثانية من مولده، وقيل: بعد ثمانية وعشرين شهراً من مولده، وأنه كان خرج في تجارة إلى الشام، وتوفي بالمدينة، وله خمس وعشرون سنة، ودفع - عليه السلام - إلى حليمة بنت أبي ذؤيب، وهو: عبد الله بن الحارث بن شجته بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن؛ لترضعه فأرضعته بلبن بنيتها: عبد الله، والشيء وأُنيسة بني الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن ملآن بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر.

والشيء التي كان النبي ﷺ عضها على كتفها وهي تحمله في حال صباه. فلما هُزمت هوازن بحنين واحتوى رسول الله ﷺ على أموالهم، وذراهم سارت إليه الشياء فاستعطفته، وذكرته، وأرته أثر العضة فعرفها - عليه السلام - وكان ذلك أحد أسباب رد رسول الله ﷺ وسائر بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف ما صار إليهم من ذلك السبي، ورد أصحابه ما صار إليهم منه حين رأوا ذلك منه عليه السلام.

وكان مقامه ﷺ مسترضعاً فيهم أربع سنين، فلما كان في السنة الخامسة ردته حليمة على أمه آمنة، فلما كان في السنة السابعة من مولده أخرجته أمه إلى

أحوال جدّه عبد المطلب بن هاشم من بني عدي بن النجار بالمدينة يزورهم.

وأم عبد المطلب سلمى ابنة زيد بن عمرو بن لييد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدي بن النجار، فتوفيت أمه عليه السلام بـ "الأبواء"، وقدمت به أم أيمن: وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة إلى مكة.

وفي السنة الثامنة من مولده: توفي جدّه عبد المطلب، فضمه أبو طالب إليه فكان في حجره حتى بلغ ثلاث عشرة سنة، فخرج معه في تجارة إلى الشام، فنظر إليه بحيرا الراهب فبشر بنوته، وأخبر بعلاماته، وحضر ﷺ حرب الفجار، وحلف الفضول على ما قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب وله عشرون، ولما كمل خمسا وعشرين سنة خرج في تجارة لخديجة: بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب إلى الشام مع غلامها ميسرة، فنظر نسطور الزاهب إلى إظلال الغمامة إياه، وظهور الآيات فيه فبشر بنوته، ولما عاد الغلام أخبر خديجة بذلك، فأرسلت إليه في تزويجها فتزوجها، فلما كمل خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة، وتراضت به قريش في وضع الحجر الأسود حين كثر من قبائلهم التنازع في ذلك، فوضعه رسول الله ﷺ في موضعه.

فلما بلغ أربعين سنة بعثه الله - عز وجل - إلى الناس كافة يوم الاثنين لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وهو اليوم الثالث والعشرون من آبان ماه سنة ١٣٥٧ من ملك بختنصر، واليوم الثامن من شباط سنة ٩٢١ للإسكندر الملك، وله ﷺ يومئذ أربعون سنة، وتنوزع في أول من آمن به من الذكور بعد إجماعهم على أن أول من آمن به من الإناث خديجة.

فقال فريق منهم: أول ذكر آمن به علي بن أبي طالب، هذا قول أهل البيت وشيعتهم، وروى ذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وجابر بن عبد الله

الأنصاري، وزيد بن أرقم في آخرين، وتنوزع في سنة يوم أسلم فقالت فرقة: كانت سنة يومئذ خمس عشرة سنة، وقال آخرون ثلاث عشرة سنة، وقيل: إحدى عشرة سنة وقيل: تسع، وقيل: ثمان، وقيل: سبع، وقيل: ست، وقيل: خمس، وهذا قول من قصد إلى إزالة فضائله، ودفع مناقبه؛ ليجعل إسلامه إسلام طفل صغير وصبي غريب لا يفرق بين الفضل والتقصان، ولا يميز بين الشك واليقين، ولا يعرف حقاً فيطلبه، ولا باطلاً فيجتنبه.

وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا خلافته ووفاته جملاً مما قيل في ذلك، وإن كنا قد ذكرناه فيما سلف من كتبنا مفسراً مشروحاً، وأتينا على قول كل فريق من هؤلاء وما احتج به لمذهبه وصحح به قوله، والكلام بين متكلمي العثمانية والزيدية من معتزلة البغداديين القائلين بإمامة المفضول وغيرهم من البترية وفرق الزيدية والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية.

منهم الذين أصلهم في حصر هذا العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش أن النبي ﷺ قال لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-: أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق، ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس، وإن إمامهم المنتظر ظهوره في وقتنا هذا المؤرخ به كتابنا محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضوان الله عليهم أجمعين-.

وأصحاب النسق منهم القائلون بأن الله -عز وجل- لا يخلبي كل عصر من إمام قائم لله بحق ظاهر أم باطن، ولم يقطعوا على عدد محصور، ولا وقت معين مفهوم ومن ذاك نص من الله ورسوله على اسم كل إمام، وعينه إلى أن يفني الله -عز وجل- الأرض ومن عليها، وإنا سماء القطيعة؛ لقطعهم على وفاة موسى بن جعفر، وتركهم الوقوف عليه.

وغيرهم من فرق الشيعة وسائر من قال باختيار الإمام وأن ذلك إلى الأمة، أو إلى بعضها من المعتزلة، والمرجئة، وفرق الخوارج من الأزارقة، والأباضية، والصفريّة، والنجدات، وسائر فرق الخوارج إلى هذه الأصناف، يرجعون وعنهم يتفرقون، والناطقة والحشوية وغيرهم من فقهاء الأمصار.

وقال آخرون: إن أول من آمن به -عليه السلام- من الرجال: أبو بكر الصديق -عليه السلام- روي ذلك عن عمرو بن عبّسة، وجُبَيْر بن نَفِير، وإبراهيم النخعي في آخرين.

وقال آخرون: إن أول من آمن به زيد بن حارثة الكلبي مولاه، روي ذلك عن الزهري، وعروة بن الزبير، وسليمان بن يسار في آخرين.

وقال آخرون: أولهم إسلامًا خَبَّاب بن الأرت من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقال آخرون: بلال بن حمّامة.

وكان مقام رسول الله ﷺ بمكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة، وتوفي عمه أبو طالب وله بضع وثمانون سنة وزوجته خديجة بنت خويلد ولها خمس وستون سنة في السنة العاشرة من مبعثه بينهما ثلاثة أيام، وقيل أكثر من ذلك، وذلك بعد أبطال الصحيفة وخروج بني هاشم بني المطلب من الحصار في الشَّعْب بستة وستة أشهر، وكان مدة مقامهم في الحصار ثلاث سنين، وقيل: ستين ونصفًا، وقيل: ستين على ما في ذلك من التنازع، وفي هذه السنة -وهي سنة خمسين من مولده- كان خروجه إلى الطائف، وفي سنة إحدى وخمسين كان المسرى على ما في ذلك من التنازع بين فرق الأمة في كفيته.

ثم هاجر ﷺ إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وله ثلاث وخمسون سنة، وذلك في سنة أربع وثلاثين من ملك كسرى أبرويز، وأمر عليًا -رضي الله عنه- بالتخلف بعده ليؤدي عنه

ودائع كانت للناس عنده فتخلف بعد خروجه ثلاثة أيام، إلى أن أدى ما كان عنده من الودائع ثم لحق به، وقد كان رسول الله ﷺ أمر أصحابه قبل هجرته بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً فكان أولهم إليها قدوماً أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش الأسدي، وعمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة.

وكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان لسبعة أشهر من قدومه إياها في ثلاثين ركباً من المهاجرين إلى العيص من بلاد جُهينة يعترض عيراً لقريش جاءت من الشام تريد مكة، فلقي أبا جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وهو في ثلاثمائة رجل من أهل مكة فتحاجزوا من غير قتال، وفي ذلك يقول حمزة:

بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أُولَ خَافَقَ عَلَيْهِ لَوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لَاحَ مِنْ قَبْلِي

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ، وهي على عشرة أميال من الجُحفة لمن أراد من المدينة قديداً، وذلك في شوال لثمانية أشهر من قدومه المدينة، فلقي أبا سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على الماء المعروف بأحياء، وكان أبو سفيان في مائتين وعبيدة في ستين ركباً من المهاجرين، وكان بينهم رمي من غير سلّ السيوف، فكان أول من رمى بسهم في الإسلام سعد بن أبي وقاص: مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب في هذه السرية، وفي ذلك يقول سعد:

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ أَنِي هَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَسَبِي
فَمَا يَعْتَدِ رَامٌ فِي مَعْدٍ بِهِمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَبْلِي

وبنى رسول الله ﷺ بعائشة ابنة أبي بكر في شوال وهي بنت تسع سنين، وقيل دون ذلك، وكان تزوجها بمكة وهي ابنة سبع، وقيل: ست.

ثم سرية سعد بن أبي وقاص في ذي القعدة على تسعة أشهر من مهاجرته في عشرين رجلاً إلى النحرار، وهو من الجحفة قريب من خم يعترض عيراً لقريش فوافى الموضع وقد سبقه العير.

وفي هذه السنة ولد عبد الله بن الزبير بن العوام، وكان أول مولود وُلِدَ في دار الهجرة للمهاجرين، والنعمان بن بشير الأنصاري وهو أيضاً أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة، وفيها كانت وفاة أبي أمامة أسعد بن زرارة الخزرجي من بني غنم بن مالك ابن النجار في شوال، وفيها كان إسلام عبد الله ابن سلام.

ذكر السنة الثانية من الهجرة وتُعرف بسنة الأمر لأنه أمر فيها بالقتال

ثم غزوة رسول الله ﷺ في صفر في المهاجرين خاصة حتى بلغ ودان والأبواء وبينهما ثمانية أميال يعترض عير قريش فرجع، ولم يلق كيدًا فكانت غيخته خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سعد بن عُبَّادة بن دُكَيْم الأنصاري ثم الحزرجي، وفي هذا الشهر تزوج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بفاطمة - رضي الله عنهما -.

ثم غزوته ﷺ بواط في شهر ربيع الأول في مائتين يعترض عيرًا لقريش، وكانت ألفين وخمسمائة بعير فيها مائة رجل من قريش، منهم أمية بن خلف الجمحي فقاتته العير ورجع ولم يلق كيدًا، وبواط: جبل من جبال جهينة من ناحية ذي نخشب من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وقيل: أقل من ذلك واستخلف على المدينة سعد بن معاذ.

ثم غزوته ﷺ في هذا الشهر أيضًا في طلب كرز بن جابر الفهري، وكان أغار على سرح المدينة من ناحية العقيق فبلغ على سَقَوَان وهي من بدر فقاته كرز بالسرح فرجع واستخلف على المدينة مولاه زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ثم الكتاني: كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة، وفي الناس من يسمى هذه الغزاة بدر الأولى.

ثم غزوته ﷺ في جمادى الأولى من هذه السنة وقيل: جمادى الأخيرة ذا العشرة يعترض عيرًا لقريش ذاهبة إلى الشام فقاتته، وهي العير التي كان القتال يدور بسببها في رجعتها، وذو العشرة بناحية ينبع، وبين المدينة وينبع تسعة برد، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل: إن

خروجه في طلب كرز بعد غزوته ذا العشيرة والأشهر ما ذكرناه، وولد النعمان بن بشير الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة.

ثم سرية عبد الله بن جحش من بني دودان بن أسد بن خزيمة في رجب في أحد عشر رجلاً وقيل: ثمانية إلى نخلة وهو الموضع المعروف في هذا الوقت ببستان ابن عامر على جادة العراق فلقوا عير قريش فقتلوا ابن الحضرمي، وأسروا منهم نفرًا واستاقوا العير، وقسم عبد الله بن جحش الغنيمة، وأخرج منها: الخمس قبل أن ينزل القرآن بذلك فعزله رسول الله ﷺ حتى جاء الإذن من الله فأنفذه، وكان أول فيء قسمه، وفي هذه الغزاة فيما ذكر سُمِّي عبد الله بن جحش: أمير المؤمنين، وهو أول من سُمِّي بذلك، وقالت قريش استحل محمد القتل في الشهر الحرام - يعنون رجب - وندم أصحاب رسول الله ﷺ لذلك؛ لأنه قال لهم: "ما أمرتكم بقتال في الأشهر الحرم" فأنزل الله - عز وجل - في ذلك ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] وفرض صوم شهر رمضان في شعبان من هذه السنة وصرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة الظهر من يوم الثلاثاء للنصف من شعبان فاستدار النبي ﷺ وهو راکع في الركعة الثانية، ودارت الصفوف خلفه، فسمي ذلك المسجد: مسجد القبلتين وقيل: إن ذلك بعد افتراض صوم شهر رمضان بثلاثة عشر يومًا، وفيها أري عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري من بني زيد مناة بن الحارث بن الخزرج الأذان في النوم وورد الوحي بذلك فعمل به.

ثم غزوة رسول الله ﷺ بدر العظمى، وهي بدر القتال، وبين بدر والمدينة ثمانية برد وميلاً، وكان خروجه لثلاثة خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وأحد عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار عدة المهاجرين أربعة وسبعون رجلاً وباقيهم من الأنصار، وقيل: ثلاثمائة وثلثة عشر رجلاً، وقيل: وأربعة عشر

رجلاً الخبير المستفيض أنه كان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فوق التنازع فيما زاد على الثلاثمائة والعشرة وهو البضع، وكانت قريش تسعمائة وخمسين مقاتلاً منهم ستائة دارع معهم من الخيل مائة فرس، وكانت الوقعة يوم الجمعة صبيحة لتسعة عشر يوماً من شهر رمضان، كذلك روى عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عبد الله بن مسعود وخارجة بن زيد الأنصاري ثم الخزرجي عن أبيه زيد، وقد روى علقمة بن زيد عن ابن مسعود غير هذا، وهو أنها كانت صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان كذلك روي عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد أيضاً، وكذلك روي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فيما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي، وإلى هذا القول ذهب محمد بن عمر الواقدي صاحب المغاري والسير فقتل من قريش سبعون رجلاً وأسر سبعون رجلاً، كذلك ذكره أحمد بن منصور الرمادي عن عاصم بن علي عن عكرمة بن عمار قال حدثنا أبو زميل، قال حدثني عبد الله بن العباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر التقينا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر سبعون رجلاً، وقيل: إن عدة من قتل يوم بدر من قريش وحلفائهم سبعة وأربعون رجلاً والأسرى تسعة وأربعون رجلاً، وقيل: إن عدة القتلى منهم يومئذ خمسة وأربعون رجلاً والأسرى مثل ذلك رجلاً واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً.

قال المسعودي: وقسم رسول الله ﷺ ما أفاء الله عليه لكل رجل سهمًا وللفرس سهمين، وضرب لثمانية نفر بأسهمهم لم يشهدوا القتال، وهم: عثمان بن عفان تخلف عن بدر؛ لموت رقية بنت رسول الله ﷺ فضرب له بسهمه، فقال: يا رسول الله وأجري قال: «وأجرك»، ومنهم طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع مع أبي بكر الصديق - عليه السلام - في عمرو بن كعب بن سعد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح ابن عبد الله بن قرط

بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع مع عمر ابن الخطاب في نفيل بن عبد العزى.

وكان رسول الله ﷺ بعثهما لما خرج من المدينة يتحسّسان أخبار العير فعادا بعد انقضاء الحرب، وقيل إنها كانا بالشّام في تجارة لهما فقدما بعد رجوع رسول الله ﷺ من بدر فضرب لهما بسهميهما، فقالا: يا رسول الله وأجرنا قال: «وأجركما على الله» والأول أشهر وعليه العمل.

والحارث بن الصمة من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن الخزرج، وخوات بن جبير بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، والحارث بن حاطب، وعاصم بن عدي الأنصاريان، وأبو لبابة بشير ابن عبد المنذر الأنصاري ثم الأوسي، وكان استخلفه على المدينة، وما ذكرنا من أن رسول الله ﷺ قسم للفرس سهمين ولفارسه سهماً باتفاق من سائر فقهاء الأمصار غيرهم، إلا أبا حنيفة النعمان بن ثبات فإنه قال: يسبهم للفرس سهماً ولفارسه سهماً وخالفه صاحبه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في ذلك، واعتل أصحاب أبي حنيفة لصحة قوله بأحاديث رويها عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وغيرهم.

وإنما ذكرنا ذلك الخلاف للخلاف الواقع بينهما في الخبر، وكانت غيبة رسول الله ﷺ إلى أن عاد إلى المدينة تسعة عشر يوماً، ودخلها لثمان بقين من شهر رمضان، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم الضرير؛ وهو عمرو بن قيس من بني عامر بن لؤي بن غالب، وكانت وفاة أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب عم النبي ﷺ بمكة في اليوم الذي ورد فيه خبر وقعة بدر.

ثم سرية عمير بن عدي بن خرشة الأوسى ثم الخطمي إلى عصماء ابنة مروان من بني أمية بن بدر، وكانت تؤذي المسلمين، وتحرض عليهم

أعداءهم فقتلها عمير، وفي هذه السنة أمر رسول الله ﷺ بإخراج زكاة الفطر.

ثم سرية سالم بن عمير الأنصاري إلى أبي عفك شيخ من بني عمرو بن عوف، وكان يحرض على رسول الله ﷺ فقتله في شوال من هذه السنة، ثم غزوة رسول الله ﷺ للنصف من شوال إلى بني قينقاع من اليهود، وكانوا أربعمائة فحصرهم إلى هلال ذي القعدة فنزلوا على حكمه فاستوهمهم منه عبد الله بن أبي بن سلول، وكانوا حلفاء للخزرج فأجلاهم إلى أذرعات من أرض الشام، وغنم أموالهم وأخذ الخمس وهو أول خمس خمس، وفض الأربعة أخماس على أصحابه، وقيل: إن فعله ذلك كان بيد، وكان استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر الخزرجي.

ثم غزوة رسول الله ﷺ المعروفة بغزوة السوق خرج في ذي الحجة في طلب أبي سفيان صخر بن حرب، وكان أقبل في مائتي راكب من أهل مكة ليبر نذره أن لا يمس النساء، ولا الطيب حتى يثار بأهل بدر فصار إلى العريض فقتل رجلاً من الأنصار وحرق أبياتاً هنالك فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ وأصحابه في طلبه جعل وأصحابه يلقون جرب السوق تخففاً فسميت غزوة السوق، وكان استخلف على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر أيضاً، وفي هذا الشهر بنى عليُّ بقاطمة.

قال المسعودي: وقد ذكرنا التنازع في سنّها عند ذكر وفاتها في خلافة أبي بكر فيما يرد من هذا الكتاب وضحى رسول الله ﷺ أول أضحى رآه المسلمون، وأمر بذلك وخرج إلى المصلّى وذبح به شاتين بيده، وقيل شاة.

وفي هذه السنة كانت الوقعة بذي قارين بكر بن وائل وعليهم حنظلة بن سيار من ولد جذيمة بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن

نزار، وقيل: إنه من ولد كعب بن سعد بن ضبيعة بن عجل، وبين الجيش الذي بعثه إليهم الملك خسرو أبرويز عليهم الهامرز، وذلك لما امتنع هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل من تسليم ما كان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة أودعه إياه من أهله وماله وسلاحه قبل قتل كسرى إياه فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت الفرس، ومن كان معها من العرب من تغلب، وعليها بشر بن سودة التغلبي وطيء، وعليها إياس بن قبيصة الطائي، وضبة وتميم وعليهما عطارد بن حاجب بن زرارة، والنمر وعليها أوس ابن الخزرج النمري، وبهراء وتنوخ وغيرهم من العرب، وقتل الهامرز.

وقيل: إن ذلك كان قبل الهجرة وإن أناساً من عبد القيس وحنيفة، وغيرهم من بكر بن وائل جاءوا من اليمامة وبلاد البحرين الموسم يريدون المضي إلى بكر لإنجادها فوقف عليهم النبي ﷺ وهو يعرض نفسه على قبائل العرب، ومعه أبو بكر فدعاهم إلى الإيمان بالله وجرى بين أبي بكر ودغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيان النسابة ما جرى حتى قال النبي ﷺ: "إن البلاء موكل بالمنطق" فوعدوا النبي ﷺ أن نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته، فدعاهم النبي ﷺ بالنصر فلما بلغه ظهورهم على الأعاجم قال: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصر، وهذا يوم تفخر به بكر بن وائل على سائر العرب وفوضل به في مناقبها وذكره من تقدم من الشعراء وتأخر في مدح بكر وذكر أيامها المذكور ووقائعها المشهورة.

ولقد أحسن أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في تلطفه لذلك في مديحه أبا دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دلف بن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم

بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ببائيته التي أولها :
على مثلها من أربع وملاعب

فقال:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها على الناس أو ما وطدت من مناقب
فأنتم بذني قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس

وقد ذكر أبو عبيدة: معمر بن المثنى في كتابه المترجم بالديباج أوفياء العرب فعد السموءل بن عادياء الغساني، والحارث بن ظالم المري، وعمير بن سلمى الحنفي، ولم يذكر هائثاً، وهو أعظم العرب وفاء، وأعزهم جواراً، وأمنعهم جاراً؛ لأنه عرض نفسه وقومه للحتوف ونعدهم للزوال، وحرّمهم للسبي، ولم يخفر أمانته، ولا ضيع وديعته.

ذكر السنة الثالثة من الهجرة

وتعرف بسنة التمحيص

ثم غزوة رسول الله ﷺ للنصف من المحرم في مائتين إلى الماء المعروف بقرقرة الكدر ناحية معدن بني سليم مما يلي جادة العراق إلى مكة، وبين المعدن والمدينة ثمانية برد يريد سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، وغطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار فأنجفلوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيدًا، وكان استخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصاري من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس في أربعة نفر من الأنصار إلى كعب بن الأشرف اليهودي وكان رجلًا من طيء، ثم من بني نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء، وأمه من بني النضير من اليهود، وكان يشب بنساء المسلمين، ويحرض على النبي ﷺ، ويرثي أهل القليب، فقتلوه في حصنه للنصف من شهر ربيع الأول.

ثم غزوة رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة بحران وهو معدن بني سليم بناحية الفرع من الحجاز فصار إليه، وقد تقدم إليهم خبره ففرقوا فرجع، ولم يلق كيدًا، وكانت غيبته عشرة أيام، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم غزوة رسول الله ﷺ في هذا الشهر في أربعمائة وخمسين إلى نجد يريد غطفان فبلغ الموضع المعروف بذي أمر وراء بطن نخل، فأنجفلوا من بين يديه فرجع ولم يلق كيدًا، وكانت غيبته عشرة أيام، واستخلف عثمان بن عفان.

ثم سرية مولاة زيد بن حارثة الكلبي مستهل جمادى الآخرة إلى الموضع

المعروف بالقردة من أرض نجد بين الربدلة والغمر وذات عرق من جادة العراق يعترض عيراً لقريش تريد الشام فظفر بها، وبلغ الخمس عشرين ألفاً وهذا أول بعث خرج فيه زيد أميراً.

وفي شعبان من هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ حفصة ابنة عمر بن الخطاب، وكانت قبله عند خنيس بن حذاقة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم وكان بدرياً، ولم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من بني سهم غيره، وللنصف من شهر رمضان كان مولد الحسن بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - وفيه تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة المعروفة بأُم المساكين.

ثم غزوة رسول الله ﷺ أجداً خرج إليها في نحو من ألف رجل فانخزل عنه عبد الله ابن أبي بن سلول في نحو من ثلث، الناس وكان أشار على رسول الله ﷺ بترك الخروج إليهم؛ والتمسك بالمدينة، وقال عصاني ولم يقبل رأيي، وبقي رسول الله ﷺ في نحو من سبعمائة، وكانت قريش وكنانة بن خزيمة وأحلافها ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، والخيـل مائتا فرس، ومعهم من النساء خمس عشرة امرأة يجرضنهم فيهن هند ابنة عتبة، وعلى الناس أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فالتقوا يوم السبت لسبع خلون من شوال، فاستشهد من المسلمين سبعون رجلاً، وقيل: خمسة وستون رجلاً أربعة منهم من المهاجرين أحدهم حمزة بن عبد المطلب، والباقون من الأنصار، وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، ثم خرج من الغد؛ وهو ثاني يوم أحد في طلب أبي سفيان وأصحابه حتى انتهى إلى الموضع المعروف: بحمراء الأسد، وهي على عشرة أميال من المدينة على طريق العقيق متياسرة عن ذي الحليفة ففاته قريش فأقام ثلاثاً ثم عاد، وفي الناس من يعد هذه غزاة.

ذكر السنة الرابعة من الهجرة

وتعرف بسنة الترفيه

ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي في المحرم إلى قطن وهو جبل بناحية فيد من آخر بلاد نجد.

ثم سرية عبد الله بن أنيس الجهني: جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن ألحاف بن قضاة إلى سفيان بن خالد الهذلي في المحرم أيضًا فقتله، وقيل: إن قتله إياه كان في السنة الخامسة من الهجرة.

ثم بعث المنذر بن عمرو الأنصاري في صفر في سبعين رجلًا من الأنصار إلى أهل نجد؛ ليقرئوهم القرآن، ويعلموهم الدين فلما انتهوا إلى الموضع المعروف ببئر معونة على أربع مراحل من المدينة بين أرض بني سليم وأرض بني كلاب، أغار عليهم عامر بن الطفيل الكلابي فقتلهم، وكان فيهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق.

ثم بعث رسول الله ﷺ عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري ثم الأوسي في صفر في تسعة نفر من أصحابه مع رهط من القارة، وهي من الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وعضل وهي من القارة، وكانوا قدموا على النبي ﷺ فسألوه أن يبعث معهم من يفقههم في الدين فبعثهم فلما صاروا بالموضع المعروف بالرجيع وذلك على سبعة أميال من الموضع المعروف بالهدأة، والهدأة على سبعة أميال من عسفان غدر بهم فقتلت لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر منهم سبعة نفر وأسر اثنان خبيب بن عدي الأنصاري من بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وزيد بن الدثنة فذهب بهما إلى مكة فقتلا هنالك.

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري وسلحة بن أسلم بن حريش إلى أبي

سفيان بمكة ليغتالاه فنذر بهما فعادا، وقيل: إن ذلك في السنة الخامسة من الهجرة.

ثم غزوة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول بني النضير من اليهود، وقيل: إنهم وقريظة من ولد هارون بن عمران، وقيل: إنهم من جذام وإثما رغبوا عن دين العمالة وعبادة الأصنام فاتبعوا شريعة موسى، وانتقلوا من الشام إلى الحجاز، وكانت منازل النضير بناحية الغرس وما والاها ومقبرة بني خطمة، وكانوا موادعين لرسول الله ﷺ، ثم هموا بالغدر به فنذر بهم فنبذ إليهم فأقاموا على الحرب فصار إليهم فحصرهم خمسة عشر يوماً. ثم أجلاهم إلى فدك وخيبر، وقبض ما لهم من الحلقة والكراع فخرجوا يريدون خيبر وهم يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير وعلى النساء المصبغات والمعصفرات وحلي الذهب مظهرين بذلك تجلداً، وكان فيهم فيما أخبرنا به عن عمر ابن شبة النميري عروة الصعاليك بن الورد العبسي، وكان حيفاً في بني عمرو بن عوف، وكان شاعراً مجيداً، وهو القائل في كلمة له طويلة:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وعاد رسول الله ﷺ على المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم.

قال المسعودي: وفي هذا الشهر فيما ذكر حرمت الحمر على ما في ذلك من التنازع في سبب تحريمها، وفي شعبان من هذه السنة كان مولد الحسين بن علي ابن أبي طالب، وفي شوال تزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي، وفي هذا الشهر فيما ذكر رجم يهودي ويهودية كانا قد زنيا.

ثم غزوته ﷺ في ذي القعدة في ألف وخمسمائة، واخيل عشرة بدرًا لموعد أبي سفيان صخر بن حرب حين أراد الانصراف من أحد فأقام بها ثمانية أيام وتسمى بدر الثالثة وخرج أبو سفيان في قريش من مكة إلى عسقان في ألفين - والخیل خمسون - ثم لم يقف ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان استخلف عليها عبد الله بن رواحة الأنصاري، وكانت غيبته ستة عشر يوماً.

ذكر السنة الخامسة من الهجرة

وتعرف بسنة الأحزاب

ثم غزوته ﷺ لعشر خلون من المحرم في ثمانمائة إلى الموضع المعروف بذات الرقاع وهو جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وبيض وسود، وقيل: إنها إنما سميت غزوة ذات الرقاع؛ لكثرة الرقاع في الرايات فأجفلت العرب من يديه ولحقوا برءوس الجبال وبطون الأودية.

قال المسعودي: وفي هذه الغزاة صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف؛ لقرب العدو منهم وإشرافهم عليه على ما في ذلك من التنازع وفي وصفها وكيفيتها بين فقهاء الأمصار وغيرهم من السلف وعاد على المدينة، وكان استخلف عليها عثمان بن عفان، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

ثم غزوته ﷺ دومة الجندل وهي أول غزواته للروم وبين دومة الجندل وبين دمشق خمس ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمسة عشرة ليلة، وقيل ثلاث عشرة، وكان صاحبها أكيدر بن عبد الملك الكندي يدين بالنصرانية، وهو في طاعة هرقل ملك الروم، وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم فبلغ أكيدراً مسيره فهرب وتفرق أهل دومة الجندل وصار إليها فلم يجد بها أحداً فأقام أياماً وعاد إلى المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وفي هذه السنة وادع رسول الله ﷺ عينه بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.

ثم غزوته ﷺ لليلتين خلتا من شعبان بني المصطلق بن سعد بن عمرو: وهو خزاعة - ومنه تفرقت بطونهم - ابن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وإنما سموا خزاعة: لانخزاعهم من جملة الأزدي بطن مر عند مسيرهم من مأرب، وفي ذلك يقول شاعرهم:

ولما هبطنا بطن مسرئل نخزعت خزاعة منافي حلول كراكر

وكانوا على فاء لهم يعرف بالمريسيح بطريق الفرع، والفرع على ثماني برد من المدينة فناجزهم فانهزموا فقتل وأسر وسبي الذراري والأموال فكان في السبي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق، وكانت صارت لبعض الأنصار فكاتبها فأدى النبي ﷺ كتابتها وتزوجها فعتق الناس بقية السبي ببركتها وعاد إلى المدينة، وكان قد استخلف عليها زيد بن حارثة مولاه، وكانت غيبته ثمانية عشر يومًا.

وفي هذه الغزاة فقد عَقِدُ عائشة، وقال فيها أهل الإفك ما قالوا وهم مسطح بن أثانة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف وهو ابن خالة أبي بكر، وكان في عياله وحسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وعبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي وهو الذي تولى كبره منهم وحنه ابنة جحش بن رئاب والذي ذكروه صفوان بن المعطل السلمي، وكان صاحب الساقة في تلك الغزاة فلما أنزلت براءتها جلدتهم رسول الله ﷺ ثمانين جلدة إلا عبد الله بن أبي بن سلول فإنه لم يجلده وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة، وقيل كعب بن مالك:

لقد ذاق حسان الذي هو أهله وحنه إذ قالوا هجيرًا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذي العرش الكريم فأبرحوا

وفيها نزلت آية التيمم على ما في ذلك من التنازع بين الأسلاف والأخلاف في كيفية التيمم.

ثم غزوته ﷺ الخندق وهي غزوة الأحزاب سارت إليه قريش، وغطفان، وسليم، وأسد، وأشجع، وقريظة، والنضير، وغيرهم من اليهود فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفًا منها: قريش وأتباعها أربعة آلاف معهم ثلاثمائة فرس وألف وأربع مائة بعير، قائدهم أبو سفيان صخر بن حرب، والمسلمون

نحو من ثلاثة آلاف، وذلك في شوال، وقيل في ذي القعدة فأشار سلمان الفارسي على رسول الله ﷺ بالخذق فخذق وأقاموا محاصرين للمدينة يتناوشون، ثم نصر الله رسوله وهزم الأحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة ابن أم مكتوم، وقد تنوزع في مدة إقامتهم على الخندق فمنهم من قال: شهر، ومنهم من قال: خمسة عشر يوماً، وقيل غير ذلك.

ثم غزوته ﷺ قريظة من اليهود لمظاهرتهم قريشاً عليه سار إليهم عند منصرفه من الخندق، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وكانوا على بعض يوم من المدينة فحصرهم خمسة عشر يوماً، وقيل: أكثر من ذلك، ثم نزلوا على حكم سيد الأوس سعد بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل فحكم بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم، وكان سعد رمي يوم الخندق بسهم فقطع أكحله فكان لمآبه فقتل من قريظة سبعمائة وخمسين رجلاً صبراً، وعاد إلى المدينة، وكان استخلف عليها أبا رهم الغفاري: كلثوم بن الحصين وتوفي سعد بن معاذ بعد رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش بن رثاب الأسدية أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب.

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح الفهري: فهر قريش وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة في ذي الحجة إلى سيف البحر.

ذكر السنة السادسة من الهجرة

وتعرف بسنة الاستئناس

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصاري في المحرّم إلى القرطاء من بني أبي بكر بن كلاب بناحية ضرية بموضع يقال له: البكرات، وَضْرِيَّة على سبعة أيام من المدينة.

ثم غزوة رسول الله ﷺ بني لحيان من هذيل، وكانوا بالقرب من عسفان خرج إليهم للال ربيع الأول ثائراً بمن قتلوا من أصحابه بالرّجيع فاعتصموا برءوس الجبال وفيها بعث فيما قيل عمر بن الخطاب سرية إلى القارة فاعتصموا بالجبال أيضاً وبعث هلال بن الحارث المزني إلى بني مالك بن فهر فهربوا منه وبعث بشر بن سويد الجهني إلى بني الحارث بن كنانة فاعتصموا بغيزة فأضرّمها عليهم فاحترقوا فأنكر النبي ﷺ ذلك ورجع إلى المدينة ولم يلق كيّداً، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وكانت غيبته أربع عشرة ليلة.

ثم غزوته ﷺ الموضع المعروف بذي قرد من طريق خيبر، وهو على ليلتين من المدينة، وكان عينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفرزي أغار على لقاحه وهي بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر فخرج رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدين، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وكانت غيبته خمس ليال.

ثم سرية سعد بن عباد الخزرجي إلى الموضع المعروف بالغميم، ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى جبلي طيء: أجأ وَسَلَمَى، ثم سرية عكاشة بن محصن الأسدي الغمر، غمر مرزوق.

قال المسعودي: والغمر على ليلتين من فيد طريق الكوفة، وكان لبني أسد.

ثم سرية محمد بن مسلمة الأنصاري في شهر ربيع الأول إلى ذي القصة وبين ذي القصة والمدينة عشرون ميلاً على طريق الربذة من جادة العراق إلى بني ثعلبة وأناس من تغلب، وكان في عشرة نفر فقتلوا وهم نيام، وأفلت محمد جريحاً.

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة أيضاً في شهر ربيع الآخر، ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم، والجموم من بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل على أربعة برد من المدينة.

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الأولى إلى العيص، وهي طريق ذي المروة عن يمينها على ليلة منها: مما يلي البحر، وهي على أربع مراحل من المدينة.

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الآخرة إلى بني ثعلبة بالطرف، والطرف ماء قرب من المراض دون النخيل، وهو على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق العراق.

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في جمادى الآخرة أيضاً إلى جذام بحسمى، وحسمى وراء وادي القرى مما يلي بلاد فلسطين من أرض الشام، ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً في رجب إلى وادي القرى لاجتماع فزارة هنالك فقامت بالحرب أم قرقة فانصرف زيد راجعاً.

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب في شعبان إلى دومة الجندل.

ثم سرية علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إلى بني سعد بفدك، وبين فدك وبين المدينة نحو من خمس ليال.

ثم سرية زيد بن حارثة في شهر رمضان إلى أم قرفة وهي فاطمة ابنة ربيعة بن زيد الفزارية، وكانت بنواحي وادي القرى على سبع ليال من المدينة فهزم فزارة وقتل أم قرفة.

ثم سرية عبد الله بن عتيك في هذا الشهر إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري بخير فقتله، ثم سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري من بني كعب بن الحارث ابن الخزرج إلى أسير بن رزام اليهودي بخير فقتله.

ثم سرية كرز بن جابر الفهري في شوال إلى العرنين الذين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل، وذلك بالموضع المعروف بذي الجدر بناحية قباء قريب من عين على ستة أميال من المدينة فأتى بهم فسملت أعينهم وقطعت أيديهم وأرجلهم على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار في معناه، وفي آية المحاربة وأحكام المحاربين.

وحدثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله الكشي عن أبي النعمان عارم بن الفضل السدوسي وسليمان بن حرب بن عثم عن حماد بن زيد، وحدثنا أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي، قال حدثنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد، عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك الأنصاري: إن قومًا من عكل أو عرينة قدموا على رسول الله ﷺ فاجتووا المدينة فأمر لهم رسول الله ﷺ بلقاح، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوا لها فانطلقوا؛ فلما صحوا قتلوا رعاة رسول الله ﷺ واستاقوا النعم فبلغ رسول الله ﷺ الخبر من أول النهار فأرسل في طلبهم فما ارتفع النهار حتى أتى بهم فسملت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم وألقوا بالحرّة فيستسقون فلا يسقون حتى ماتوا.

وقد روي أن النبي ﷺ إنما سمل أعينهم؛ لأنهم سملوا أعين الرعاة فجعل السمل قصاصًا، كذلك ذكر يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أنس بن مالك.

قال المسعودي: والعربيون من ولد عرينة بن نذير بن قسر بن عقر بن بجيلة.

وبجيلة امرأة سُمِّي ولدها بها، وهم بسو أنهار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي الأزد بن الغوث، وعند نساب ربيعة ومضر ابني نزار بجيلة من ولد أنهار بن نزار بن معد، وفي كلب عرينة أخرى، وهي عرينة بن ثور بن كلب بن وبرة، والعكليون ولد عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

ثم غزوة رسول الله ﷺ الحديبية خرج للعمرة في ذي القعدة في ألف وستائة رجل وساق معه سبعين بدنة فصده المشركون عن الدخول إلى مكة؛ فأقام بالحديبية وهي من مكة على تسعة أميال مما يلي طرف الحرم، وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وذلك لما بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان إلى أهل مكة يعلمهم أنه لم يأت محارباً، وإنما جاء معتمراً فاحتبسوا عثمان واستفاضت الأخبار بقتله فوقعت البيعة حيثئذ وخرج إليه سهيل بن عمرو بن عبد شمس من بني عامر بن لؤي ابن غالب فصالحه على موادة عشر سنين على أن ينصرف في تلك السنة، ويأتي في العام المقبل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فنحر وحلق بالحديبية، وجعلها عمرة وانصرف إلى المدينة، وكان استخلف عليها ابن أم مكتوم، وفي منصرفه عن الحديبية، قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بغدير خم: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وغدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة وولد علي - رضي الله عنه - وشيعته يعظمون هذا اليوم.

وفي هذه السنة أجذب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان، وفيها أسلم المغيرة بن شعبه، وفيها انكشف شهر براز صاحب أبرويز بن هرمز عن الروم وظهرت الروم على الفرس وفيهم نزلت ﴿الْمَدَّ غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٣].

ذكر السنة السابعة من الهجرة

وتعرف بسنة الاستغلاب

ثم غزوة رسول الله ﷺ في المحرم خيبر - وهي على ثمانية برد من المدينة - في ألف وأربعمائة راجل، والخيّل مائتا فرس فحاربه بعض أهل الحصون فافتتحها عنوة وبعضهم جنح إلى الصلح فأجلاهم، ثم سألوه أن يقرّ الأرض في أيديهم على أن يعتملوها، ولهم شطر الثمرة فأجابهم إلى ذلك فكان يبعث عبد الله بن رواحة الأنصاري في كل سنة فيخرص عليهم فلما قتل بمؤتة وجه مكانه جبار بن صخر فكانوا على ذلك إلى أيام عمر بن الخطاب فأخرجهم من الحجاز؛ لأنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذي مات فيه: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب" على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار في المساقاة، واصطفى رسول الله ﷺ من سبي حصن القموص صفية بنت حيي بن أخطب - من النضير - وكانت عند كنانة بن أبي الحقيق فأعتقها رسول الله ﷺ وجعل عتقها صداقها، كذلك ذكر عبد العزيز بن صهيب وثابت البناني وشعيب بن الحبحاب عن أنس بن مالك على ما في ذلك من التنازع في معنى هذا الخبر، وهل ذلك خاصاً للنبي ﷺ أم لأئمة التأسّي به فيه؟ وفي هذه الغزاة قدم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - ومن معه من أرض الحبشة، ومعه أم حبيبة؛ رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب، وكان النجاشي ملك الحبشة زوّجها من النبي ﷺ وأدّى عنه المهر، وكانت عند عبد الله بن جحش بن رثاب من بني غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر، وكان هاجر إلى أرض الحبشة، وهي معه فتنصّر ففارقته، وقال رسول الله ﷺ عند قدوم جعفر ما أدري بأبّهما أنا أبشر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟!.

وفي هذه الغزاة سُمّ النبي ﷺ في ذراع شاة أهدته له زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سَلَام بن مِسْكَم اليهودي، وكانت سألت أيّ عضو من الشاة

أحبُّ إلى رسول الله ﷺ؟

فَقِيلَ لَهَا: الذَّرَاعُ فَأَكْثَرَتْ فِيهَا السَّمَّ وَسَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ تَنَاوَلَ الذَّرَاعَ فَلَاكَ مِنْهَا مَضْغَةٌ فَلَمْ يُسْغَهَا، وَمَعَهُ بَشَرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا بَشَرٌ فَأَسَاغَهَا، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَفَظَهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ» وَدَعَا بِهَا؛ فَأَعْرَفَتْ.

فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟» قَالَتْ: بَلَغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يُخَفَّ عَلَيْكَ؛ فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسِيُخْبِرُ، وَإِنْ كَانَ مَلَكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ وَقَوْمِي؛ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَاتَ بَشَرٌ مِنْ أَكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ؛ فَقَتَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُئِذٍ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ بَشَرِ بْنِ الْبَرَاءِ تَعُودُهُ: «يَا أُمُّ بَشَرٍ إِنَّ هَذَا الْأَوَانَ وَجَدْتَ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنَ الْأَكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتَ مَعَ ابْنِكَ بِخَيْرٍ».

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّبُوَّةِ، كَذَلِكَ ذَكَرَ سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلَى.

قَالَ الْمَسْعُودِي: وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي كِتَابِ "غَرِيبِ الْحَدِيثِ" أَنَّهُ قَالَ ﷺ «مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْرٍ تُعَادُنِي فِي كُلِّ عَامٍ فَهَذَا أَوَانَ قَطَعْتَ أَبْهَرِي».

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ مَفْسَرًا لِلذَّكَاءِ: تُعَادُنِي مِنَ الْعِدَادِ؛ وَهُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَأْتِيكَ لَوْ قَتَلَ مَعْلُومٌ مِثْلَ الْحَمَى الرَّبْعِ، وَالسَّمُّ الَّذِي يَقْتُلُ لَوْ قَتَلَ فَإِنَّهُ يَعَادُ صَاحِبَهُ لَا يَأْمُ حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُهُ الَّذِي يَقْتُلُ فِيهِ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْعَدَدِ، وَالْأَبْهَرُ: عِزْقٌ مُسْتَبْطَنُ الصُّلْبِ، وَالْقَلْبُ مُتَّصِلٌ بِهِ فَإِذَا انْقَطَعَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ حَيَاةٌ.

ولما سمع أهل فدك بما نال أهل خيبر، ومن صالح رسول الله ﷺ منهم ومساقاته إياهم؛ بعثوا إليه يسألونه أن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال؛ ففعل فكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وسار رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى؛ فحصرهم أيامًا حتى افتتحها عنوة، وكان أهل تيماء أعداء لرسول الله ﷺ، ورؤساؤهم آل السموءل بن عادياء بن حيا بن رفاعه بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقياء ابن عامر.

والسموءل: أحد أوفياء العرب وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق الفرد، وقد ذكره أعشى بني قيس بن ثعلبة في مديحه لشريح بن السموءل فقال:

بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَسْمَاءَ مَنَزْلُهُ حِصْنِ حَصِينٍ، وَجَارِ غَيْرِ غَدَّارِ

فلما بلغهم ما نزل بأهل وادي القرى؛ صالحوا رسول الله ﷺ على أداء الجزية، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان استخلف عليها سباع بن عُرْفُطَةَ الأنصاري.

واتخذ رسول الله ﷺ الخاتم في المحرم، ونقش عليه محمد رسول الله، وكاتب الملوك في شهر ربيع الأول، ونفذت كتبه ورسله إليهم يدعوهم إلى الإسلام، وافتتح كتبه إليهم بسم الله الرحمن الرحيم.

وكان ﷺ أولًا يكتب كما تكتب قريش: باسمك اللهم حتى نزل عليه ﴿اركبوا فيها بسم الله مجراها﴾ فكتب بذلك إلى أن نزل عليه ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ فكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزل عليه ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فكتب بذلك وقد أتينا على السبب في كتابة قريش: باسمك اللهم في أخبار أمية بن أبي الصلت

الثقفي من الأخبار المسعوديات المنسوبة إلينا، فبعث عبد الله بن حُذافة السهميَّ إلى كسرى أبرويز بن هرمز ملك فارس، وهو يومئذ بالمدائن من أرض العراق؛ فمزق كتاب رسول الله ﷺ.

وكتب إلى باذام عامله على اليمن أن يشخصه إليه؛ فبعث إليه أسوارين في عدَّة وهما: فيروز بن الديلمي، وخرخره، وقيل بابويه وقال: تأتوني به فقدما المدينة على النبي ﷺ فأخبرهما أن شيرويه بن أبرويز ملكهم قد قتل أباه في تلك الليلة؛ فرجعا إلى باذام فأخبراه فكان الأمر كما ذكر ﷺ فأسلما وأسلم باذام والأبناء بصنعاء، وهم الذين ساروا إلى اليمن مع خرزاد بن نرسي بن جاماسب أخي قباد بن فيروز الملك، وكان أنوشروان سمَّى مرتبته: وهَرَز حين أنفذه مع سيف بن ذي يزن الحميريَّ منجداً له على الحبشة حين غلبت على اليمن، فقلُّوا مسروق بن أبرهة الأشرم آخر ملوك الحبشة باليمن، وأقاموا بها.

وكان جميع من ملك اليمن من الحبشة أربعة: أولهم أرباط وقيل: أبرهة الأشرم، ثم أبرهة: وهو السائر إلى البيت الحرام بالقبيل المذكور في القرآن، ثم يكسوم ابنه، ثم مسروق ابنه أيضاً، ومدة ما ملكوا من السنين: ثيِّف وسبعون سنة.

وكان قطعهم البحر من ساحل الحبشة إلى ساحل اليمن من الموضع المعروف بالمنذب، وهما جبلان وهذا الموضع أضيق أعبار هذا البحر، وإنما عرضه نحو من ميل، ويتصل به من ساحل اليمن ساحل المُخَا، وهي متصلة بغلافة ساحل زبيد من أعمال ابن زياد في هذا الوقت، ومن الناس من يُسمَّى وهَرَز الديلمي؛ لأنه ولي مرزية الديلم، والجبل لا أنه كان ديلمياً.

وبعث رسول الله ﷺ دِخْيَةَ بن خليفة الكلبي: وهو دِخْيَةُ بن خليفة بن قُرُوة بن قُصَّالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج: والخزرج العظم، وهو زيد مناة

ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب إلى هرقل ملك الروم، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي: أصمخة بن أفخره ملك الحبشة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخي بني عبد القيس صاحب البحرين، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني عامل هرقل ملك الروم على دمشق وأعمالها، وكان ينزل الجولان، ومرج الصفر، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وقيل: العبيسي حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس الفرقب النوني بالنون عظيم القبط ببلاده الإسكندرية ومصر، والنون: هو قبيل من القبط.

قال المسعودي: وقد أتينا على أخبار هؤلاء الرسل مع من أرسلوا إليه، ورسل من كان بعد النبي ﷺ من الخلفاء والملوك، ووفودهم إلى سائر الملوك والأمم إلى هذا الوقت، وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف".

وقيل: إن بعثة الرسل إلى هؤلاء الملوك كان في السنة السادسة من الهجرة قبل فتحه خير.

ثم سرية عمر بن الخطاب في شعبان إلى الموضع المعروف بتربة، وتربة: ناحية العَبْلَاء على أربع ليالٍ من مكة، وقيل: مُحَس طريق صنعاء ونجران اليمن.

ثم سرية أبي بكر في هذا الشهر إلى بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بم نزار بناحية ضريبة.

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري، ثم الخزرجي في هذا الشهر أيضًا إلى بني مرة ابن عوف بن سعد بن دُبَيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس

بن عيلان بن مضر بقدك فأصيب أصحابه، وارتث في القتلى.

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي في شهر رمضان إلى الميعة، وراء بطن نخل إلى ناحية النقرة مما يلي نجدًا على ثمانية بُرد من المدينة، وفيها قتل أسامة بن زيد بن حارثة الرجل الذي قال: لا إله إلا الله؛ فلامه النبي ﷺ على قتله فقال: إنما قالها احتجاجًا فقال: «هلاً شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب»؟! فأنزل الله - عز وجل - في ذلك ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾.

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري في شوال إلى يثمن، وجبار، وهما موضعان نحو الجنب، والجنب: يعارض خيبر ووادي القرى.

ثم خرج رسول الله ﷺ عن المدينة يوم الاثنين لست ليالٍ خلون من ذي القعدة لعُمرة القضاء التي كان المشركون صدّوه عنها بالحديبية؛ فخرج المشركون عن مكة، ودخلها رسول الله ﷺ فأقام بها، وأصحابه ثلاثًا، ثم خرج عنها وعاد إلى المدينة، وكان استخلف عليها سباع بن عُرْفُطَة، وفيها تزوج ميمونة الهلالية: خالة عبد الله بن العباس على ما في هذا الخبر من التنازع بين فقهاء الأمصار وغيرهم ممن تقدّم أنكحها وهو محلّ أم محرم؟

وهي: ميمونة بنت الحارث بن حَزَن بن بُجَيْر بن الهَرَم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حَمَاطَة بن جرش من حمير، وهي العجوز الجرشية، أكرم الناس أصهارًا كان لها ثمان بنات: ميمونة، ولبابة الكبرى، ولبابة الصغرى، وعصماء، وعزة بنات الحارث بن حَزَن، وسَلْمَى، وأسماء، وسلامة بنات عميس بن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عَفْرَس بن أفتل، وهم جماعة خثعم بن أنمار على ما في ذلك من التنازع في

نسب أنمار، ومن أحلقه من نساب النزارية بنزار بن معد بن عدنان، ومن أحلقه من نساب القحطانية بأراش بن عمرو بن غوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان.

تزوج رسول الله ﷺ ميمونة على ما وصفنا، وتزوج حمزة بن عبد المطلب سَلَمَى فولدت له أمة الله، وقيل: أُمَامَة، وتزوج العباس بن عبد المطلب لبابة الكبرى، وتكنى أم الفضل فولدت له الفضل لا عقب له، وعبد الله أبا الخلفاء من بني العباس، وعبيد الله ومعبدا لهما عقب، وَقَّثَم، وعبد الرحمن لا عقب لهما، وأم حبيب، ولم يكن أخوة لأم وأب أشرف منهم، ولا أبعد قبورًا.

مات الفضل بالشأم في طاعون عمواس، وعبد الرحمن ومعبدا بإفريقية، وَقَّثَم بسمرقند، وعبد الله بالطائف، وعبيد الله بالمدينة، وتزوج جعفر بن أبي طالب أسماء فولدت له عبد الله وعوثًا ومحمدًا، ثم تزوجها أبو بكر؛ فولدت له محمدًا، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوثًا لا عقب لهما، وتزوج الوليد بن المغيرة المخزومي لبابة الصغرى؛ فولدت له خالد بن الوليد، وباقي البنات عند أزواج شتى ليس لهم من السابقة في الدين، والشرف في النسب ما هو لاء.

ثم سرية ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة إلى بني سُليم فأصيب أصجابه، ونجا مكلومًا، ثم سرية عبد الله بن أبي حَذَرْد الأسلمي في ذي الحجة إلى الغابة؛ فقتل رفاعه بن زيد الجشمي، ثم سرية مُحَيَّصَة بن مسعود إلى ناحية فَذَك.

ثم سرية عبد الله بن أبي حَذَرْد إلى إضم في ذي الحجة أيضًا، وكان فيهم أبو قتادة، ومَحَلَم بن جثامة؛ فقتل محَلَم عامر بن الأصبط الأشجعي لشيء كان بينهما في الجاهلية، وقيل: بل قتله بعد أن حيَّاه بتحية الإسلام؛ فقيل: إن فيه نزل ﴿لَوْ لَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ذكر السنة الثامنة من الهجرة وتُسمى سنة الفتح

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي في صفر إلى بني الملوح بكديد بين عُسفان وقديد، ثم سرية أيضًا في صفر إلى مُصاب أصحاب يُسير بفدك، وفي هذا الشهر قدم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب ابن لؤي بن غالب، وخالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي مهاجرين.

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي في شهر ربيع الأول إلى بني عامر بالسَّيِّ من ناحية رُكبة مما يلي ثربة، وركبة وراء معدن بني سليم من المدينة على خمس ليالٍ، ثم سرية كعب بن عُمير الغفاري في هذا الشهر إلى ذات أطلاح، وهي وراء وادي القرى بين تبوك وأذرعات من بلاد دمشق من أرض الشام؛ فقتل أصحابه جميعًا وتحامل إلى المدينة جريحًا.

ثم سرية زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج في جمادى الأولى؛ لغزو الروم إلى مؤتة من ناحية البلقاء من أعمال دمشق من الشام؛ لقتل شرحبيل بن عمرو الغساني الحارث بن عمير الأزدي، رسول رسول الله ﷺ إلى صاحب بُضرى، ولم يُقتل للنبي رسول غيره، وكانوا في نحو من ثلاثة آلاف؛ فلقبهم جموع من الروم في مائة ألف أنفذهم هرقل للقائهم، وهو يومئذ مقيم بأنطاكية، وعلى الروم تبادو قسُّ البطريق، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاة وغيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني؛ فقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب بعد أن عرقت فرسه، وهو أول فرس عُرقت في الإسلام، وجُرح نيفًا وتسعين جراحة كلها في مقدمه وعبد الله بن رواحة، ورجع خالد بن الوليد بالناس.

ثم سرية عمرو بن العاص في جمادى الآخرة إلى ذات السلاسل وراء وادي القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام؛ فلقية جموع الروم ومنتصرة العرب؛ فاستمد النبي ﷺ فأمدته بسرية فيها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنهم - وكان لعمرو في هذه السرية أفعال أنكرت عليه منها: صلاته بالناس جنباً، ومنعه إيقاد النار مع حاجتهم إليها؛ لشدة القرّ وكثرة الجراح وغير ذلك، وبلغ النبي ﷺ ما فعل؛ فأجازه لما ذكر فيه من المصلحة للجيش.

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح في رجب إلى أرض جُهينة بناحية البحر بينها وبين المدينة خمس ليالٍ، ثم سرية أبي قتادة النعمان بن ربيعي الأنصاري ثم الخزرجي في شعبان إلى خَضْرَة أرض محارب بنجد، ثم سرية أبي قتادة أيضاً في هذا الشهر إلى بطن إضم بين ذي خشب وذي المَرْوَة بينها وبين المدينة ثلاثة برد.

ثم غزوة رسول الله ﷺ مكة: وهي غزوة الفتح سار إليها لثلاث ليالٍ خلون من شهر رمضان في عشرة آلاف من المسلمين؛ فدخلها وكان استخلف على المدينة أبا رُهم الغفاري.

قال المسعودي: وتنوزع في دخوله أصلحاً كان أم عنوة؟

فقال أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي من الأوزاع من حمير في آخرين من أهل الشام، وأهل العراق، وغيرهم من أهل الظاهر كأبي سليمان داود بن علي الأصبهاني، وغيره: فتح رسول الله ﷺ مكة عنوة؛ فخلى بين المهاجرين وأرضهم ودورهم بمكة، ولم يجعلها فيئاً، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «ألا إن الله حبس الفيل عن مكة وسلط عليهم رسوله والمؤمنين ألا إنها لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي» ويقول: «أترون أوباش قريش؟ أتني لقيتموهم فاحصدوهم حصداً»، وأمره بقتل ابن خطل، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابه وغيرهم، وغير ذلك من الحجاج.

فقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وموافقته: لم يدخلها رسول الله ﷺ عنوة، وإنما دخلها صلحاً، وقد تقدم لهم أمان بقوله: «من دخل داره فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن» ودليل قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، وقد روي أن هذه الآية نزلت في غزوة الحديبية، كذلك حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عن بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة، وذهب أبو عبد الله: مالك بن أنس الأصبحي من ذي أصبح بن مالك من حمير، وغيره من أهل المدينة إلى مثل ذلك؛ فإنهم لما أُمِنُوا على أنفسهم كانت أموالهم تبعاً لهم.

وقال آخرون منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام افتتح رسول الله ﷺ مكة، ومنَّ على أهلها فردّها عليهم ولم يقسمها، ولا جعلها فيئاً وغير ذلك من الحجاج، وأمر رسول الله ﷺ بقتل عدّة:

منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حُيَيْب بن جُذَيْمَةَ بن نصر بن مالك بن حِشَل بن عامر بن لؤي وكان أخا عثمان بن عفان لأمه، وأحد من كتب الوحي فارتد مشركاً ولحق بمكة فلما أمر النبي ﷺ بقتله أخفاه عثمان ثم أتى به النبي ﷺ سائلاً فيه؟ فصمت النبي ﷺ طويلاً، ثم قال: نعم فلما انصرف به عثمان قال رسول الله ﷺ لمن حضره من أصحابه: «أما والله لقد صمْتُ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه» فقال رجل من الأنصار: فهلاً أو مأت يا رسول الله؟ فقال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.

ومنهم: عبد الله بن خَطَل من بني تيم بن غالب بن فهر بن مالك، وقيل: إن اسمه هلال بن خطل، وابن خطل: هو عبد الله، وكان رسول الله ﷺ أمّره مصدّقاً، وكان معه رجل من الأنصار و غلام له فقتل الغلام لخلاف كان منه عليه، وارتد مشركاً، وكانت له قينتان تغنيان بهجاء النبي ﷺ؛ فأمر بقتلهما معه.

ومنهم: مقيس بن صبابه من بني كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكان قتل رجلاً من الأنصار قتل أخاه خطأ، وكان رجع إلى مكة مرتدًا.

ومنهم: عكرمة بن أبي جهل المخزومي، والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذيه بمكة؛ فقتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وسارة مولاة كانت لبني عبد المطلب، وكانت ممن يؤذيه بمكة أيضًا، وبث رسول الله ﷺ السرايا حول مكة، وكان أولها سرية خالد بن الوليد في شهر رمضان إلى نخلة اليمانية؛ لهدم العُزَّى فهدمها، ثم سرية عمرو بن العاص في شهر رمضان إلى سواع برهاط فهدمه، ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي من الأوس في هذا الشهر إلى مناة بالمشلل فهدمه، ثم سرية خالد بن سعيد بن العاص إلى عُرنة، ثم سرية هشام بن العاص إلى يَلَمْلَم، ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي في شوال إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حُمَّه الدوسي فهدمه، ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة، وكانوا بأسفل مكة على ليلة منها نَحْو يَلَمْلَم بعثه رسول الله ﷺ داعيًا، ولم يأمره بالقتال؛ فقتلهم بالغُمَيْصَاء فوداهم رسول الله ﷺ.

ثم غزوة رسول الله ﷺ هوازن، وهي غزوة حنين.

قال المسعودي: وَحَتَّى وَاذًا إِلَى جَانِبِ ذِي الْمَجَازِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَكَانَ خُرُوجُهُ ﷺ فِي اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالْخَيْلِ مَاتَا فَرَسَ، وَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَطَلَبَ ﷺ مِنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمِيَّةٍ عَارِيَّةَ أَدْرَاعَا كَانَتْ عِنْدَهُ، وَصَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ قَدْ اسْتَأْجَلَ النَّبِيَّ ﷺ بِإِسْلَامِهِ شَهْرَيْنِ، فَقَالَ: أَغْصَبًا يَا مُحَمَّدُ؟

فقال: «بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ حَتَّى نَوْدِيهَا إِلَيْكَ»؛ فَأَعْطَاهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِمَا يَصْلَحُهَا مِنَ السِّلَاحِ عَلَى مَا فِي هَذَا الْخَبَرِ مِنْ اخْتِلَافِ الْأَلْفَاظِ، وَاضْطِرَابِ

الأسانيد، وتنازع الناس في العارية مضمنة هي كما قال الشافعي، وغيره اشترط ذلك المعير أم لم يشترط، وهو قول يُعزى إلى ابن عباس، وأبي هريرة، وغيرهما، أم غير مضمنة كما قال: أبو حنيفة النعمان بن ثابت وصاحباها، وسفيان الثوري وأهل الظاهر، ويُعزى ذلك إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- وعبد الله بن مسعود أم تكون متضمنة إذا اشترط ضماها كما قال قتادة وغيره أو كما قال مالك: ما كان من ذلك ظاهراً مثل الرقيق وغيره من الحيوان أو الربع فلم يبعد ذلك لم يكن ضمناً، وما كان من العروض والحلي وغير ذلك فهو ضامن، إلا أن يصيبه أمر من أمر الله تعالى يُعذر به أو يقوم له بينة فلا يضمن.

وغير ذلك من الأقاويل مع اتفاق الجميع على أن المستعير لا يملك بالعارية، واتفاقهم على أن له الشيء المستعار فيما أذن له مالكة أن يستعمله فيه، واتفاقهم على أن المستعير إذا أتلّف الشيء المستعار أن عليه ضمانه، فلقي رسول الله ﷺ هوازن بأوطاس عليهم مالك بن عوف النصري: نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ودريد بن الصمة الجشمي: جشم بن بكر بن هوازن، وكان أحد فرسان العرب وشجعانهم، وهو يومئذ شيخ كبير ضرير قيل: قد جاوز المائتي سنة وليس فيه إلا التيمن برأيه، وكان من حضر ذلك اليوم من هوازن نصر وجشم ابنا معاوية بن بكر بن هوازن، وسعد بن بكر بن هوازن، ونفر من بني هلال بن عامر بن صَعَصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولم يحضرها أحد من بني نمير ولد عامر بن صَعَصَعَة بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولا من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة ولا من ولد كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصَعَة: وهم عَقِيل، والحريش، وقُشَيْر، وجَعْدَة، وعبد الله، وحبيب بنو كعب؛ فهزمهم الله وغنم رسوله أموالهم، وذرائعهم، وقتل دريد بن الصمة يومئذ في نحو من مائة وخمسين رجلاً من هوازن، وهرب مالك بن عوف.

ثم غزوة رسول الله ﷺ في رجب تبوك مما يلي دمشق من أرض الشام، وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخًا، وذلك مسيرة اثنتي عشرة ليلة، وكان معه في هذه الغزاة ثلاثون ألفًا؛ الخيل: عشرة آلاف، والإبل: اثنا عشر ألف بعير، ويُسمى جيش العُسرة؛ لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار، واشتدَّ الحر، وطاب لهم الظلال، وشق عليهم الخروج؛ لبعد المسافة، وعسرة من الماء، وعسرة من النفقة، والظهر، وحث رسول الله ﷺ الأغنياء على النفقة والحملاان؛ فصار إلى تبوك فأقام بها بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين يصلي ركعتين ركعتين، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها علي بن أبي طالب.

وقد ذهب قوم إلى أنه استخلف عليها أبا رُهم الغفاري، وعلى أهله علي بن أبي طالب، وقيل: بل استخلف عليها ابن أم مكتوم، وقيل: محمد بن مسلمة، وقيل: سباع بن عُرفطة، وتخلَّف عبدُ الله بن أبي معسكرًا في الموضع المعروف بالجرُف في قطعة من الجيش، وفي هذه الغزاة قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب لما خَلَفَه بالمدينة، ولم يَخْلَفْه قبلها وقد رأى كراهية علي لذلك: «أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لانيبي بعدي» والأشهر أن رسول الله ﷺ استخلف عليًّا على المدينة؛ ليكون مع من ذكرنا من المتخلفين.

وقد ذكرنا السبب الذي من أجله خَلَفَه، وسبب تخلّف عبد الله بن أبي فيمن ذكرنا في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" الذي كتابنا هذا تالٍ له، وفيها كانت قصة الثلاثة الذين خَلَفُوا فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾.

وهم من الأنصار: كعب بن مالك الخزرجي، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الأوسيان، وقد أتينا على ما كان بينه وبين هرقل ملك الروم من المراسلات في هذه الغزاة في حال مقامه ﷺ بتبوك وهرقل يومئذٍ بحمص، وقيل: بدمشق فيما سلف من كتبنا، وبعث من هناك خالد بن الوليد المخزومي إلى

أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل فأخذه أسيرًا، وفتح الله عليه دومة وجاءه وهو بتبوك أسقف أيلة: يُحَنِّه بن روبة فصالحه على أن على كل حالم بها دينارًا في السنة، وقدم عليه أهل أذرح فسألوه الصلح على الجزية فقبلها، وكتب لهم كتابًا.

وفي هذه الغزاة نهى عن إخصاء الخيل، وغزوة تبوك آخر غزواته ﷺ، وفي انصرافه من هذه الغزاة همّ عدة من المنافقين باغتياله ﷺ ليلاً، وإلقائه في الشية، وهم المعروفون بأصحاب العقبة؛ فحال الله بينهم وبين ما أرادوا بنيه، وأظهره عليهم، وقد أتينا على شرح خبرهم، وأسمائهم في كتاب "الاستذكار" عند ذكرنا هذه الغزاة، وأمر رسول الله ﷺ بهدم مسجد الضرار، وإحراقه، وكان في بني سالم بن عوف من الأوس، وفيه أنزل الله عز وجل: ﴿الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وثفرقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله﴾

وتوفيت أم كلثوم: ابنة رسول الله ﷺ في شعبان، وفي ذي القعدة من هذه السنة كانت وفاة عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن الحنبل، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الحزرج بن حارثة، وأم أبيه سلول: امرأة من خزاعة بها تعرف، وكان أحد المنافقين، وقدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً، والتاج ينظم له ليملك، وسنّ رسول الله ﷺ في هذه السنة فرائض الصدقات، وأوجب في البغلات مما سُقي سبيحاً أو سقته الساء العُشر وما سُقي بالنواضح نصف العُشر على ما في ذلك من التنازع بين فقهاء الأمصار في السوق، والحصر، وغير ذلك.

ثم وجّه عليه السلام أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - في ذي الحجة ليحج بالناس، ونزلت عليه سورة براءة؛ فبعث بسبع آيات من صدرها مع علي بن أبي طالب، وأمره أن يقوم بها على الناس بمنى إذا اجتمعوا، وقال: «أذن في الناس أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان

ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته وأجل الناس أربعة أشهر من يوم تنادي ليرجع كل قوم إلى مآمنهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة» وحمل عليًا على ناقته العضباء على ما في هذا الخبر من التنازع والتأول بين فرق أهل الصلاة من أصحاب النص من الشيعة، وأصحاب الاختيار من المعتزلة، والخوارج، والمرجئة، وفقهاء الأمصار، وغيرهم من الحشوية، والناطقة؛ فحج المسلمون، وحج المشركون على منازلهم من الشرك، وقام علي بمني على ما أمره رسول الله ﷺ فلم تمضي سنة حتى دخلت العرب في الإسلام، وكانوا أكثر من مائة ألف، وتعابروا بالشرك بينهم والمقام عليه.

ثم سرية أسامة بن زيد إلى يثرب، وأزْدود من أرض فلسطين من بلاده الشام، ثم سرية خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول إلى بني عبد المذان من بني الحارث بن كعب من ولد عَرِيب بن زيد بن كهلان بنجران اليمن، وفي هذا الشهر توفي إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وكان من مولده إلى وفاته سنة وعشرة أشهر وعشرة أيام، وكسفت الشمس يومئذ فقال قوم: إنما كُسفت لموته؛ فصلى رسول الله ﷺ صلاة الكسوف، ثم قال: أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله - عز وجل - لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك؛ فافزعوا إلى الله.

ثم سرية علي بن أبي طالب - عليه السلام - في شهر رمضان إلى اليمن وكتب معه رسول الله ﷺ كتابًا يدعوهم إلى الإسلام؛ فجمعوا له؛ فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام؛ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، واسم همدان: أَوْسَلَة ابن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم تابعت اليمن على الإسلام وقدمت على رسول الله ﷺ وفودهم؛ فكتب لهم كتابًا بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم، وأرضهم، ووجه إليهم عماله؛ لتعريفهم شرائع الإسلام، وقبض

صدقاتهم، وجزية من أقام على دين النصرانية، والمجوسية، واليهودية منهم، وقُدِّم على رسول الله ﷺ بهال البحرين: وهو ثمانون ألف درهم، وجَّه به العلاء بن عبد الله بن ضماد الحضرمي، وكان حليفًا لبني أمية، وهو أول مال حُمِّل إلى المدينة؛ ففرقه على الناس، وقدمت وفود العرب عليه من كل وجه من معد، واليمن وكانت تتربص بإسلامها فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، ودانت له قریش انقادت له العرب إلى الإسلام.

وقدم وفد بني حنيفة بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل من اليمامة فيمن قدم من الوفود فيهم مُسيامة الكذاب بن ثُمَامَة بن كثير بن حبيب بن الحارث ابن عبد الحارث بن عدي بن حنيفة، ويكنى أبا ثُمَامَة وبنو حنيفة يسترونه بالثياب فلما رجعوا أظهر مُسيامة أمره بادعائه النبوة، وصار إليه في هذه السنة السيّد والعاقب وافدا أهل نجران يسألانه الصلح؛ فصالحهما عن أهل نجران على ألفي حُلَّة في السنة وغير ذلك.

ثم خرج رسول الله ﷺ حاجًا لخمسة بقين من ذي القعدة، وقد ساق معه الهدي ستين بدنة، وقيل: أكثر من ذلك وأقل فلما صار بالموضع المعروف بِسَرَف أمر الناس أن يُحْمَلُوا بعمره إلا من ساق الهدي ودخل مكة، وقدم علي بن أبي طالب من نجران اليمن مُهلًا بالحج؛ فقال له النبي ﷺ: «بأي شيء أهملت؟» قال: قلت حين أحرمتُ اللهم إني أهل بما أهل به عبدك، ورسولك.

فقال له: «هل معك من هدي؟» قال: لا؛ فأشركه رسول الله ﷺ في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما، وحج بالناس، وأراهم مناسكهم، وعرفهم سنن حجهم، وأعلمهم أن دماءهم، وأموالهم عليهم حرام، وأن كل دم موضوع فسميت حجت الوداع؛ لأنه ودعهم ولم يحج بعدها، وتُسمى أيضًا حجة البلاغ؛ لأنه حين ودعهم خطبهم فقال في خطبته: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق

الله السموات والأرض» وهذا القول بين ماضي الزمان ومستقبله مثبتاً لبطلان النسيء على ما قدمنا مفصلاً فيما سلف من كتابنا هذا، ثم قال: «اللهم هل بلغت؟» فقالوا: نعم، فقال: «اللهم اشهد».

وأحجَّ رسولُ الله ﷺ نساءه كلهن معه، وابنته فاطمة، وقيل: إنه أفرد الحج، وقيل: أقرن، وقيل: تمتع، وقيل: إنه كسا البيت في حجته الحبرات.

ذكر السنة الحادية عشرة من الهجرة

وهي سنة الوفاة

فيها كان توجيه رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعَبَاد ابني الجُلَنْدِي بن مسعود الأزديين صاحبي عمان يدعوهما إلى الإسلام؛ فأسلما.

وفي هذه السنة قوي أمر الأسود العنسي الكذاب المتبني باليمن، وهو عَبْهَلَة بن كعب بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن سعد بن عنس بن مَدْحِج، وهو مالك بن أَدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان بدء أمره بالموضع المعروف بكهف خُبَّان، وكان يدعى ذا الحمار: الحمار كان معه قد راضه وعلمه يقول له: اسجد فيسجد، ويقول له: اجثُ فيجثو، وغير ذلك من أمور كان يدعيها ومخاريق كان يأتي بها يجتذب بها قلوب متبعيه، وقتل باذام رئيس الأبناء الذين شخصوا مع وهرز إلى اليمن، وكانوا أسلموا وتزوج امرأته فوثب عليه فيروز بن الديلمي من الأبناء، وعاضده في ذلك داذويه، وقيس بن مكشوح المرادي، وكان النبي ﷺ كاتبهم فقتلوه فأخبر النبي ﷺ أصحابه بقتله، وقيل: إن رأسه نُحِل إلى المدينة، وقد قُبِض رسول الله ﷺ وتوزع هل كان مقتله في حياته أم بعد وفاته؟

ثم وثب قيس بن مكشوح المرادي على داذويه فقتله متقرباً بذلك إلى قوم ذي الحمار من عنس وقال في ذلك:

قد علم الأحياء من مدحج ما قتل الأسود إلا أنا
طلبتُ نأراً كان لي عنده بقتله الأسود مُسْتَمَكنا

في كلمة له طويلة أولها:

ألم بسلَمي قَبْل أن تظعننا إن بنا من حُبها دِيننا

ثم ندب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد في صفر إلى بلاد البلقاء، وأذرعَات،

ومؤتة من أرض دمشق من الشام نائراً بأبيه ولأمامة يومئذ ثمانى عشرة سنة، وكان في بعثة عمر بن الخطاب، والزبير، وأبي عبيدة بن الجراح، وتنوزع في أبي بكر أكان في هذا البعث أم لا؟ فأقاموا يتجهزون إلى أن توفي رسول الله ﷺ، وكان يقول في علته: «جهزوا جيش أسامة».

قال المسعودي: وكانت غزوات رسول الله ﷺ التي غزاها بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، ومن الناس من يذهب إلى أنها ثمان وعشرون؛ فالذين ذهبوا إلى أنها سبع وعشرون؛ جعلوا منصرف النبي ﷺ من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة.

والذين رَوَوْا أنها ثمان وعشرون؛ جعلوا غزاة خيبر مفردة، ووادي القرى غزوة أخرى قاتل منها في تسع أولها بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف هذا قول محمد بن إسحاق في آخرين.

ووافق الواقدي ابن إسحاق في أن النبي ﷺ قاتل في هذه التسع غزوات وذكر أنه قاتل في غزاة وادي القرى، وفي يوم الغابة فقتاله في التسع اتفاق، وزاد الواقدي ما ذكرنا، وأنها حكينا تنازع هذين؛ لأنها قدوة في حملة المغازي والسير، وإليهما يرجع في ذلك، وكانت سراياه وسواربه ويعوثه على ما رتبنا في هذا الكتاب ثلاثاً وسبعين وتنازع مصنفو الكتب في التواريخ والسير في ذلك وذهب قوم منهم إلى أن سراياه وسواربه ست وستون، وقال آخرون: نيف وخمسون، وقال محمد بن إسحاق في عدة من أصحاب السير والمغازي: بل ذلك خمس وثلاثون، وقال محمد بن عمر الواقدي في آخرين من أصحاب المغازي والسير: إنها كانت السرايا والسوارب ثمانى وأربعين.

قال المسعودي: وأرى أن السبب الذي أوجب هذا التنازع المتفاوت في أعداد هذه السرايا أن منهم من يعتد بسرايا لا يعتد بها آخرون؛ وذلك أنه كانت

سرايا في جملة مغاز فأفرد بها بعضهم واعتد بها، وبعض جعلها في جملة تلك المغازي؛ لأن رسول الله ﷺ قد وجه في كثير من غزواته سرايا إلى ما يلي البلاد التي حلَّها بعد هزيمة المشركين بخيبر في الطلب على ما قدمنا، ووجه بعد فتح مكة سرايا لهدم الأصنام التي حول مكة فوقع التنازع لأجل ذلك فجمعنا في كتابنا هذا جميع ذلك، ولم نأل جهداً في حصره، وترتيبه، ولم نخله من ذكر خلاف أصحاب السير في ذلك؛ ليكون أعم لفائدته، وأجزل لعائدته على آتائنا نجد أحداً حصل ذلك تحصيلنا، ولا رتبة ترتينا فمن أراد علم ذلك فليتصفح كتب من عني بهذه الشأن من الأسلاف والأخلاف؛ يقف على حقيقة ما قلنا وفضيلة ما أتينا؛ ففهم ذلك بعد الكفاية يسير، ومطلبه قبل الكفاية عسير.

وقد ذكرنا ذلك على الشرح والإيضاح، وما فيه من التنازع في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" وفي كتاب "الاستذكار لما جرى في سواف الأعصار" الذي كتابنا هذا تالٍ له ومبني عليه، وإننا حذفنا من كتابنا هذا الأسانيد ليخفف تحمله، ويقرب متناوله.

قال المسعودي: وقد ذكر عدة من ذوي المعرفة بسياسة الحروب، وتدبير العساكر والجيوش، ومقاديرها، وسماتها أن السرايا ما بين الثلاث نفر إلى الخمسمائة، وهي التي تخرج بالليل، فأما التي تخرج بالنهار فتسمى السوارب، وذلك قوله عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ وما زاد على الخمسمائة إلى دون الثمانمائة فهي المناسر، وما بلغ الثمانمائة فهو جيش، وهو أقل الجيوش، وما زاد على الثمانمائة إلى دون الألف فهو الخشخاش، وما بلغ الألف فهو الجيش الآن لم يبلغ، وما بلغ الأربعة آلاف فهو الجيش المحففل، وما بلغ اثني عشر ألفاً فهو الجيش الجرار وإذا افترقت السرايا والسوارب بعد خروجها فما كان دون الأربعين فهي الجرائد، وما كان من الأربعين إلى دون الثلاثمائة فهي المقانب، وما كان من الثلاثمائة إلى دون الخمسمائة فهي الجمرات، وكانوا

يسمون الأربعين رجلاً إذا وجهوا العصبة، ويقولون: خير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يؤتى اثنا عشر ألفاً من قلة، وقد رأى قوم أن المقنب مثل المنسر، وأن كل واحد منهما ما بين الثلاثين رجلاً إلى الأربعين، واستشهدوا على تقاربهما بقول الشاعر:

وإذا تواكلت المقانب لم يزل بالثغر منا منسر وعظيم

وأن الكتيبة: ما جمع فلم ينتشر، وأن الحضيرة: النفر الذين يغزى بهم العشرة فمن دونهم، والنفيضة: جماعة يغزى بهم ليسوا الجيش، وأن الأرعن: الجيش الكثير الذي له مثل رعن الجبل، والخميس: الجيش العظيم، والجرار: الذي لا يسير إلا زحفاً لكثرتة، والجرار أكثر ما يكون من الجيوش العظمى. ويقول الناس فيما ذكرنا كلاماً كثيراً، وقد ذكرنا من ذلك أفضل ما قيل فيه وأوجزه.

وتنوزع في أي يوم من شهر ربيع الأول كانت وفاته -عليه السلام- بعد إجماعهم على أن وفاته يوم الاثنين في شهر ربيع الأول فقال الأكثرون: كانت وفاته لاثني عشرة ليلة خلت من هذا الشهر.

وقال آخرون: بل ذلك لليلتين خلتا منه، وقال آخرون: لتسع خلون منه، وكان ذلك اليوم السادس عشر من شهره أسفندارماه من شهور الفرس سنة ١٣٨٠ لبيختنصر، وهو اليوم الثالث من حَزيران سنة ٩٤٣ للإسكندر بن فيلبس الملك، وسنة ١٠٠ من مُلك كسرى أنوشروان بن قباد، وكانت شكاته أربعة عشر يوماً، وقيل دون ذلك، وكان الذين تولوا غسله ﷺ عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وابنيه الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

وتنوزع فيما كُفّن به رسول الله ﷺ فروى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن

علي عن أبيه علي بن الحسين قال: لما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحَارِيِّين، وقيل: سَحُولِيِّين، وبرد حبرة أدرج فيها إدرجًا.

قال المسعودي: والثياب الصُّحَارِيَّة مضافة إلى صحار، وهي قصبة عمان، والسَّحُولِيَّة: ثياب بيض من قطن تعمل بموضع من اليمن يعرف بسحولا، وإلى هذه الرواية يذهب أهل البيت وشيعتهم، وبذلك كُفِّنَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - غير أنه عُمِمَ بعمامة؛ لأجل الضربة فصارت عندهم سُنَّة ماثورة معمولًا بها، وليس تعد العمامة والمتر من الكفن المفروض، والكفن المفروض عندهم ثوب واحد إذا لم يوجد غيره، وثلاثة، وخمسة لمن وجد سعة.

وروى بعضهم ما زاد على خمسة فيدعه يشق أحد هذه الأثواب في وسطه ويقمص به من غير خياطة فيسمى القميص لذلك، وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، وعنهما في رواية أخرى أنه ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة.

وحكي عن إبراهيم قال: كُفِّنَ النبي ﷺ في حُلَّة يمانية وقميص، ثم صلى عليه الناس أفواجًا بغير إمام، ودُفِنَ من الغد يوم الثلاثاء في حُجْرَة عائشة، وقيل: ليلة الأربعاء، وقيل: إنه دفن بعد وفاته بثلاثة أيام، وكان الذين نزلوا قبره علي بن أبي طالب، والفضل، وقثم ابنا العباس. وشقران ممن سمينا.

كتب من حضر من الكتاب، وكان خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكتب بين يديه في سائر ما يعرض من أموره، والمغيرة بن سُعْبَة الثقفي، والحُصَيْن بن نُمَيْر يكتبان أيضًا فيما يعرض من حوائجه، وعبد الله بن الأرقم ابن عبد يغوث الزهري، والعلاء بن عقبة يكتبان بين الناس المدائبات، وسائر العقود، والمعاملات، والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت

يكتبان أموال الصدقات، وحذيفة بن اليمان يكتب خمر ص الحجاز، ومعقيب بن أبي فاطمة الدوسي دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وكان حليفاً لبني أسد يكتب مغانم رسول الله ﷺ، وكان عليها من قبله، وزيد ابن ثابت الأنصاري ثم الحزرجي من بني غنم بن مالك بن النجار يكتب إلى الملوك ويحيب بحضرة النبي ﷺ، وكان يترجم للنبي ﷺ بالفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية تعلم ذلك بالمدينة من أهل الألسن.

وكان حنظلة بن الربيع بن صيفي الأسدي التميمي يكتب بين يديه ﷺ في هذه الأمور إذا غاب من سميناً من سائر الكتاب ينوب عنهم في سائر ما ينفرد به كل واحد منهم، وكان يُدعى حنظلة الكاتب، وكانت وفاته في خلافة عمر بن الخطاب بعد أن فتح الله على المسلمين البلاد، وتفرقوا فيها فصار إلى الرهاء من بلاد ديار مصر فمات هناك فرثته امرأة من قومه فقالت:

يسا عَجَبَ الدهر لمحزونة	ن بكى على ذي شية شاحب
إن تسألني الدهر ما شفى	أخبرك قبيلاً ليس بالكاذب
إن سواد السراش أودى به	حزني على حنظلة الكاتب

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي بن غالب، ثم لحق بالمشركين بمكة مرتداً، وكتب له شرحبيل بن حسنة الطابخي من خندف حليف قريش، ويقال: بل هو كندي وكان أبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي ربما كتباً بين يديه، وكتب له معاوية قبل وفاته بأشهر.

وإنما ذكرنا من أساء كتابه ﷺ من ثبت على كتابته واتصلت به أيامه فيها، وطالت مدته، وصححت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب، والكتابين، والثلاثة إذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً، ويضاف إلى جملة كتّابه.

ذكر خلافة أبي بكر الصديق

- رضي الله عنه -

وبويع أبو بكر - عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤي يلتقي مع النبي ﷺ عند مرة بن كعب، وهما في القعدود واحد بين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله، ولقبه عتيق قيل: لجماله، وقيل: لعتقه من النار، ويقال: إن ذلك كان اسمه في الجاهلية، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة - في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الحزرج في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ، وهو يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١١ من الهجرة.

وقد كانت الأنصار نصبت للبيعة سعد بن عباد بن ذكليم الأنصاري، ثم الحزرجي فكانت بينه وبين من حضر من المهاجرين في السقيفة منازعة طويلة، وخطوب عظيمة، وعلي والعباس وغيرهم من المهاجرين مشتملون بتجهيز النبي ﷺ، ودفنه، وكان ذلك أول خلاف حدث في الإسلام بعد مضي النبي ﷺ، وارتد أكثر العرب بعد، وفاة رسول الله ﷺ فمن كافر ومانع للزكاة، والصدقة، وكان أعظمهم شوكة، وأخوفهم أمراً مسيلمة الكذاب الحنفي باليامة، وطلحة بن خويلد الأسدي، ثم الفقعي في أسد بن خزيمة، وقد عاضده عيينة بن حصن الفزاري في غطفان فوجه أبو بكر إليهم، وإلى جميع من ارتد من ضاحية مضر خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي؛ فلحق طليحة فهزمه، وفض جموعه، وأسر عيينة، وذلك في سنة ١١ وسار إلى البطاح وأثنى في أرض تميم، وقتل مالك بن نويرة اليربوعي، وسار إلى اليامة فقاتل بني حنيفة قتالاً شديداً على أن قتل مسيلمة وصالحه بقيتهم وذلك في سنة ١٢.

واستشهد باليامة من المسلمين ألف ومائتا رجل منهم من قریش ثلاثة وعشرون رجلاً فيهم زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما - ومن الأنصار سبعون، وقيل: دون ذلك.

ولم يزل خالد يطأ فرقة فرقة ممن ارتد حتى رجعوا عن ردتهم، وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية اليربوعية - يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - قد تنبت وتبعها نفر كثير منهم الزبرقان بن بدر، وعطارد بن حاجب بن زرارة، وشيث بن ربعي، وكان مؤذنها، وعمرو بن الأهتم التميميون، وسارت إلى مسيلمة إلى اليامة فتزوجها، وأقامت عنده ثلاثاً، وفي ذلك يقول الطرماح بن حكيم الطائي

لعمري لقد سارت سجاح بقومها	فلما أتت عز اليامة حلت
قدارسها البكري حتى استزلها	فأضحت عروساً فيهم قد تجلت
قتلك نبي الحنظليين أصبحت	مضمخة في خدرها قد تظلت

وقال عطارد بن حاجب بن زرارة:

أمت نيتنا أنى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

ويريد بالأنبياء الأسود العنسي، وطلحة بن خويلد، ومسيلمة.

وجهاز أبو بكر الجيوش لغزو الروم بالشام وأمر الأمراء وهم: يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وكتب إلى خالد بن الوليد، وكان سار إلى ناحية العراق في الانضمام إليهم فसार معهم؛ فافتحوا من الشام بصرى، وحوران، والبثينة، والبلقاء من أعمال دمشق، ولقيتهم الروم بأجنادين، ثم بمرج الصفر؛ فهزموا وقتلوا قتلاً ذريعاً، وسار المسلمون إلى دمشق فتزلوا عليها، وتوفي أبو بكر وهم محاصروها.

وكانت وفاته بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣

للهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: أكثر من ذلك، ودفن مع النبي ﷺ في حُجْرَة عائشة.

وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وقيل: وعشرين يومًا، وكان طرأًا، آدم، نحيفًا، خفيف العارضين، غائر العينين، مشرف الجبهة، ناتئ الوجنتين، يغير شيبه بالحناء والكتم.

وكان كُتَّابه عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم، ونقش خاتمه: نعم القادر الله، وقاضيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وحاجبه شديد مولاه، وكان له من البنين ثلاثة: عبد الله المقدم ذكره في سنة ٨ في حصار النبي ﷺ الطائف، وقد انقرض ولده، وكان آخرهم إسماعيل بن عبد الله بن أبي بكر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وله صحبة والعدد في ولده: منهم الطلحيون بنو طلحة بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي بكر أكثرهم بادية منازلهم حاذة، والصفينة بقفا من الأيم من جادة العراق حذاء المسلح، وأفيعية، والغمرة لهم إلى هذا الوقت لهم عدد وقوة، محمد بن أبي بكر العقب له من القاسم بن محمد وكان أحد فقهاء المدينة، ومن خيار التابعين، وعقبه قليل من ولده محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد؛ ومن البنات ثلاث: منهن عائشة زوجة النبي ﷺ، وأسماء أم عبد الله بن الزبير، ولم يلِ الخلافة منذ عهد النبي ﷺ إلى وقتنا هذا أحد أبوه حي إلا أبو بكر.

وكان أبوه أبو قحافة في الوقت الذي توفي فيه أبو بكر مقيمًا بمكة فلما نُعي إليه قال رزء جليل، وورثه السدس، وتوفي بعده بسبعة أشهر، وقيل: بستة مكفوفًا، وله سبع وتسعون سنة، وكان إسلامه يوم فتح مكة، وكانت وفاته ووفاء هداينة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان في يوم واحد.

وتوفيت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ١١، وقيل: إنها توفيت بعد وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر، وقيل: بستة، وقيل: بسبعين يوماً، وغير ذلك من الأقاويل، ثم تنوزع في سننها:

فقال فريق منهم: توفيت ولها ثلاث وثلاثون سنة، وقال آخرون: بل ثلاثون، وقال آخرون: بل تسع وعشرون سنة، وهذا قول أكثر أهل البيت وشيعتهم، وقيل: دون ذلك، وتولى غسلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ودفنها ليلاً بالبقيع وقيل: غيره، ولم يؤذن بها أبو بكر، وكانت مهاجرة له منذ طالبت به بإرثها من أبيها ﷺ من فذلك، وغيرها، وما كان بينهما من النزاع في ذلك إلى أن ماتت، ولم يبايع علي - عليه السلام - أبو بكر - رضي الله عنه - إلى أن توفيت، وتنوزع في كيفية بيعته إياه، وقد أتينا على ما قيل في ذلك في كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار".

ذكر خلافة عمر بن الخطاب

-رضي الله عنه-

وبويع عمر بن الخطاب -بن نُفَيْل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط ابن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، ويكنى أبا حفص، وأمه حنثمة ابنة هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم- في الوقت الذي كانت فيه وفاة أبي بكر ففتح الله على يديه أكثر البلاد فجند الأجناد، ومصر الأمصار، ودون الدواوين، وفرض العطاء، وكتب التاريخ، وسنَّ صلاة التراويح في شهر رمضان، وقُتل بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ٢٣، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل: أقل من ذلك، والأول أشهر، قتله أبو لؤلؤة الفارسي عبد المغيرة بن شعبة، ودفن مع النبي ﷺ، وأبي بكر في حُجْرة عائشة.

وقد تنوزع في كيفية قبورهم، وصفاتها:

فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما توفي أبو بكر دفن إلى جانب رسول الله ﷺ رأسه بين كتفي رسول الله، ثم توفي عمر فدفن إلى جانب أبي بكر رأسه بين كتفي أبي بكر.

وذكر القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: دخلت على عائشة فقلت: يا أُمُّهُ اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ، وصاحبيه؛ فكشفت لي عن قبور ثلاثة ليست بالمشرفة، ولا هي باللاطئة بالأرض مسطوحة ببطحاء العرصة الحمراء قال فرأيت قبر النبي ﷺ مقدماً، ورأيت أبا بكر رأسه عند رجلي النبي ﷺ من خلفه، ورأيت عمر رأسه عند رجلي أبي بكر.

وذكر أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه -رضي الله عنهما- قال رُفِعَت القبور من الأرض قدر شبر مربعة مدكته.

وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر، وثمانية عشر يومًا، وكان آدم، مشرفًا، على الناس من طوله كأنه راكب، أعسر يسرًا؛ كثر اللحية، وكان كاتبه زيد بن ثابت، وعبد الله بن الأرقم، ونقش خاتمه: كفى بالموت واعظًا يا عمر، وقيل: آمنت بالذي خلقتني، وحاجبه يرفى مولاه، وقاضيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة، وهو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وقيل: إن أول من قضى لعمر بالعراق سلمان بن ربيعة الباهلي، وقيل: إنه قضى بالمدينة في أيامه، وبعد ذلك السائب بن يزيد ابن أخت النمر الكندي.

وكان لعمر من البنين تسعة: عبد الله، وعبد الرحمن الأكبر، وزيد الأكبر، وعبيد الله المقتول بصفين، وعاصم، وزيد الأصغر، وعبد الرحمن الأصغر، وعياض، وعبد الله الأصغر، والمعقبون منهم أربعة: عبد الله الأكبر، وعاصم، وعبيد الله، وعبد الرحمن الأصغر، ومن البنات أربع: منهن حفصة زوجة النبي ﷺ.

وكان عمر شاور الناس في التأريخ؛ لأمر حدثت في أيامه لم يعرف لها وقت تؤرخ به فكثر منهم القول وطال الخطب في تواريخ الأعاجم وغيرها؛ فأشار عليه علي ابن أبي طالب أن يؤرخ بهجرة النبي ﷺ وتركه أرض الشرك فجعلوا التأريخ من المحرم، وذلك قبل مقدم النبي ﷺ إلى المدينة بشهرين واثني عشر يومًا؛ لأنهم أحبوا أن يتدثروا بالتأريخ من أول السنة، وكان ذلك في سنة ١٧ أو ١٨ يتنازع الناس في ذلك.

قال المسعودي: وقد روى الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب أن رسول الله ﷺ لما قدم

المدينة مهاجرًا أمر بالتاريخ، وهذا خبر مجتنب من حيث الأحاد، ومرسل عند من لا يرى قبول المراسيل، وما حكيناه أولاً هو المتفق عليه إذ كان ليس في هذا الخبر وقت معلوم أرخ به ولا نقل كيفية ذلك.

وجعل عمر الأمر بعده شورى في ستة نفر علي، وعثمان، وطلحة وكان غائبًا، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وجعل معهم ابنه عبد الله بن عمر مشيرًا، ومؤمرًا، وحاكمًا، وليس له من الأمر شيء، وأمهلهم ثلاثة أيام، وأمر أن يصلي بالناس فيها أبو يحيى صهيب الرومي مولى عبد الله بن جدعان التيمي، وكان يقول: إنه من النمر بن قاسط، وإنه صهيب بن سنان، ووكل بهم أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري ثم الخزرجي من بني عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وهو زوج أم سليم أم أنس بن مالك في خمسين رجلًا من الأنصار، وأمره باستحاثهم وأن لا تمضي الثلاثة أيام ألا وقد أبرموا أمرهم وأجمعوا على رجل منهم.

وقال: إن اجتمع خمسة وخالف واحد فاقتلوه، وكذلك إن خالف اثنان واجتمع أربعة نفر فإن افرقوا فرقتين؛ فكونوا في الفرقة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، وإن أبت الفرقة الأخرى الدخول فيما اجتمع عليه المسلمون فاقتلوه؛ فعرض عليهم عبد الرحمن أن يُخرج أحدهم نفسه ويختار من الباقيين واحدًا فأحجموا عن ذلك، فأخرج نفسه من الأمر على أن يختار أحدهم فمكثوا ثلاثة أيام يتراضون، ثم بايع عبد الرحمن لعثمان وكان صهره واستوثق الأمر بعد خطب طويل، ومنازعة كانت بينهم وفي ذلك يقول الفرزدق:

صلى صهيب ثلاثًا ثم أرسلها إلى ابن عفان ملكًا غير مقسور

ذكر خلافة عثمان بن عفان

وبويع عثمان بن عفان - بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الله وأبا عمرو، وأمه أروى ابنة كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف - يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٢٤، وقُتل بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٣٥، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل: ثمان وثمانين، وذهب قوم من أهل السير والآثار؛ إلا أن قتله كان يوم الأضحى، واستشهدوا على ذلك بقول الفرزدق:

عثمان إذ قتلوه وانتهكوا دمه صبيحة ليلة النحر

ويقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي، وكان عثمانياً:

تعاقذ الـذابحوا عثمان ضاحية
فأي ذبـح حرام ويجهـم ذبحوا
ضاحوا بعـثمان في الـشهر الحرام ولم
يخشوا على مطـح الكفر الـذي طمـحوا

ويقول حسان بن ثابت الأنصاري:

ضحوا بأشبط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

ودفن بموضع من المدينة يعرف بحُش كوكب: بضم الحاء يضاف إلى رجل من الأنصار يعرف بكوكب، والحُش: هو البستان؛ فكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً، واثنين وعشرين يوماً، وكان مربوعاً حسن الوجه أسمر، وافر اللحية يصفرها، مشدود الأسنان بالذهب، وكان كاتبه مروان بن الحكم، وحاجبه حُمران مولاه، وقاضيه زيد بن ثابت الأنصاري، وقد كتب له وقيل: إنه قضى بالمدينة في أيام عمر السائب بن يزيد ابن أخت النمر الكندي، وقيل: إنه كان على شرطه، والأول أثبت.

قال المسعودي: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف وكيع، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الجعيد، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا مسعر عن محارب بن دثار قال: لما أستخلف أبو بكر قال له عمر بن الخطاب: أنا أكفيك القضاء؛ فمكث عمر سنة لا يختلف إليه أحد، قال وكيع: فأما أيام عمر فإن الصغاني حدثني عن عفان عن عبد الواحد بن زياد عن حجاج عن نافع أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء، وفرض له أجراً، وقال يونس عن الزهري: ما اتخذ رسول الله ﷺ قاضياً، ولا أبو بكر، ولا عمر، وقال محمد بن يحيى أبو غسان: لم أسمع أحداً من أهل العلم يذكر أن عثمان استقضى أحداً حتى مات.

وكان نقش خاتمه: آمنت بالله مخلصاً، وقيل: آمنت بالله العظيم، وقيل: لتصبرن أو لتندمن، ولم يزل خاتم النبي ﷺ باقياً إلى أيامه فسقط من يده؛ فنقش له على هيئته فكان خاتم الخلافة متداولاً، ولكل واحد ممن طرأ بعده خاتم مفرد ينقش عليه ما أحب على ما نحن ذاكروه إلى خلافة المطيع قياً يرد من هذا الكتاب، وقد روى عبيد الله ابن عمر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من ورق فكان في يده، ويد أبي بكر، ويد عمر، ويد عثمان حتى وقع في بئر أريس.

وكان له من البنين تسعة: عبد الله الأكبر توفي وله من العمر ست سنين أمه رقية بنت رسول الله ﷺ على ما قدمنا، وعبد الله الأصغر، وعمرو، وعمر، وخالد، وأبان، والوليد، وسعيد، وعبد الملك المعقبون منهم خمسة: عمرو، وكان أكبر، ولده، والذين أعقبوا من ولده محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان الملقب بالديباج؛ لحسنه، أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وعمر، وأبان، والوليد، وسعيد، ومن البنات ثمان.

وفي السنة التاسعة من خلافته وهي سنة ٣٢ توفي العباس بن عبد المطلب، وله ثمان وثمانون سنة، وكان مولده قبل عام الفيل بثلاث سنين وفيها مات عبد

الرحمن بن عوف بن الزهري، وهو ابن خمس ومبعين سنة، وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وله بضع وستون سنة، وفي سنة ٣١ كانت وفاة أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وقد استوفى سن العباس ثمانين سنة.

ذكر خلافة علي بن أبي طالب

وبويع علي بن أبي طالب - بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، وأمه فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف - في اليوم الذي قُتل فيه عثمان.

قال المسعودي: وكان بين بيعته إلى وقعة الجمل بالبصرة خمسة أشهر، وأحد وعشرون يوماً، وقُتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفاً ومن الأزد أربعة آلاف، وقيل: دون ذلك، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس، وقُتل من أصحاب علي - رضي الله عنه - نحو ألف وقيل: دون ذلك أو أكثر، وكانت الوقعة يوم الخميس لعشر ليالٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦، وبين وقعة الجمل والتقاءه مع معاوية للقتال بصفين سبعة أشهر، وثلاثة عشر يوماً، وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين يوم الأربعاء غرة صفر سنة ٣٧.

وتنوزع في عدة من كان مع علي - عليه السلام - فمكثر ومقلل، والمتفق عليه من تنازعهم أنه كان في تسعين ألفاً، وكان معاوية في مائة ألف وعشرين ألفاً وقيل: دون ذلك، وأكثر منه وقُتل بصفين سبعون ألفاً من أصحاب علي - رضي الله عنه - منهم خمسة وعشرون ألفاً منهم خمسة وعشرون بدرية من الصحابة.

منهم: عمار بن ياسر العنسي؛ عنس بن مالك بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان حليفاً لبني مخزوم وقُتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً وقيل: في عدة من قُتل بينهما دون ذلك وأكثر.

وكان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، والوقائع بينهم تسعون وقعة، وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين - أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص

بدومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٨ - سنة وخمسة أشهر وأربعة وعشرون يومًا، وبين التقائهما وخروج علي إلى الخوارج بالنهروان وقتله إياهم سنة وشهران، وكانت الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب الراسبي؛ راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر بن الأزد، وليس براسب بن الخزرج بن جُدَّة بن جَرْم بن ربان - بالراء - بن حُلوان بن عِمْران بن إلخاف بن قضاة، ولا راسب في العرب من معدٍّ وقحطان غير هذين ففرقوا عند نزول علي - رضي الله عنه - بإزائهم، ودعائه إياهم، وبقي عبد الله بن وهب في ألف وثمانمائة وقيل: ألف وخمسمائة وقيل: ألف ومائتين؛ فقتلوا إلا نفرًا قليلًا.

وقيل: إن السبب في تفرق من تفرق عنه أن الخوارج تنادوا عند إحاطة أصحاب علي - عليه السلام - بهم وإسراعهم فيهم: يا إخواننا أسرعوا بنا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب: فلعلها إلى النار فقال: من فارقه مُرائيًا نقاتل مع رجل شاك ففارقوه، وبين خروجه إلى الخوارج وقتل عبد الرحمن بن مُلْجَم اليحسبي، وعداده في مراد إياه سنة وخمسة أشهر، وخمسة أيام، وكثير من الخوارج لا يتولى ابن مُلْجَم لقتله إياه غيلة، وبين ذلك وبين أول الهجرة تسع وثلاثون سنة، وثمانية أشهر وعشرون يومًا، واستشهد بالكوفة في أول العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ٤٠.

وتنوزع في مقدار عمره فذهب قوم إلى أنه استشهد، وله ثمان وستون سنة هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم، وله خمس عشرة سنة، وقال آخرون: استشهد وله ست وستون سنة هذا قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنة، وقال آخرون: استشهد وله ثلاث وستون سنة، هذا قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين.

وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب عند ذكرنا مبعث النبي ﷺ، وهجرته، التنازع في أول من أسلم وقول من قال: إنه أسلم وله دون ذلك إلى خمس سنين،

وهؤلاء يذهبون إلى أنه استشهد وله ثمان وخمسون سنة، وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره، وبيناً أغراضهم في ذلك وقصدهم لإزالة فضائله، ودفع مناقبه.

وتنوزع في موضع قبره فمنهم: من قال: دفن بالعري؛ وهو الموضع المشهور في هذا الوقت على أميال من الكوفة.

ومنهم من قال: دفن في مسجد الكوفة، ومنهم من قال: بل في رجة القصر بها، ومنهم من قال: بل نُحِّل إلى المدينة؛ فدفن بها مع فاطمة، وغير ذلك من الأقاويل مما قد أتينا على ذكره.

وقد ذكرنا مقاتل آل أبي طالب، وأنسابهم، ومواضع قبورهم، ومصارعهم في كتابنا في "أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية، والممالك الدائرة" وفي "رسالة البيان في أسماء الأئمة" وما قالته الإمامية في ذلك ومقادير أعمارهم، وكيفية إعدادهم.

وكانت خلافته: أربع سنين، وتسعة أشهر، وثمانية أيام، وكان أسمر، عظيم البطن، أصلع أبيض الرأس واللحية، أدعج، عظيم العينين، ليس بالطويل ولا بالقصير، تملأ لحيته صدره، لا يغير شبيهه، وكان كاتبه عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، ونقش خاتمه: الملك لله، وقاضيه شريح، وحاجبه: قنبر مولاه.

وكان له من البنين أحد عشر الحس والحسين: أمهما فاطمة بنت رسول الله

ﷺ.

ومحمد بن الحنفية: وأمه خولة بنت ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة بن لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل.

وعمر: وأمه أم حبيب الصهباء بنت ربيعة بن بحيرة بن العبد بن علقمة بن

الحارث بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائل.

والعباس: وأمه أم البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد، وهو عامر بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن.

وعبد الله، وجعفر، وعثمان، ومحمد الأصغر، ويكنى أبا بكر، وعبيد الله، ويحيى.

والمعقبون منهم خمسة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعمر، والعباس، ومن البنات ستة عشرة منهن: زينب، وأم كلثوم، وأمهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فالعقب للحسن بن علي بن أبي طالب من زيد والحسن، والعقب لزيد من الحسن بن زيد، والعقب للحسن بن الحسن من جعفر، وداود، وعبد الله، والحسن، ومحمد، وإبراهيم.

والعقب للحسين بن علي بن أبي طالب من علي الأصغر بن الحسين، والعقب لعلي بن الحسين من محمد، وعبد الله، وعمر، وزيد، والحسين بن علي، والعقب لمحمد ابن الحنفية من جعفر، وعلي، وعون، وإبراهيم، والعقب لجعفر بن محمد من عبد الله، ولعلي بن محمد من عون، ولعون بن محمد من محمد، ولإبراهيم بن محمد من محمد.

فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وهو أكبر ولده فقد ظن قوم أن له عقباً، ولم يعقب، والعقب لعمر بن علي بن أبي طالب من محمد بن عمر، والعقب لمحمد بن عمر من عمر، وعبد الله وعبيد الله وجعفر، والعقب للعباس بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - من عبيد الله بن العباس، والعقب لعبد الله من الحسن بن عبيد الله.

وكان العقب لأبي طالب بن عبد المطلب من ثلاثة: عقيل، وجعفر، وعلي؛ لأن طالباً الذي به كان يكنى لا عقب له، ويبن كل واحد من الأخوة عشر سنين أكبرهم طالب، ثم يليه عقيل، ثم يلي عقيلاً جعفر، يلي جعفرًا علي، وكان له من البنات اثنتان أم هانئ، وجُمَّانة.

قال المسعودي: فإذا قد بينّا، ولد أمير المؤمنين علي وعقبه فلنذكر ولد جعفر وعقيل، والمعقبين منهم، ولد جعفر بن أبي طالب عبد الله، وعون، ومحمد المقتول بصفين، التقى وعبيد الله بن عمر بن الخطاب؛ فقتل كل واحد منهما صاحبه، وإلى هذا ذهب نُسَاب آل أبي طالب، وإن كانت ربيعة تنكر ذلك، وتذكر أن بكر بن وائل قتل عبيد الله بن عمر، المعقب منهم عبد الله، وبه كان يكنى وقيل: بأبي الفضل، والأول أشهر، والعقب لعبد الله من علي، وإسحاق، ومعاوية، وإسماعيل، وولد عقيل بن أبي طالب يزيد وبه كان يكنى، ومحمدًا، وسعيدًا، وجعفر الأكبر، وأبا سعيد الأحول، ومسلم بن عقيل، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وجعفر الأصغر، وحزرة، وعيسى، وعثمان، وعليًا الأصغر المعقب منهم محمد، والعقب لمحمد من عبد الله بن محمد.

وما ذكرنا من أنساب آل أبي طالب فمن كتاب أنسابهم الذي حدثنا به طاهر ابن يحيى بن حسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه، وما أخذناه من ذوي المعرفة منهم بأنسابهم، وما ذكرنا من عقب أبي بكر، وعمر، وعثمان فمن كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار، وما حدثنا به أبو بكر عبد الله بن محمد المعري القاضي بمكة، وأبو الحسن أحمد بن سعيد الدمشقي الأموي، وأبو الحسين الطوسي، وحرمي وغيرهم بمدينة السلام، وما أخذناه عن ذوي الدراية منهم بأنسابهم.

ذكر خلافة الحسن بن علي

-عليه السلام-

وبويع الحسن بن علي بن أبي طالب - ويكنى أبا محمد، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد وفاة أبيه بيومين - وذلك لسبع بقين من شهر رمضان سنة ٤٠، ثم صالح معاوية في شهر ربيع الأول سنة ٤١ وقد رأى قوم أن ذلك كان في جمادى الآخرة أو الأولى من هذه السنة، والأول أشهر وأصح عندنا من مدة أيامه.

وكانت خلافته إلى أن صالحه ستة أشهر، وثلاثة أيام، وهو أول خليفة خلع نفسه وسلم الأمر إلى غيره، وتوفي بالمدينة مسموماً فيما ذكر في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، وله ست وأربعون سنة، ودفن ببيقاع الغرق مع أمه فاطمة - عليها السلام -.

وهناك إلى هذا الوقت رخامة مكتوب عليها الحمد لله مبيد الأمم، ومحبي الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد - رضوان الله عليهم أجمعين -.

وكان الحسن أحد المشبهين برسول الله ﷺ على ما ذكرنا من صفته، ومن أشبهه في كتاب الاستذكار، وكان كاتبه عبيد الله بن أبي رافع وقاضيه شريح، وحاجبه سالم مولاه وقيل: قنبر.

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان

وبويع معاوية بن أبي سفيان - صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الرحمن، وأمه هند ابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في شهر ربيع الأول سنة ٤١، وتوفي بدمشق في رجب سنة ٩٠ وله ثمانون سنة، ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة وقيل: بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء إلى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع، وفيها الشرطة، والحبوس، وبها كان ينزل من ولي الأمر بعده من بني أمية ممن سكن بدمشق، وأن الذي في مقبرة باب الصغير قبر معاوية بن يزيد بن معاوية، وكانت أيامه تسع عشرة سنة، وثلاثة أشهر، وأياماً، وكان طويلاً، مسمناً، أبيض، كبير العجيزة، قصير الهامة، جهم الوجه، جاحظ العينين، عريض الصدر، وافر اللحية، يخضب بالحناء، والكتم، وكان داهية ذامكر وذو رأي وحزم في أمر دنياه؛ إذا رأى الفرصة لم يبق يتوقف؛ وإذا خاف الأمر دارى عنه، وإذا خصم في مقال ناضل عنه وقطع الكلام على مناظره.

كتب له عبيد بن أوس الغساني، وسرجون بن منصور الرومي، وعبد الملك بن مروان فيما قيل، وعبد الرحمن بن دراج، وسليمان بن سعيد مولى خشين.

وكان نقش خاتمه لا قوة إلا بالله، وعلى قضائه فضالة بن عبيد الأنصاري، وحاجبه صفوان مولاة وقيل: يزيد مولاة، ومات عمرو بن العاص بن وائل السهمي بفسطاط مصر يوم الفطر سنة ٤٣، وهو وال لمعاوية عليها وله تسع وثمانون سنة وقيل: له تسعون سنة.

وإنما ذكرنا وفاته؛ لأن كثيراً ممن لا علم له يقول: إنه توفي بعد معاوية، وتوفي أكثر أزواج النبي ﷺ في أيامه منهم: أخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان في سنة ٤٤، وحفصة بنت عمر بن الخطاب في سنة ٤٥، وصفية بنت حيي بن أخطب في سنة ٥٠ وجويرة ابنة الحارث المصطلقية في سنة ٥٦، وعائشة ابنة أبي بكر في سنة ٥٨، وأم سلمة في سنة ٥٩.

ذكر أيام يزيد بن معاوية

وبويع يزيد بن معاوية - ويكنى أبا خالد، وأمه ميسون ابنة بحدل الكلبيّة من بني حارثة بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب - في رجب سنة ٩٠.

وامتنع من بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - وعبد الله بن الزبير حين أخذهما عامل المدينة بذلك، وخرجا إلى مكة فأقام ابن الزبير بها، وشخص الحسين يريد العراق حين تواترت عليه كتبهم، وترادفت رسلهم ببيعته، والسمع والطاعة له؛ فلما قرب من الكوفة وقد قدم إليها ابن عمه مسلم بن عقيل: خذله أهل العراق ولم يفوا له بما كاتبوه به، ووافقوه عليه، وانقضوا على مسلم، وأسلموه إلى عبيد الله بن زياد قتلته، وسير الجيوش إلى الحسين مع عمر بن سعد بن أبي وقاص؛ فقتل يوم الجمعة لعشر ليالٍ خلون من المحرم سنة ٦١ هـ.

وقيل: إن قتله كان يوم الاثنين، والأول أشهر وعليه الأكثر، ودفن بكر بلاء من أرض العراق وله سبع وخمسون سنة وقتل معه من ولد أبيه ستة وهم:

العباس، وجعفر، وعثمان، ومحمد الأصغر، وعبد الله، وأبو بكر.

ومن ولده ثلاثة: علي الأكبر، وعبد الله صبي، وأبو بكر بن الحسين بن علي ومن ولد الحسن بن عليّ عبد الله، والقاسم، ومن ولد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عون، ومحمد، ومن ولد عقيل بن أبي طالب خمسة: مسلم، وجعفر، وعبد الرحمن، وعبد الله بنو عقيل، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل.

وامتنع ابن الزبير من بيعة يزيد، وكان يسميه السكير الخمير، وأخرج عامله عن مكة، وكتب إلى أهل المدينة يتقصه، ويذكر فسوقه، ويدعوهم إلى معاضدته

على حربته، وإخراج عامله عنهم.

وأخرج أهل المدينة عامله، ومروان بن الحكم، وولده، وغيرهم من بني أمية، وسيروهم إلى الشام؛ فبعث إليهم يزيد مسلم بن عقبة المري في أربعة آلاف، ومعه زفر ابن الحارث الكلبي، وحبيش بن دُبْلَة القيني، والحصين بن نمير الكندي، وعبد الله بن مسعدة الفزاربي، وغيرهم من رؤساء الأجناد، وخرج يزيد مشيعاً لهم، وموصياً فقال لمسلم بن عقبة فيما وصاه به: إن حدث بك حدثٌ فالأمر إلى الحصين بن نمير، وإذا قدمت إلى المدينة فمن عاقبك عن دخولها أو نصب لك حرباً فالسيف السيف، ولا تبقي عليهم، وانتهبها عليهم ثلاثاً، وأجز على جراحهم، واقتل مدبرهم، وإن لم يعرضوا لك؛ فامض إلى مكة فقاتل ابن الزبير، فأرجو أن يظفرك الله به، أنشأ يزيد يقول والرايات تمر به وقد علا على نشز من الأرض، وأحاطت به الخيول:

أبلغ أبا بكر إذا الأمر اتبرى وانحطت الرايات من وادي القرى
أجمع سكران من القوم تسرى أم جمع يقظان نفى عنه الكرى؟!

وكان ابن الزبير يكنى أبا بكر، وأبا خبيب، وصار مسلم إلى المدينة وقد احتفر أهلها خندق رسول الله ﷺ الذي كان حفره يوم الأحزاب، وشكوا المدينة بالحيطان وقال شاعرهم مخاطباً ليزيد:

إن بالخندق المكلل بالمجد لضرباً ييدي عن النشوات
لست منا وليس خالك منا يامضيع الصلاة للشهوات
فإذا ما قتلنا فتنصر واشرب الخمر واترك الجمعات

فالتقوا بالحرّة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٦٣، وكان على قريش، وحلفائهم، ومواليهم عبد الله بن مطيع العدوي ابن عم عمر بن الخطاب، وعلى الأنصار، وسائر الناس عبد الله بن حنظلة الغسيل بن أبي عامر الأنصاري، ثم الأوسي فاقتلوا قتالاً شديداً فقتل عبد الله بن حنظلة في عدة من المهاجرين

والأنصار، وأبنائهم، ومواليهم، وحلفائهم، وغيرهم من ذلك من قريش، والأنصار نحو من سبعمائة، ومن سائر الناس من الرجال، والنساء، والصبيان نحو من عشرة آلاف فيما ذكر محمد بن عمر الواقدي صاحب المغازي، والسير وقيل: دون ذلك وأكثر، ودخل مسلم المدينة فانتهبها ثلاثة أيام، وباع من بقي من أهلها على أنهم قنّ ليزيد: والقنّ العبد الذي مُلك أبواه، وعبد مملكة الذي مُلك في نفسه، وليس أبواه مملوكين غير عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب؛ لأنه لم يدخل فيها دخل فيه أهل المدينة، وعليّ بن عبد الله بن العباس.

فإن من كان في الجيش من أخواله من كتلة منعه فكان ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام، وأجلها، وأقطعها رزء بعد قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق مماليقارا، والقטיפفة طريق حمص في البر لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٦٤، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت أيامه ثلاث سنين، وسبعة أشهر، واثنين وعشرين يومًا، وكان آدم، شديد الأدمة، عظيم الهامة، بوجهه أثر جذري بين، ييادر بلذته، ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطئه، ويهون الأمور على نفسه في دينه إذا صحت له دنياه، وكتب له عبيد بن أوس الغساني، وزمل بن عمرو العذري، وسرجون بن منصور، وكان نقش خاتمه: ربنا الله وقاضيه أبو إدريس الخولاني، وحاجبه: خالد مولاه وقيل: صفوان.

ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

وبويع معاوية بن يزيد بن معاوية، ويكنى أبا عبد الرحمن، وإنما كني أبا ليل
تقريباً له لعجزه عن القيام بالأمر، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من
الرجال، وفيه قال الشاعر:

اني أرى فتنة تغلى مراجلها والملك بعد أبي ليل لمن غلبا

وقيل: بل الشعر قديم تمثل به الشاعر في أيامه، وأمه أم خالد ابنة أبي هاشم
بن عتبة بن ربيعة في اليوم الذي هلك فيه أبوه يزيد، وتوفي بدمشق في شهر ربيع
الأول سنة ٦٤، ودفن بها، وكانت أيامه أربعين يوماً وقيل: أقل من ذلك وأكثر،
وكان ربعة من الرجال، نحيفاً يعتريه صفار، وكتب له زميل بن عمرو العذري،
وسليمان بن سعيد الحشني، وسرجون النصراني، وكان نقش خاتمه: بالله ثقة
معاوية، وقاضيه أبو إدريس الخولاني، وحاجبه صفوان مولاه.

ذكر أيام مروان بن الحكم

وبويع مروان بن الحكم - بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الملك، وأبا الحكم، وأمه أمية ابنة علقمة بن صفوان بن أمية - في رجب سنة ٦٤ بعد تنازع طويل كان بين شيعة بني أمية، ومن يهوي هواهم في عقد الأمر له أو لخالد بن يزيد بن معاوية، وذلك أن الأمر اضطرب بعد معاوية بن يزيد بن معاوية، ويابح الضحاك بن قيس الفهري، وهو أمير دمشق يومئذ عبد الله بن الزبير.

وكذلك النعمان بن بشير الأنصاري بمصر، وزفر بن الحارث الكلبي بقسرين، وناتل بن قيس الجذامي بفلسطين، ودُعي له على سائر منابر الحجاز، ومصر، والشأم، والجزيرة، والعراق، وخراسان، وسائر أمصار الإسلام، إلا طبرية من بلاد الأردن فإن حسان بن مالك بن بحدل الكلبي - من بني الحارثة بن جناب وكان بها - امتنع من الدعاء لابن الزبير، والدخول في طاعته، وأراد عقد الأمر لخالد بن يزيد، وكان ابن أختهم، واجتمع بنو أمية، وشيعتهم، ومن يميل إليهم من رؤساء الشأم؛ فتشاوروا في عقد الأمر لخالد بن يزيد.

وأبى آخرون إلا أن يعقدوا لمروان إذ كان خالد صبيًا لا يقاوم ابن الزبير، ومروان شيخ مجرب بقية بني أمية في وقته، وكان تشاورهم بالجالية بين دمشق وطبرية فأجمعوا على عقد الأمر له فبويع له بالخلافة، وجُعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ابن معاوية، ولعمرو بن سعيد الأشدق بعده، وخرج الضحاك عن مدينة دمشق فيمن معه من الزبيرية، واستمد من بالشأم على طاعة ابن الزبير فأمدوه بالجيش، والمال، والسلاح؛ فصار في ثلاثين ألفًا من قيس بن عيلان، وغيرهم من مضر، وأكثرهم فرسان، وكان مروان في ثلاثة عشر ألفًا من اليمن من كلب وسواهم، وأكثرهم رجالة، وفي ذلك اليوم يقول مروان:

لما رأيت الناس مالوا جنبًا . والملوك لا يؤخذ إلا غصبا

أعددت غسان لهم وكلبنا	والسكسكين رجالا غلبنا
وطيئنا يابون إلا ضربنا	والقين نمشي في الحديد نكبنا
ومن تنوخ مشمخرا صعبا	بالأعوجيات يثبن وثبنا
وإن دنست قيس	فقتل لا قربنا

فالتقوا بمرج راهط؛ فاقتلوا قتالا شديدا؛ فقتل الضحاك في جمع كثير من القيسية، وانهمز الباقون.

وقيل: إنهم بالمرج عشرين يوما يقتتلون في كل يوم، والحرب بينهم سجالا، وإن مروان كادهم ودعاهم إلى المودعة، والصلح فلما اطمأنوا إلى ذلك شد عليهم، وهم غارون على غير عدة ولا أهبة؛ فكان ذلك سبب هزيمتهم؛ فكانت هذه الواقعة سبب رد ملك بني أمية - وقد كان زال عنهم إلى بني أسد بن عبد العزى - ولذلك رأى قوم أن مروان أول من أخذ الخلافة بالسيف.

وهذه الواقعة من الوقائع المشهورة، والأيام المذكورة، والبيان تفتخر بها على النزارية وقد أكثرت شعراؤها الافتخار بذلك قال عمرو بن مخلاة الحمار الكلبى:

شَفَى السَّفَسَ قَتَلَى لَمْ تُوسِدْ حُدُودَهَا	تَلَمَّ بِهَا طُلُسُ الذَّنَابِ وَسُودَهَا
بَأَيْدَى كُمَاةٍ فِي الْحُرُوبِ مَسَاعِرِ	عَلَى ضَامِرَاتٍ مَا تَجْفُ لُبُودَهَا
أَبْخُنَا حَمَى الْحَيَيْنِ قَيْسَ بَرَاهِطِ	وَوَلَّتْ شِذَاذًا، وَاسْتَبِيحَ شَرِيدَهَا

وقال أيضا:

رَدَدْنَا لِرِوَانَ الْخِلَافَةَ بَعْدَمَا	جَرَى لِلزُّبَيْرِيِّنَ كُلُّ بَرِيدٍ
فَلَا يَكُنْ مِنَّا الْخِلَافَةُ نَفْسُهُ	فَمَا نَالَهَا إِلَّا وَنَحْنُ شُهُودُ

وقال زفر بن الحارث الكلابي يعتذر من فراره ذلك اليوم:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتُ وَبِعَةَ رَاهِطِ	لِمَرْوَانَ صَدْعًا يَبِينَا مُتَنَائِيَا
أَتَذْهَبُ كُلُّبٌ لَمْ تَنْلُهَا رِمَاخُنَا	وَتُتْرَكُ قَتَلَى رَاهِطِ هَمَى مَا هِيَا

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِ الشَّرَى
أَرِنِي سِلَاحِي - لَا أَبَا لَكَ - إِنَّنِي
فَلَمْ تَرْمَنِي نَبْوَةَ قَبْلَ هَذِهِ
وَنَجَاكَ شِدَاتُ الْأَغْر كَأَنَّهَا
فَلِمَا أَمِنْتَ الْقَوْمَ وَامْتَدَّتِ الضَّحَى
وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
أَرَى الْحَرْبَ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَمَادِيَا
فَرَارِي وَتَرْكِي صَاحِبِي وَرَائِيَا
يَرَى الْأَكْمَ مِنْ أَجْبَالِ سَلْمَى صَحَارِيَا
بَسَنَجَارِ أَذْرِيَتِ الدَّمُوعِ الذَّوَارِيَا

فرد عليه جواس بن القعطل الكلبي فقال:

لِعَمْرِي لَقَدْ أَبَقْتَ رَقِيعَةً رَاهِطَ
مَقِيمًا ثَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ مَحَلَّهُ
دَعَا بِسِلَاحٍ ثُمَّ أَحْجَسَ إِذْ رَأَى
عِيَهَا كَأَسَدِ الْغَابِ فِتْيَانِ نَجْدَةٍ
عَلَى زَفَرْدَاءَ مِنْ الدَّاءِ بَاقِيَا
وَبَيْنَ الْحَشَا أَعْيَا الطَّيِّبِ الْمَدَاوِيَا
مَسِيُوفِ جَنَابِ وَالطَّوَالِ الْمَذَاكِيَا
إِذَا مَا انْتَضَوْا عِنْدَ النَّزَالِ الْعَوَالِيَا

وفي ذلك يقول الفرزدق:

وَقَدْ جَعَلْتَ الدِّينَ فِي الْمَرْجِ وَالْقَنَا
رَأَيْتَ بَنِي مَرْوَانَ جَلَسَتْ سِيُوفُهُمْ
وَلَوْ رَامَ قَيْسٌ غَيْرَهُمْ يَوْمَ رَاهِطَ
وَلَكِنْ قَيْسًا رَوَّغَمْتَ يَوْمَ رَاهِطَ
لَمَرْوَانَ أَيَّامَ عِظَامِ الْمَلَا حِمٍ
عَشَى كَانَ فِي الْأَبْصَارِ نَحْتُ الْعِمَائِمِ
لَلْأَقَى الْمَنَايَا بِالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ
بَطُودَ أَبِي الْعَاصِ الشَّدِيدِ الدَّعَائِمِ

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي مخاطبًا لعبد الملك:

أَبُوكَ هُمَى أُمِيَّةٌ حِينَ زَالَتْ
وَكَانَ الْمَلِكُ قَدْ، وَهَيْتَ قَوَاهُ
دَعَائِمُهَا، وَأَصْحَرُ لِلضَّرَابِ
فَرَدَ الْمَلِكُ مِنْهَا فِي النَّصَابِ

وقال عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

أَرَى أَحَادِيثَ أَهْلِ الْمَرْجِ قَدْ بَلَّغَتْ
أَمْوَالَهُمْ حَرَّةً فِي الْأَرْضِ تَلْقَطُهَا
أَقْصَى الْفَرَاتِ، وَأَهْلُ الْفَيْضِ وَالنَّيْلِ
فَرَسَانِ كَلْبٍ عَلَى الْجَرْدِ الْهَذَالِ

ثم سار مروان بعقب ذلك إلى مصر، وهم في طاعة ابن الزبير، وكانت له معهم حروب عظيمة قتل فيها خلق كثير من الفريقين إلى أن استوثقوا على

طاعته، وأخرجوا عبد الرحمن بن جحدم الفهري عامل ابن الزبير عنهم، واستخلف مروان عليها ابنه عبد العزيز، وذلك في سنة ٦٥، وعاد إلى دمشق، وصرح عبيد الله بن زياد في جيوش كثيفة؛ للغلبة على الجزيرة، والعراق، وولاه كل بلد يغلب عليه فسار في نحو من ثمانين ألفاً.

فلما صار ببلاد الجزيرة بلغه مسير سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، وغيرهما في نحو من أربعة آلاف يطالبون بدم الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه السلام - وكانوا يسمون جيش التوابين حتى صاروا إلى عين الوردية، وهي رأس العين فصرح إليهم عبيد الله الحصين بن نمير وغيره من رؤساء الشام؛ فالتقوا بها فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وأكثر ذلك الجيش، وتحمل من بقي في أول الليل راجعين إلى الكوفة، وذلك في هذه السنة وهي سنة ٦٥.

وكانت وفاة مروان بن الحكم بدمشق لثلاث خلون من شهر رمضان من هذه السنة، ودفن بها وله إحدى وستون سنة، وكانت ولايته تسعة أشهر وأياماً، وكان طوالاً، أصهب، أزرق، بعيد الغور، يزكب الأمور بغير رهبة، ويمضي التدبير على غير روية.

كتب له أبو الزعيزعة مولاة، وابن مرجون النصراني، وسليمان بن سعيد الخثني، وعبيد بن أوس الغساني، وكان نقش خاتمه: العزة لله وقيل: آمنت بالله وقيل: آمنت بالله العزيز الحكيم وقيل: آمنت بالعزيز الحكيم، وقاضيه: أبو إدريس الخولاني، وحاجبه: أبو سهيل الأسود مولاة وقيل: أبو المنهال مولاة.

ذكر أيام عبد الملك بن مروان

وبويع عبد الملك بن مروان - ويكنى أبا الوليد، وأمه عائشة ابنة معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص بن أمية في رجب سنة ٦٥، والحجاز، والعراق، وفارس، وخراسان، وما يلي ذلك من البلاد بيد ابن الزبير، وغلب المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي على الكوفة، وأظهر الدعاء إلى ابن الحنفية، وتجرّد لقتلة الحسين؛ فأباد منهم خلقاً كثيراً، وصار عبيد الله بن زياد إلى الموصل، وسير المختار إبراهيم بن الأشتر مالك بن الحارث النخعي للقاءه في اثني عشر ألفاً فالتقوا بالزاب من أرض الموصل فاقتلوا قتالاً شديداً؛ فقتل عبيد الله بن زياد، والحصين بن نمير السكوني، وشرحيل بن ذي الكلاع الحميري في خلق عظيم من أهل الشام، وذلك يوم عاشوراء سنة ٦٧، وفي قتل عبيد الله يقول ابن مفرغ الحميري:

إن الذي عاش ختاراً بذمته ومات عبداً قتل الله بالزاب

ولم يزل المختار مقيماً بالكوفة إلى أن سار إليه مصعب بن الزبير في أهل البصرة، ومعه المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ثم العتيكي، وغيره من الرؤساء؛ فهزمه وحصره في قصر الإمارة بالكوفة إلى أن خرج مستميتاً في نفر من أصحابه فجالد حتى قتل، وذلك للنصف من شهر رمضان من هذه السنة، وهي سنة ٦٧، ونزل من بقي من أصحاب المختار، وهم نحو من ستة آلاف على حكم مصعب؛ فقتلهم جميعاً وكانوا يسمون الخشبية.

قال المسعودي: وسار عبد الملك إلى العراق فالتقى مع مصعب بن الزبير بمسكن من أرض العراق؛ فقتل مصعب في جمادى الأولى سنة ٧٢، وفي ذلك يقول عبيد الله بن قيس الرقيات، وكان من شيعة آل الزبير:

إن الرزية يوم مسكن، والمصيبة،

بـابن الحـواري الـذي لم يعده يوم الوقعة

غدرت به مضر العراق وأمكننت منه ربيعة

ووجه بالحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف.

واسم ثقيف: قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ابن قيس بن عيلان بن مضر في عساكره إلى عبد الله بن الزبير بن العوام؛ فحصره بمكة ثم بالمسجد الحرام وقتل به يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٧٣ وله ثلاث وسبعون سنة، وأمر به الحجاج فُصِّل، وأمّه أسماء ابنة أبي بكر ذات النطاقين أخت عائشة لأُمّها وأبيها، وهي يومئذ باقية قد بلغت من السن مائة سنة لم يقع لها سن، ولا أبيض لها شعر، ولا أنكر لها عقل؛ غير أنها ذاهبة البصر، وكانت مدة أيامه وفتنته منذ مات معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أن قتل ثماني سنين وتسعة أشهر.

ومما كان في أيام عبد الملك بن مروان من الحوادث العظيمة، والأنباء الجلييلة في الملك: خلع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي في سنة ٨١، وكان الحجاج وجهه في جيش كثيف حسن العدة، وكان يسمى جيش الطواويس إلى سجستان؛ لغزو رتبيل: ملك زابلستان ففتح كثيراً من بلادهم، وكتب إليه الحجاج يستعجزه، ويغلظ له فدعا من معه من رؤساء أهل العراق إلى خلع الحجاج؛ فأجابوه إلى ذلك؛ لبغضهم الحجاج، وخوفهم من سطوته فخلعوه وسار عبد الرحمن راجعاً لإخراج الحجاج من العراق، ومساءلة عبد الملك إبداهم به؛ فلما عظمتم جموعه، ولحق به كثير من أهل العراق، ورؤسائهم وقراؤهم، ونساکهم عند قربيه منها خلع عبد الملك، وذلك بإصطخر فارس، وخلعه الناس جميعاً، وسمي نفسه ناصر المؤمنين، وذكر أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية، وأنه يعيد الملك فيها فقيل: له: إن القحطاني على ثلاثة أحرف؟

فقال اسمي عبد، وأما الرحمن فليس من اسمي، وسار الحجاج للقاءه حتى لقيه دون تُسْتَر من كور الأهواز بسبعة فراسخ فهزم أصحاب الحجاج وقتل منهم نحو من ثمانية آلاف، وسار الحجاج إلى البصرة فنزل الزاوية، وسار ابن الأشعث حتى نزل الخريبة، وذلك في سنة ٨٣ فأقاموا يقتلون نحوًا من شهرين، ثم خرج ابن الأشعث إلى الكوفة ليلاً ليتغلب عليها في نفر يسير، وأصبح أصحابه فبايعوا عبد الرحمن بن عباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ فلقبهم الحجاج فهزمهم، ولحقوا بابن الأشعث فخرج ابن الأشعث من الكوفة حتى نزل دير الجماجم، وسار الحجاج حتى نزل دير قره، وكان كتب إلى عبد الملك يستمده فأمدّه بابنه عبد الله بن عبد الملك، وأخيه محمد بن مروان فاقتلوا بدير الجماجم نحوًا من أربعة أشهر فكانت الوقائع بينهم فيما قيل: نحوًا من ثمانين وقعة، وابن الأشعث في نحو من ثمانين ألفًا وقيل: أكثر من ذلك، والحجاج في دون جمعه، ولم يكن بعد وقائع صفين أعظم من هذه الحروب، ولا أهول من هذه الزخوف، ثم انهزم ابن الأشعث، وأهل العراق وقتل منهم جمع كثير.

وسار ابن الأشعث إلى البصرة، وتبعه الحجاج فخرج عنها فكان التقاؤهم بمسكن من أرض العراق فهزم أهل العراق وقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى ابن الأشعث فيمن تبعه حتى صار إلى سجستان، وكتب إلى رتبيل، وسار إليه فوجه الحجاج بجيش كثيف إلى سجستان، وكتب إلى رتبيل بتسليم ابن الأشعث فيمن تبعه، ورغبه في أن فعل ذلك في مال جزيل، ورفع الإتاوة عنه، ويخوفه إن أبى ذلك بقصده، وتسرية الجيوش إليه فغدر به رتبيل، وسلمه إلى صاحب الحجاج فسار به يريد؛ فألقى ابن الأشعث نفسه من فوق قصر من قصور الرخج فمات فأخذ رأسه، وصير به إلى الحجاج، وذلك في سنة ٨٤ فوجه به الحجاج إلى عبد الملك فوجه به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز بمصر، وفي ذلك يقول الشاعر:

يا بعد مصر ع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج

قتلوه بغياً ثم قالوا بايعوا وجرى البريد برأس أروع أبلج

وتوفي عبد الملك بدمشق لعشر خلون من شوال سنة ٨٦، ودفن بها وله اثنتان وستون سنة وقيل: أكثر من ذلك فكانت أيامه إحدى وعشرين سنة، وشهرين وعشرة أيام، وكان أسمر، مربوعاً، طويل اللحية، يباشر الأمور بنفسه، متيقظاً في سلطانه، حازماً في رأيه، لا يكل الأمور في أعدائه وأهل حربه إلى غيره حتى يباشرها بنفسه، يركب الخطأ في كثير من أموره فتغره السلامة.

وكتب له قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وأبو الزعيزة، وعمرو بن الحارث مولى بني عامر بن لؤي، وسرجون بن منصور الرومي، وكان نقش خاتمه: آمنت به مخلصاً، وعلى قضائه: أبو إدريس الخولاني، وعبد الله بن قيس بن عبد مناف، وحاجبه: يوسف مولاه وقد حجبه أبو الزعيزة، وفي أيامه كانت وفاة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بالطائف ذاهب البصر سنة ٦٨ وله إحدى وسبعون سنة، وكان مولده قبل الهجرة بثلاث سنين، وصلى عليه محمد ابن الحنفية: أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، وتوفي محمد بن الحنفية بالمدينة في المحرم سنة ٨١ وله خمس وستون سنة، وصلى عليه أبان بن عثمان، وهو يؤمئذٍ إلى المدينة لعبد الملك، وللكرسائية من الشيعة فيه خطوب كثيرة طويلة، ودعاوي كثيرة.

ذكر أيام الوليد بن عبد الملك

وبويع الوليد بن عبد الملك بن مروان - ويكنى أبا العباس، وأمه ولادة ابنة العباس ابن جزء بن الحارث العبسي بدمشق في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك، وتوفي بها للنصف من جمادى الآخرة سنة ٩٦، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، ودفن بها، وكانت مدته تسع سنين، وثمانية أشهر وخمسة أيام، وكان طويلاً، أسمر، أفطس، به أثر جذري، بمقدم لحيته شيب لم يغيره. وكان لحانة، شديد السطوة لا يتوقف عند الغضب، ولا ينظر في عاقبة، ولا يكلم عند سطوته، تهون عليه الدماء.

وكتب له عبد الله بن هلال الثقفي، وصالح بن عبد الرحمن مولى بني مرة بن عبيد، والقعقاع بن خليل العبسي، وسليمان بن سعيد الخشني، وكان نقش خاتمه: يا وليد إنك ميت وقاضيه: أبو بكر محمد بن حزم، وخاجبه: يزيد مولاه.

قال المسعودي: وكانت وفاة الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل عامله وعامل أبيه على العراق بواسط العراق في شهر رمضان سنة ٩٥ نبل وفاة الوليد بتسعة أشهر، وكانت ولايته العراق عشرين سنة، وترك في بيت المال مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف درهم وتولى العراق وخارجها مائة ألف ألف درهم فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتى صار خارجها خمسة وعشرين ألف ألف درهم، ونظرت هند ابنة أسماء بن خارجة الفزاري إلى الحجاج مسجى وكانت امرأته فطلقها فقالت:

ألا يا أيها الجسد المسجى لقد قرت بمصر عك العيون
وكنت قرين شيطان رجيم فلما مت سلمك القرين

وكان عدة من قتله الحجاج صبراً سوى من قتل في زخوفه، وحروبه مائة ألف وعشرين ألفاً منهم سعيد بن جبير صاحب عبد الله بن العباس، ويكنى أبا

عبد الله مولى لبني والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وكان أسود قتله في سنة ٩٤؛ لخروجه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكُميل بن زياد النخعي من بني صهبان صاحب علي بن أبي طالب، وتوفي وفي محبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة، وكان حبسه جائزًا لا شيء فيه يكتنهم فيه من حر، ولا برد، ويسقون الماء مشوبًا بالرماد.

ذكر أيام سليمان بن عبد الملك

وبويع سليمان بن عبد الملك بن مروان - ويكنى أبا أيوب - في اليوم الذي توفي فيه أخوه الوليد، وأمه ولادة أم أخيه الوليد، وهلك وهو معسكر بمرج دابق من أعمال قنسرين ممدًا لأخيه مسلمة، وهو على حصار القسطنطينية يوم الجمعة لعشر ليالٍ بقين من صفر سنة ٩٩ وله تسع وثلاثون سنة، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليالٍ، وكان طويلًا، أبيض، جميلًا، قضيضًا، جعد الشعر لم يشب، فصيح اللسان، كثير الأدب، لين الجانب، شديد العجب بشبابه وجماله، أكلوا نكاحًا، لا يعجل إلى سفك الدماء، ولا يستنكف عن مشورة النصحاء، فيه حسد شديد.

وكتب له عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، وسليمان بن نعيم الحميري، وابن بطريق النصراني، وكان نقش خاتمه: آمنت بالله، وعلى قضائه: محمد بن حزم، وحاجبه: أبو عبيدة مولاة وقيل: مسلم مولاة.

ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -

وبويع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم - ويكنى أبا حفص، وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب - في اليوم الذي توفي فيه سليمان؛ فوجه إلى مسلمة فأقفله عن حصار القسطنطينية وقد ذكرنا مدة ما أقام عليها محاصراً لها فيما سلف من هذا الكتاب في أخبار ملوك الروم بعد ظهور الإسلام في ملك تيدوس المعروف بالأرمني.

وتوفي عمر بدير سمعان من أعمال حمص مما يلي قنشرين مسموماً فيما قيل: من قبل أهله يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة ١٠١ وله تسع وثلاثون سنة، وكانت خلافته ستين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان أسمر، حسن الوجه، نحيف الجسم، حسن اللحية، غائر العينين، بوجهه أثر من نفث دابة راحته في صباه، قد وخطه الشيب، ومات ولم يخضب، وكان فاضلاً يؤثر الدين على الدنيا، ويعمل عمل من يخاف يومه، ويرجو غده، ويقر بتدينه لما يجري أهله عليه.

وكان كاتبه ليث بن أبي رقية، ونقش خاتمه: لكل عمل ثواب وقيل: عمر يؤمن بالله خالصاً، وعلى قضائه: عبد الله بن سعد الأيلي، وحاجبه: مزاحم مولاه وقيل: حسين.

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك

وبويع يزيد بن عبد الملك بن مروان - ويكنى أبا خالد، وأمه عاتكة ابنة يزيد بن معاوية - في اليوم الذي توفي فيه عمر، وتوفي بأرض البلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس ليالٍ بقين من شعبان سنة ١٠٥، وهو ابن تسع وثلاثين سنة فكانت أيامه أربع سنين وشهرًا، وكان طويلًا، جسيمًا، أبيض، مدور الوجه، لم يشب، فتي الشباب، شديد الفخر، ظاهر الكبر، يحب اللهو، ويستعمل الحجاب، لا يعرف صوابًا فيأتيه، ولا خطاء فيدعه.

وكتب له أسامة بن زيد السليحي، وزيد بن عبد الله، وكان نقش خاتمه: قنِّي الحساب، وحاجبه: سعيد مولاه وقيل: خالد.

وكان في أيامه من الكوائن للعظيمة في الملك خلع يزيد بن المهلب بن أبي صفرة إياه، واسم أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، واسمه دراء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وكان يزيد في سجن عمر بن عبد العزيز يطالبه بالأموال التي كان يزيد كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك أنها صارت إليه عند فتح جرجان وطبرستان؛ فلما مات عمر وذلك في رجب سنة ١٠١ هـ هرب يزيد من السجن وصار إلى البصرة وعليها عدي بن أرطاة الفزاري، وكان قد سجن عدة إخوة ليزيد حين بلغه مسيره إليه؛ فسامه يزيد تحليتهم فأبى واجتمع إلى يزيد جمع عظيم وبذل الأموال فكثر تبعه وسار إلى عدي؛ فقبض عليه وسجنه وغلب على البصرة والأهواز وفارس وكرمان، وخلع يزيد بن عبد الملك فتدب يزيد للقاءه أخاه: مسلمة بن عبد الملك، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في جيوش

كثيفة، وخرج يزيد بن المهلب عن البصرة في جموع كثيفة عظيمة فالتقوا بالعقر من أرض بابل فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ فقتل يزيد وعدة من إخوته في جمع من أهل العراق وانهزم الباقون وذلك في سنة ١٠٢.

وقيل: إن الذي تولى قتال يزيد القحل بن عيَّاش بن حسان بن سمير بن شراحيل بن عرين بن أبي جابر بن زهير بن جناب، وفي ذلك يقول المسيب بن الرفل الكلبي مفتخراً:

فَقَتَلْنَا يَزِيدَ بْنَ الْمَهْلَبِ بَعْدَ مَا تَمَيَّيْتُمْ أَنْ يَغْلِبَ الْحَقُّ بَاطِلُهُ
فَمَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَنَافِقَ عَنْ السِّدِّينِ إِلَّا مِنْ قِضَاعَةِ قَاتِلِهِ

وقال رُفَيْعُ بْنُ أَزِيرِ الْأَسَدِيِّ فِي مَقْتَلِهِ مَخَاطَبًا يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَسِيرَنَا عَلَى الْمَقَرَّبَاتِ وَالْمَحْدَفَةِ الْبُسْرِ
نَزِيدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَرْضِهِ رِءُوسًا جَنَاهَا بَيْنَ بَابِلَ وَالْعَقْرِ
وَلَا قَى يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبِ بَاكِرًا مِنْ الْمَوْتِ سَاقَتِهِ الْخُتُوفُ وَمَا يَدْرِ

وركب من بقي من آل المهلب وأتباعهم السفن حتى صاروا إلى قنடைيل من أرض السند، فوجه مسلمة هلال بن أحوز المازني؛ لاتباعهم فلاحقهم بها فقتل منهم جمعاً وأسر الباقيين؛ فكان المهلب عند وفاته استخلف يزيد بن المهلب على عمله وأمر سائر إخوته بالسمع والطاعة له، وكانت وفاة المهلب بمرور الروذ من أرض خراسان في ذي الحجة سنة ٨٣ وهو على إمرتها يومئذ، وفيه يقول نهار بن توسعة التميمي:

أَلَا ذَهَبَ الْعِزُّ الْمَقَرَّبُ لِلتَّقَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهْلَبِ
أَقَامَا بِمَرْوِ الرَّوْذِ رَهْنِي ضَرْبِهِ فَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبِ

ذكر أيام هشام بن عبد الملك

ويُؤيع هشام بن عبد الملك بن مروان ويكنى أبا الوليد - وأمه: أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي - في اليوم الذي توفي فيه يزيد، وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين مما يلي البرّ يوم الأربعاء لست ليالٍ خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥، وله ثلاث وخمسون سنة، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشرة ليلة، وكان أبيض إلى الصفرة ما هو أحول، شديد انقلاب العين، يخضب لحيته بالسواد، ربعة من الرجال، حسن البدن، خشن الجانب، شكس الأخلاق، دقيق النظر، جامعاً للأموال، قليل البذل للنوال، متيقظاً في سلطانه، سائساً لرعيته، مباشراً للأمور بنفسه، لا يغيب عنه شيء من أمر مملكته.

وكتب له محمد بن عبد الله بن حارثة الأنصاري، وأسماء بن زيد السليجي، وسالم مولى سعيد بن عبد الملك، وكان نقش خاتمه: الحكم للحكيم، وعلى قضائه محمد بن صفوان الجمحي ونمير بن أوس الأشعري، وحاجبه غالب مولاه.

وفي السنة السابعة عشر من ولايته وهي سنة ١٢٢ كان ظهور زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة في نفر يسير وعليها يوسف بن عمر الثقفي، وقد كان بايعه خلق كثير، ثم قعدوا عنه، ولم يفوا له؛ فلقيه يوسف بن عمر في جموع عظيمة فقاتلهم زيد قتالاً شديداً إلى أن قُتِلَ ومن معه في صفر من هذه السنة، وصلب بالكناسة.

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك

وبُويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويكنى أبا العباس - وأمه: أم الحجاج ابنة محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي في الوقت الذي هلك فيه هشام، فقدم نزار واستبطنها، وجفا اليمن وأطرحها، واستخف بأشرافها، وعمد إلى خالد القسري، وهو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله بن عبد شمس بن غممة بن جرير بن شق الكاهن بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن أفصى بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار، وكان رئيس اليمانية في وقته المنظور إليه منهم، وكان على العراق وما يليه من الأهواز، وفارس، والجال، وأخوه أسد بن عبد الله على خراسان، فدفعه إلى يوسف بن عمر الثقفي عامله على العراق، فحمله إلى الكوفة وعذبه حتى قتله، وقال الوليد عند ذلك يوبخ اليمن ويقرعها، ويذكر خالدا ويفتخر بنزار في قصيدة له طويلة أولها:

ألم تهتج فتذكر الوصالا وحبالا كان متصلا فزالا

وقال:

شددنا ملكنا بيني نزار وقومنا بهم من كان مالا
وهذا خالد فينا أسيرا ألا منعوه إن كانوا رجالا
عميدهم وسيدهم قديما جعلنا المخزبات له ظلالا

وتتابع من الوليد فعال أنكرها الناس عليه؛ فدبَّ يزيد بن الوليد في الدعاء إلى خلعه؛ فأجابته اليمن بأسرها وعاضدوه ووثبوا معه على عامل الوليد بدمشق فأجابوه، وبايعوا يزيد، ثم ساروا إلى الوليد، وهو في الحصن المعروف بالبخراء مما يلي البر بين حمص ودمشق فقتلوه، وذلك يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ وله اثنان وأربعون سنة فأخذوا ابنه

وَلِيَّ عَهْدِهِ: الْحَكَمُ، وَعُثْمَانُ فَقْتِلَا بَعْدَ ذَلِكَ بِدَمَشْقٍ مَعَ يُوسُفَ بْنِ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ،
فَقَالَ الْأَسْبَغُ ابْنُ ذُو أَلَّةِ الْكَلْبِيِّ فِي ذَلِكَ:

مَنْ مَبْلَغُ قَيْسًا وَخَنْدَفٍ كُلِّهَا وَسَادَاتِهَا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ
قَتَلْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ وَبَعْنَا وَلِيَّيَ عَهْدِهِ بِالْدِرَاهِمِ

وَقَالَ خَلْفُ بْنُ خَلِيفَةَ الْبَجَلِيِّ:

تَرَكْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ مُكَبًّا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ
وَإِنْ سَافَرَ الْقَسْرِيُّ مَفْرَةً هَالِكٍ فَإِنْ أَبَا الْعَبَّاسَ لَيْسَ بِعَائِدٍ
أَقْرَى مَعْدُ بِالْهَوَانِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ

ذكر أيام مروان بن محمد

وبويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ويكنى أبا عبد الله وأبا عبد الملك - وأمه أم ولد يقال لها: زيادة، كانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي، فصارت إلى محمد بن مروان يوم قتل إبراهيم، وإبراهيم على مقدمة مصعب بن الزبير، ومحمد على مقدمة أخيه عبد الملك بن مروان.

وقيل: إنها كانت حاملاً من إبراهيم فجاءت بمروان على فراش محمد بن مروان، وكانت بنو أمية تكره أن تولي الخلافة أبناء أمهات الأولاد؛ لأنها كانت ترى أن ذهاب ملكها على يدي ابن أمة فكان ذلك مروان بن محمد، وكانت البيعة له يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ١٢٧، ونزل حران من أرض الجزيرة، وكان جميع من ملك قبله من بني أمية ينزلون دمشق، ومنهم من كان يتبدى، وكانت أيامه كلها فتناً وحروباً، ولم تصف له الأمور، وخالفه أهل حمص وخلعوا طاعته؛ فحصرهم، وحاربهم دفعة بعد أخرى، وخلعه أهل مصر إلى أن سار إليهم الجنود؛ فعادوا إلى طاعته، وخالفه بنو هشام بن عبد الملك: سليمان، وأبان، وغيرهما مع من انضاف إليهم من بني أمية، وحاربوه مرة بعد أخرى، وخالفه ثابت بن نعيم الجذامي، وأجابه كثير من أجناد الشام: كفلسطين، وغيرها، وغلب الضحاك بن قيس الشيباني من بني المحلم بن ذهل بن شيبان الخارجي الصُفري على العراق، ولم يغلب أحد من الخوارج قبله ولا بعده عليها، وسار للقاء مروان في جيوش عظيمة، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك في جمع مواليه ورجاله مؤتمكاً بالضحاك تابعاً له، وفي ذلك يقول بعض شعراء الخوارج مفتخراً:

ألم تر أن الله أنزل نصره وصلّت قريش خلف بكر بن وائل

فالتقيا بكفر ثوثا من بلاد الجزيرة، وأقاموا يقتتلون أيامًا كثيرة أشد قتال إلى أن قُتِلَ الضحاك وخليفته الخبيري، وتفرق بقية الخوارج، وذلك في سنة ١٢٩، وسارت الخوارج الأباضية من اليمن من قِبَل عبد الله بن يحيى الكندي، الملقب: طالب الحق عليهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، وبلغ بن عقبة، فنزلوا مكة يوم عرفة من هذه السنة، ووادعهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عامل مكة إلى انقضاء الحج، ثم هرب وخلاها وسار إلى المدينة، ودخلت الخوارج مكة فجَهَّز عبد الواحد للقائهم جيشًا، أمَّر عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وخرجت الخوارج من مكة؛ فالتقوا بقديد في صفر سنة ١٣٠ فُقُتِلَ عبد العزيز في جمع كثير منهم من أهل المدينة: سبع مائة، أكثرهم من قريش، ولم ينجُ إلا الشريد.

فقال نائحهم:

ما للزمان وما لي به أفنت قُذِيذُ رجالي به
فلأبكي سريسة ولأبكي علاتي به

ودخلت الخوارج المدينة؛ فغلبوا عليها ثلاثة أشهر، فوجه مروان للقائهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي: سعد بن بكر بن هرازن في أربعة آلاف؛ فالتقوا بوادي القرى، فُقُتِلَ بلج وأكثر الخوارج، ونجا أبو حمزة فصار إلى مكة، ولحقه عبد الملك؛ فقتله بها وجمعًا من أصحابه، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى، وسار عبد الملك إلى اليمن؛ فلقى عبد الله بن يحيى بنواحي صنعاء فاقتلا قتالاً شديداً، فُقُتِلَ عبد الله وأكثر من كان معه، وذلك في هذا السنة.

واشتد أمر أبي مسلم بخرسان، وأخرج نصر بن سيار عامل مروان عنها، وسير قحطبة بن شبيب الطائي في جيوش كثيفة؛ فُقُتِلَ نبانة بن حنظلة الكلابي عامل مروان على جرجان في نحو من ثلاثين ألفاً، وعامر بن ضبارة المري

بأصبهان في نحو من أربعين ألفاً، وسار في جيوشه نحو العراق، وسار يزيد بن عمر بن هبيرة الفراري عامل مروان للقاءه؛ فالتقيا بالفرات مما يلي الكوفة؛ فهزم ابن هبيرة، وغرق قحطبة، وسارت المسودة إلى الكوفة؛ فبايعوا لأبي العباس السفاح، وسار عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم السفاح في جمع غفير عظيم للقاء مروان، وسار مروان في جيوش عظيمة وجموع مهولة، وعُدِدَ كثيرة فالتقيا بالزاب من أرض الموصل يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ فهزم مروان، واستولى على عسكره، وقتل من أصحابه جمع عظيم، فسار حتى أتى الشام والجيوش تتبعه فصار إلى مصر فُقُتِلَ ببوصير الأشمونيين من صعيدها ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة من هذه السنة، وله سبعون سنة، وقيل أقل من ذلك.

وكانت أيامه إلى أن قُتِلَ خمس سنين وعشرة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان شديد الشهلة، أبيض مشرباً حمرة، ضخماً الهامة والمنكين، كبير اللحية، وكان مجرباً صابراً على التعب والنصب، يغري بين القبائل، ويغضب بين العشائر، ويلقى أموره وهي مدبرة، ويريد أن يجعلها مدبرة، واصطفى قيس عيلان وانحرف عن اليمن، وبادأها العداوة فصارت عليه ألباً وله حرباً، وكان كاتبه عبد الحميد بن يحيى بن سعد بن عبد الله بن جابر بن مالك بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب، وكان مَفَوَّهاً بليغاً، له رسائل مجموعة متناقلة، يُقْتَدَى بها، ويعمل عليها، ورأيت له عقباً بفسطاط مصر يعرفون ببني مهاجر، وقد كان منهم عدة يكتبون لآل طولون، ونقش خاتمه: فوضت أمري إلى الله، وعلى قضائة عثمان بن عمرو البتي وحاجبه صقلاب مولاه.

قال المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسن بن علي، وكانت مدة ملك بني أمية على ما قدمنا من التاريخ منذ صالح الحسن بن علي معاوية، وسلم له الأمر إلى أن قُتِلَ مروان بن محمد آخر ملوكهم إحدى وتسعين سنة وسبعة

أشهر وسبعة وعشرين يومًا، وتنازع أصحاب السير والتواريخ، ومن عني بأخبار ملوك العالم في زيادة شهور وأيام في مدتهم ونقصانها عما ذكرنا، والأشهر من ذلك ما قدمنا، وكذلك باين هؤلاء أصحاب كتب الزيجة في النجوم فيما ذكروه في كتب زيجاتهم، ورسموه من مقادير أيامهم، وقد أتينا على ما قاله كل فريق منهم في مقادير أيامهم، وأيام من كان بعدهم إلى وقتنا هذا، وهو سنة ٣٤٥ في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" في تحف الأشراف من الملك وأهل الدرايات، وفي كتاب "الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار" الذي كتابنا هذا تال له، ومبني عليه، وإنما الغرض من هذا الكتاب إيراد لُح من ذلك دون الشرح والإيضاح؛ ليسهل درسه على قارئه ويقرب حفظه على راويه.

ذكر ما جرت عليه أحوال بني أمية بعد قتل مروان بن محمد وتفرقهم في البلاد وسبب تملك عبد الرحمن بن معاوية بن هشام على بلاد الأندلس وولده إلى وقتنا هذا وما اتصل بذلك

لما قتل مروان بن محمد بن مروان تفرقت بنو أمية في البلاد هرباً بأنفسهم، وقد كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب قتل منهم على نهر أبي فطرس من بلاد فلسطين نحواً من ثمانين رجلاً مثله، واحتذى أخوه داود بن علي بالحجاز فعله فقتل منهم نحواً من هذه العدة بأنواع المثل، وكان مع مروان حين قُتل ابنه: عبد الله وعبيد الله، وكانا وليّ عهده فهربا فيمن تبعهما من أهلها ومواليها وخواصهما من العرب ومن انحاز إليهم من أهل خراسان من شيعة بني أمية فساروا إلى أسوان من صعيد مصر، وساروا على شاطئ النيل إلى أن دخلوا أرض النوبة وغيرهم من الأحابش، ثم توسطوا أرض البجة ميممين باضع من ساحل بحر القلزم، فكانت لهم مع مروان به من هذه الأمم حروب ومغاورات، ونالهم جهد شديد وضر عظيم؛ فهلك عبيد الله بن مروان في عدة ممن كان معهم قتلاً وعطشاً وضرّاً، وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد، وضروب العجائب.

ووقع عبد الله بن مروان في عدة ممن نجا معه إلى باضع من ساحل المعدن وأرض البجة، وقطع البحر إلى جدة من ساحل مكة، وتنقل فيمن نجا معه من أهله ومواليه في البلاد متسترين، راضين أن يعيشوا شوقاً بعد أن كانوا ملوكاً فظفر بعبد الله أيام العباس السفاح، فأودع السجن، فلم يزل فيه بقية أيام أبي العباس، وأيام المنصور والمهدي، والهادي، فأخرجه الرشيد وهو شيخ ضريب فسأله عن خبره؟ فقال: يا أمير المؤمنين حبست غلاماً بصيراً، وأخرجت شيخاً ضريباً، فقيل: إنه هلك في أيام الرشيد، وقيل: بل في أيام الأمين.

كان عامل إفريقية لمروان: عبد الرحمن بن حبيب الفهري، وكان كاتب مروان وهو بمصر، ورغبه في المسير إليه، وذكر له كثرة جنوده وعدده ومنعة بلاده، ثم تعقب الراي فعلم أن مروان إن قدم صار كأحد أتباعه وجنوده، وأن من وراءه المسودة يتبعونه، فكتب إلى مروان يعرفه كراهية من قبله من الجنود لذلك؛ فعوجل فقطع النيل، ومضى إلى الصعيد، فقتل هناك.

وقيل: إن كتاب عبد الرحمن الذي يستدعيه فيه جاءه وقد قطع النيل إلى الجانب الغربي؛ لمعالجة المسودة إياه، ودخولهم فسطاط مصر، فمضى إلى بوضير الأشمونين من صعيد مصر ليصير إلى إفريقية على طريق الواحات، فبادرته المسودة بالعبور إليه والبيات؛ فقتل وأن عبد الرحمن لم يكتب إليه كتاباً يثبطه فيه عن المسير إليه، وقدم على عبد الرحمن بن حبيب بعد قتله جماعة من بني أمية يرجون الأمر في بلاده، منهم: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولؤي، والعاص ابن الوليد بن يزيد، فبلغ عبد الرحمن عن ابني الوليد شيء أنكره ففتك بهما فاشتد خوف عبد الرحمن بن معاوية منه، فهرب وقطع المجاز الذي بين إفريقية والأندلس، الأخذ من بحر أوقيانوس، المحيط إلى البحر الرومي، وصار إليها وعاملها يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وقد عظم الخطب من العصية بين من بها من اليبانية، والنزارية ودامت عدة سنين فطمع في الغلبة عليها وكاتب اليبانية، ودعاهم إلى نفسه، وسير بدرا مولاه إليهم؛ فبايعوه، وصاروا إلى طاعته، وسرّوا بقدومه، بلغ يوسف بن عبد الرحمن أمره فسار إليه في النزارية وغيرهم من أنصاره، قتلوا قتالاً شديداً؛ فهزم يوسف بن عبد الرحمن، وقُتل أصحابه قتالاً ذريعاً، وذلك في سنة ١٣٩.

واستولى عبد الرحمن على بلاد الأندلس، وهو عسق جليل، ومملكة عظيمة يكون مسيره نحواً من أربعين يوماً في مثلها، فيه مدن كثيرة وعمائر

متصلة، واستقام له الأمر بعد أن بذل السبيل في مخالفته، فاستوسق الجميع على طاعته، ولم يكن خطب لأحد من بني العباس بالأندلس إلى ذلك الوقت؛ ولأجل ذلك أفردنا هذا الباب لتسميته من ملكها إذ كانت مملكة مفردة لبني أمية، ورسومًا قائمة إلى هذا الوقت، ولم يتبدل ولم يتنقل فملك عبد الرحمن بلاد الأندلس ثلاثًا وثلاثين سنة، وأربعة أشهر، وكانت وفاته غرة جمادى الأولى سنة ١٧٢ فولي بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن بن معاوية سبع سنين وتسعة أشهر وكانت وفاته في صفر سنة ١٨٠، فولي بعده الحكم بن هشام بن الرحمن سبعا وعشرين سنة، وشهرًا وخمسة وعشرين يومًا، وتوفي لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٩.

فولي بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم بن هشام اثنتين وثلاثين سنة وأربعة أشهر، وتوفي في ربيع الآخر سنة ٢٣٨.

فولي بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أربعة وثلاثين شهرًا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا، وتوفي لليلة بقت من صفر سنة ٢٧٣.

فولي بعده ابنه المنذر بن محمد بن عبد الرحمن سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يومًا وتوفي للنصف من صفر سنة ٢٧٥.

فولي بعده أخوه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن خمسًا وعشرين سنة وخمسة عشر يومًا، وتوفي مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠.

فولي بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى وقتنا هذا، وهو سنة ٣٤٥ خمسًا وأربعين سنة، وبلده عامر والعدل فيه شامل، ولم يكن فيمن سمينا من آثائه ممن ملك الأندلس أحد

يسمى بأمير المؤمنين، وكانوا يسمون بني الخلائف إلى أن ملك هو فخطب بها، وصدرت عنه الكتب بذلك، ووردت وخطب له به على المنابر، وجعل ولاية العهد بعده لابنه الحكم بن عبد الرحمن دون سائر إخوته لما تخيل فيه من النجابة، وتبين من اضطلاع بالملك وقيامه به.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في الأخبار المعروفة بـ "المسعوديات" التي نسبت إلينا، وفي كتاب "وصل المجالس" جملاً من أخبار من سميناً من ولاية الأندلس، وسياساتهم وحروبهم مع من يجاورهم من الجلالقة، والجالسقس، والوشكنش، وقرمانيش، وغوطش، وغيرهم من الإفرنجية برّاً وبحراً، وما كان بالأندلس من الحروب والفتن مذكراً فتحها طارق مولى موسى بن نصير في سنة ٩٢ في أيام الوليد بن عبد الملك. إلى وقتنا هذا، وعبور طارق مولى موسى إليها وقتله لذريق ملك الإشبانية الذين كانوا بالأندلس، وعبور موسى بن نصير بعده، ولما لقي من الأمم وشاهد من العجائب وخبر المائدة الذهب، والبيت الذي كان فيه تيجان ملوكهم السالفة.

وذكرنا في كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف" ما كان ببلاد إفريقية من الحروب، والوقائع، والزخوف منذ افتتحت، وخبر موسى بن نصير بها، ومن كان بعده من الأمراء إلى أن أفضى أمر تملكها في أيام الرشيد إلى إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن تميم بن سوادة التميمي، وخبر ولده من بعده إلى أن زال الأمر عنهم باستيلاء أبي عبد الله الشيعي الداعية المعروف: بالمتحسب على مملكتهم وخروجه في كتامة من البربر، وما كان بينه وبين آل الأغلب من الوقائع والزخوف وتسليمه الأمر إلى عبيد الله، وقتل عبيد الله إياه، وما كان من خبره بعد ذلك وبنائه مدينة المهدية، وتسييره الجيوش إلى بلاد مصر للاستيلاء عليها مرة بعد أخرى، وذلك في سنة ٣٠٢، ووفاته ومصير الأمر بعده إلى أبي القاسم عبد الرحمن، وخروج أبي يزيد مخلد بن كيداد

البربري الزناني من بني يفرن الأباضي، ثم النكاري في الأباضية وغيرهم، وما كان بينهم وبين جيوش أبي القاسم من الوقائع والحروب، ومن قتل منهم إلى أن غلب على أكثر إفريقية، وحصاره أبا القاسم في المهديّة إلى أن مات بها، وخروج ابنه إسماعيل بن أبي القاسم ومواقفته أبا يزيد، وما كان بينهم من الحروب وانفضاض الجيوش عن أبي يزيد، وحصره إياه إلى أن قُتِلَ أبو يزيد لخمس ليالٍ بقين من المحرم سنة ٣٣٦.

وإن عدة من وقع عليه الإحصاء ممن قتل في تلك الحروب نحو من أربعمئة ألف ووفاة إسماعيل ومصير الأمر بعده إلى ابنه أبي تميم معد بن إسماعيل إلى هذا الوقت وغير ذلك من الأخبار مما شرحناه وبيناه في كتاب "تقلب الدول وتغير الآراء والملل"، وإنها نذكر في هذا المختصر لمعًا وجوامع استذكّارًا لما تقدم تأليفه من كتبنا في هذه المعاني وتنبئها عليه.

وقد رأينا بعض المتأخرين ممن ينحرف عن الهاشميين الطالبين منهم والعباسيين، ويتحيز إلى الأمويين ويقول بإمامتهم، يذكر أنه كانت لمن ملك من بني أمية ألقاب كالألقاب خلفاء العباسيين، وذكر في ذلك روايتين:

إحدهما: قال: روى محمد بن عبد الله محمد القرشي، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه عن جده، قال: حدثني سابق مولى عبد الملك بن مروان، قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك يقول: تُلقَّبَ أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان: بالناصر لحق الله، ويزيد بن معاوية: بالمستنصر على الربيع، ومعاوية بن يزيد: بالراجع إلى الله، ومروان: بالمؤمن بالله.

والثانية: قال: حدثنا أبو مطرف عن أبيه عن جده قال: تُلقَّبَ عبد الملك: بالمؤثر لأمر الله، والوليد بن عبد الملك: بالمتقم لله، ولقب سليمان بن عبد الملك: بالمهدي؛ لما أحدث من قطع ما كان على المنبر وعهده إلى عمر بن عبد

العزیز وتلقب هو: بالداعي إلى الله وعمر بن عبد العزيز: بالمعصوم بالله، ويزيد بن عبد الملك: بالقادر بصنع الله، وسمي هشام بن عبد الملك: بالمنصور؛ وذلك أنه ولد في الساعة التي ورد الكتاب فيها بما كن من مقتل مصعب بن الزبير، فلما قدم أبوه جيء به إليه باسمه فقال: ليس هذا من أسمائنا، بل سموه باسم جده لأمه: هشام، ولقبوه: المنصور، فلم يزل على ذلك حتى عهد إليه يزيد، فلقب: بالمتخير من آل الله، وتلقب الوليد بن يزيد: بالمكتفي بالله، ويزيد بن الوليد: بالشاكر لأنعم الله، وإبراهيم بن الوليد: بالمتعزز بالله، ومروان بن محمد: بالقائم بحق الله.

وكان عبد العزيز بن مروان إذ كان ولي عهد يدعى له على المنابر: بالمعظم لحرمان الله، وكان مسلمة بن عبد الملك لما بنى مدينته التي على خليج القسطنطينية سماها مدينة القهر، وتسمى: بالقاهر بعون الله تعالى.

قال المسعودي: وهو وإن جاء بهاتين الروايتين فإن الكافة على خلافه، فلو كان الأمر على ما ذكر لظهر واشتهر واستفاض وجاء في الأخبار المنقولة القاطعة للعدر والأعمال الموروثة، فلما لم يذكره الجمهور من حملة الأخبار، ونقله السير والآثار، ولا دونه مصنفوس الكتب في التواريخ والسير ممن ذكر أخبارهم، ووصف أيامهم ممن تولاهم وانحرف عنهم؛ علم أن ذلك لا أصل له.

ورأيت في سنة ٣٢٤ بمدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشام عند بعض موالى بني أمية ممن يتحل العمل، والأدب، ويتحيز إلى العثمانية كتاباً فيه نحو من ثلاثمائة ورقة بخط مجموع، مترجم بكتاب "البراهين في إمامة الأمويين" ونشر ما طوى من فضائلهم أبواب مترجمة، ودلائل مفصلة يذكر فيه: خلافة عثمان بن عفان، ومعاوية، ويزيد، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم، ثم يذكر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد

الملك، وأن مروان بن محمد نص عليه وعهد بالأمر بعده إليه، وينسق سائر من تملك بالأندلس من بني أمية من ولد عبد الرحمن المقدم ذكرهم إلى سنة ٣١٠.

وذكر عبد الرحمن محمد الوالي عليها في هذا الوقت وهو سنة ٣٤٥، ووصف لكل واحد منهم فضائل ومناقب وأمورًا استحق بها الإمامة، ونصوصًا على أسمائهم وأعيانهم، وادعى الأخبار المتواترة الجائية مجيء الاستفاضة، وعزى ذلك إلى شيعة العثمانية، ورجال السفائية، وأنصار المروانية معارضًا لأهل الإمامة، وهم جمهور الشيعة في المنصوص والنقل، ومستدلًا على فساد أقاريل أصحاب الاختيار من: المعتزلة، والزيدية، والخوارج، والمرجئة، والحشوية، والناطقة، ومناقضًا لأصحاب النص على أبي بكر من أصحاب الحديث، والبيهسية من الخوارج، والبكرية أصحاب بكر ابن أخت عبد الواحد وغيرهم، وأتى بمسائل ومعارضات على من ذكرنا والزامات.

وذكر من بعد ذلك أخبار من أخبار الملاحم الآتية، والأنباء الكائنة مما يحدث في المستقبل من الزمان، والآتي من الأيام من ظهور أمرهم، ورجوع دولتهم، وظهور السفياقي في الوادي اليابس من أرض الشام في غسان، وقضاة، ولخم، وجذام، وغاراته، وحروبه، ومسير الأمويين من بلاد الأندلس إلى الشام، وأنهم أصحاب الخيل الشهب، والرايات الصفرة، وما يكون لهم من الوقائع والحروب، والغارات والزخوف، ولم يذكر في هذا الكتاب هذه الألقاب ولا شيئًا منها.

ذكر أيام ولد العباس خلافة أبي العباس السفاح

وبويع أبو العباس السفاح: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب - وأمه ربيعة: ابنة عبيد الله بن عبد الله بن عبد المطلب بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد كان لقب أولاً: بالمهدي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ بالكوفة.

وكان مبدأ الدعوة العباسية بالكوفة، وخراسان، وغيرها من الأمصار في سنة ١٠٠ للهجرة؛ وذلك أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية كان قدم على سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ فأعجب به وقضى حوائجه وصرفه، وضم إليه من سمه في الطريق، فلما أحس بذلك غدا إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ بالحميمة، وقيل: بكرار من جبال الشراة، والبلقاء من أعمال دمشق؛ فأقضى إليه بسراير الدعوة، وعرف بينه وبين الدعوة، وأعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده، وأن الأمر إلى ابن الحارثية منهم، وأمر بيت الدعوة عند تمام المائة سنة للهجرة.

فلما حضرت محمدًا الوفاة أوصى إلى ابنه إبراهيم، فكانت الدعوة إليه، وسمي الإمام، وإليه دعا أبو مسلم بخراسان، فلما وقف مروان بن محمد الجعدي على ذلك كتب إلى عامله بدمشق، وهو: الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم؛ يأمره بتوجيه بعض ثقاته إلى الحميمة أو كرار فيأتيه بإبراهيم الإمام، فحمله إلى مروان فحبسه في المحرم من هذه السنة، وهي سنة ١٣٢ فقتل في

محبسه بعد شهرين، وعهد بالأمر بعده إلى أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وهو: ابن الحارثية.

وتوفي أبو العباس بالأنبار في مدينته التي بناها، وسماها: الهاشمية يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦، وله ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر ويوما، وكان طويلاً أبيض أفتى، حسن الوجه، جعد الشعر، له وفرة، شديد الرأي، ماضي العزيمة، كريم الأخلاق، متألّفاً للرجال، سمحاً بالأموال، يهون عليه أن يأمر بسفك دماء عالم من أعدائه من غير أن يعاين ذلك.

قال المسعودي: وكان أول من وقع عليه اسم الوزارة في دولة بني العباس: أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال مولى السبيع من همدان، وزر لأبي العباس السفاح وكان يقال له: وزير آل محمد وفيه يقول بعض الشعراء:

إن المساء قد تسرور بها كان السرور بما كرهت جديراً
إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشنّك كان وزيراً

وقد أتينا على أخباره وسبب قتله في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وهو أول وزير وزر لبني العباس، وأبوه حي، وكانت ملوك بني أمية تنكر أن تخاطب كاتباً له بالوزارة، وتقول: الوزير مشتق من الوزارة، والخليفة أجل من أن يحتاج إلى الموازنة.

وكانت العرب تسمي وزير الملك من ملوك اليمن والشّام والخيرة: الراهن، والزعيم، والكافي، والكامل؛ تريد بذلك أنه مرتهن بالتدبير، زعيم بصواب الرأي، كافٍ للملك مهمات الأمور، كامل الفضائل.

وكانت العجم تسمى وزير الملك من ملوكها: حامل الثقل، ووساد العضد، ورئيس الكفاة، ومدير الأمور العظام؛ إذ بهم نظام الأمور وجمال

الملك وبهاء السلطان، وهم الألسن الناطقة عن الملوك، وخزان أموالهم، وأمنائهم على رعيتهم وبلادهم، وأعظم الناس غناء عن الملوك والرعية، وأولاهم بالحياة والكرامة.

وكذلك كان اليونانيون والروم يسمون وزير الملك الذي يدور عليه أمره ويرجع إلى رأيه وتدبيره، فلما جاء الله بالإسلام ونزل القرآن فيها قصص الله من خبر نبيه موسى عليه السلام في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿أَشَدُّ بِيءًا أَزْرَى﴾ وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ﴿طه: ٢٩-٣٢﴾ استخارت بنو العباس تسمية الكاتب ووزيراً، فلم يكن الخلفاء والملوك تستوزر إلا الكامل من كتابها، والأمين العفيف من خاصتها، والناصح الصدوق من رجالها، ومن تأمنه على أسرارها وأموالها، وثق بحزمه وفضل رأيه وصحة تدبيره في أمورها.

واستوزر أبو العباس بعد أبي سلمة أبا العباس خالد بن برمك، وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبد الله وبه يؤمن، وقاضيه ابن أبي ليلى الأنصاري، ثم الأوسي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وحاجبه أبو غسان صالح ابن الهيثم مولاه.

ذكر خلافة أبي جعفر المنصور

وبويع أبو جعفر المنصور: عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - وأمه: سلامة ابنة بشير مولدة البصرة، وقيل: بربرية - في اليوم الذي توفي فيه السفاح، وقتل أبا مسلم القائم بدولتهم والمنتقم لهم من عدوهم برومية المدائن في شعبان سنة ١٣٧، وكان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ١٤٥، وبايعه خلق كثير من الحاضرة والبادية، وتسمى بالمهدي، فوجه إليه المنصور عيسى بن موسى في أربعة آلاف فالتقوا بظاهر المدينة، فقتل محمد في عدة ممن كان معه وذلك في شهر رمضان من هذه السنة، وكان ظهور أخيه إبراهيم بالبصرة مستهل شهر رمضان فغلب عليها وعلى الأهواز، وواسط، وكسكر، وعظمت جموعه وسار يريد الكوفة فوجه المنصور عيسى بن موسى في العساكر فالتقوا بباجهرى على ستة عشر فرسخاً من الكوفة يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة من هذه السنة.

أيضاً فقتل إبراهيم في جمع كثيف ممن كان معه وانهزم الباقون، وبعقب قتل محمد وإبراهيم لقب بالمنصور، وكانت وفاة المنصور ببثر ميمون على أميال من مكة يوم السبت لست ليال خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨، وله ثلاث وستون سنة، ودفن بالحرم، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً، وكان طويلاً أسمر، نحيفاً، خفيف العارضين، يخضب بالسواد، محنك السن، حازم الرأي، قد عركته الدهور، وحلت الأيام سطوته، وروى العلم، وعرف الحلال والحرام، لا يدخله فتور عند حادثة، ولا تعرض له ونية عند مخوفة، يجود بالأموال حتى يقال: هو أسمح الناس، ويمنع في الأوقات حتى يقال: هو أبخل الناس، ويسوس سياسة الملوك، ويثب وثوب الأسد العادي، لا يبالي أن يحرس ملكه بهلاك غيره، وخلف من الأموال ما لم

يجتمع مثله لخليفة قبله ولا بعده، وهو: تسعمائة ألف ألف وستون ألف ألف
ففرق المهدي جميع ذلك حين أفضى الأمر إليه، واستوزر خالد بن برمك
مُدَيِّدَةً، ثم غلب عليه أبو أيوب المورباني النخوزي فاستوزره وقد أتينا بخبر
مقتله وخبر من طرأ بعده من الوزراء فيما سلف من كتبنا، ثم استوزر مولاه
الربيع، وكتب له ابن أبي عطية الباهلي وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبد الله وبه
يؤمن، وعلى قضائه: يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبان بن صدقة، وعثمان بن
عمرو البت، ي وعبد الله بن محمد بن صفوان، وحجابه: عيسى بن روضة،
وأبو الخصيب مرزوق مولاه، والربيع مولاه قبل أن يستوزره.

ذكر خلافة المهدي محمد بن عبد الله المنصور

وبويع المهدي محمد بن عبد الله المنصور، ويكنى أبا عبد الله - وأمه: أم موسى ابنة منصور بن عبد الله بن شهر الحميري، ثم الرعيني في الوقت الذي توفي فيه المنصور وتوفي بالرّد والراق من أرض ماسبذان من الجبال لسبع بقين من المحرم سنة ١٦٩ وله اثنتان وأربعون سنة، وكانت خلافته عشر سنين وخمسة وأربعين يوماً، وكان: حسن الوجه والجسم، أسمر طوالاً، بعينه اليمنى نكتة بياض، كريماً، حبيباً، بذولاً للأموال، حسن العفو، كريم الظفر، لا يدخله غفلة عند تخوفه، ولا يتكل في الأمور على غير ثقة، وصولاً لأرحامه، برّاً بأهله، فيه لين جانب، كثير الولاية والعزل لغير سبب.

واستوزور أبا عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري الطبراني من مدينة طبرية من بلاد الأردن من أرض الشام، ثم يعقوب بن داود مولى بني سليم، ثم أبا صالح الفيض وكان نقش خاتمه: الله ثقة محمد وبه يؤمن وعلى قضائه: عافية بن يزيد الأزدي بن علثة العقيلي، وحُجُبُه: الربيع، والخضر بن سليمان، والفضل بن الربيع.

ذكر خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

وبويع موسى الهادي بن محمد ويكنى أبا جعفر - وأمه أم ولد، يقال لها: الخيزران ابنة عطاء مولدة جُرش من أرض اليمن - في الوقت الذي توفي فيه المهدي، وتوفي بعيساباذ نحو مدينة السلام لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة كانت خلافته سنة وشهراً وخمسة وعشرين يوماً، وكان طوالاً جسيماً، أبيض، أفوه، بشفته العليا بياض، شجاعاً، بطلاً، أشد الناس بدنًا وأجرأه مقدمًا، فيه تسرع وجبرية، ينسب بهما إلى الهوج، وكان كاتبه عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى، ثم استوزر الربيع مولاه واستكتب عمر بن بزيع، وإبراهيم بن ذكوان الحراني.

قال المسعودي: هذا قول الأكثر ممن عني بأخبار خلفاء بني العباس ووزرائهم وكتابهم، وقد ذكر أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح: عم أبي الحسن علي بن عيسى الوزير في كتابه في أخبار الوزراء مما شرحه وزاد فيه أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار: أن موسى الهادي استوزر إبراهيم بن ذكوان الحراني الأعور صاحب طاق الحراني ببغداد من الجانب الغربي، وولي الربيع الأزمّة والخاتم.

وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتابه "في أخبار الوزراء والكتاب": أن الهادي لما قدم مدينة السلام استوزر الربيع مولاه، ثم صرفه عن الوزارة وقلدها إبراهيم بن ذكوان الحراني، وأقر الربيع على دواوين الأزمّة، ولم يزل عليها حتى توفي في سنة ١٦٦ وله ثمان وخمسون سنة فقلد موسى ديوان الأزمّة إبراهيم بن ذكوان، وأبو عبد الله بن عبدوس أحد المتأخرين ممن صنف في أخبار الوزراء والكتاب، وكذلك المعروف بابن

الماشطة الكاتب، وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي الجليس، وعلي بن بني الفتح المعروف بالمطوق، صنف من أخبارهم إلى سنة ٣٦٠.

وكان نقش خاتم الهادي: الله ربي، وعلي قضائه: أبو يوسف صاحب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وهو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب من أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، وعداده في الأنصار، ثم في بني عمرو بن عوف من الأوس، وسعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وحاجبه الفضل بن الربيع.

ذكر خلافة الرشيد

وبويع الرشيد هارون بن المهدي ويكنى أبا جعفر - وأمه: الخيزران أم أخيه الهادي - في الوقت الذي توفي فيه الهادي وباع لابنه محمد بن زبيدة بالعهد بعده، ثم لعبد الله المأمون بعد محمد وولاه الري وخراسان وما اتصل بذلك، وأخذ عليهما العهود والمواثيق بالوفاء، وكتب عليهما بذلك كتابين علقهما في الكعبة، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون، وجعل أمر القاسم للمأمون إذا صار الأمر إليه فإن رأى إقراره أقره، وإن رأى خلعه خلعه، وتوفي بقرية يقال لها: سنا باز من طوس من أرض خراسان يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣، وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وستة عشر يوماً، وكان: تام الخلق، جميلاً، طويلاً، أبيض، مسمماً قد وخطه الشيب، له وفرة إذا حج حلقها، وكان كامل الأخلاق، سمحاً، شجاعاً، كثير الحج والجهاد، حج في خلافته ثماني حجج، وغزا ثماني غزوات، نبهها على الأمور بعد مدة من خلافته، فأفسد الصنائع، وأحب جمع الأموال، واستوزر البرامكة: يحيى بن خالد بن برمك، وابنيه جعفرًا، والفضل، ثم نكبهم في صفر سنة ١٨٧، وقتل جعفرًا وذلك لسبع عشرة سنة خلت من خلافته، ودفع خاتم الخلافة بعد إيقاعه بهم إلى علي بن يقطين، وغلب عليه الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح إلى أن مات، وكان صبيح أبو إسماعيل مولى عتاقة لسالم الأفطس، وسالم الأفطس مولى عتاقة لبني أمية، واختلت أموره بعد البرامكة، وبان للناس قبح تدبيره وسوء سياسته، وكان نقش خاتمه: بالله يثق هارون وقضى له عدة منهم: علي بن حرملة، وعون بن عبد الله المسعودي، وحفص بن غياث، وشريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، ومحمد بن سماعة الجنفي، وحجبه: بشر بن ميمون، ثم محمد بن خالد بن برمك، ثم الفضل بن الربيع.

ذكر خلافة الأمين

وبويع الأمين: محمد بن هارون الرشيد، ويكنى أبا موسى - وأمه زبيدة: أم جعفر ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ١٩٣، وباع له المأمون بخراسان، وكتب إليه بالطاعة والخضوع وامثال أمره ونهيه انقيادًا إلى ما تقدم به العهد، فعمل الأمين في خلعه والاحتيال لذلك، وكتب إليه يأمره بتسليم بعض أعماله إلى من يرسم له فامتنع من ذلك، فكتب إليه يأمره بالمسير إليه لمعاونته على تدبير ملكه فاعتلّ بأمور ذكرها فوجه إليه يسأله تقديم ابنه عليه بولاية العهد، ويرغبه في ذلك ويُرهبه، فأبى وقوى الفضل بن سهل: ذو الرئاستين عزمه على محاربته، فلما عادت الرسل إلى الأمين بذلك بايع لابنه موسى، ولقبه الناطق بالحق، وهو يومئذ صبي صغير، وسرح علي بن موسى بن ماهان في خمسين ألفًا بأعظم ما يكون من القوة والعدد لمحجئه بالمأمون، فندب المأمون للقائه: طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن حمزة الرستمي من ولد رستم بن دستان الشديد وهم موالي خزاعة في الإسلام، وإليهم ينتمون، فنزل الري وسار علي بن عيسى حتى قرب منها، فالتقيا فاقتتلا قتالًا شديدًا، فقتل علي بن عيسى وفضت جموعه واحتوى على عسكره، وذلك لعشر خلون من شعبان سنة ١٩٥؛ فحينئذ سلم علي المأمون بإمرة المؤمنين.

وسمي طاهر: ذا اليمينين، وسار طاهر يفتح بلدًا بلدًا، ويكسر من تلقاه من الجيوش إلى أن نزل حلوان فلاحق به هرثمة بن أعين في جيش كثيف، وكتب إليه المأمون أن يخلي بين هرثمة وبين المسير إلى مدينة السلام، ويسير هو إليها على طريق الأهواز فسار هرثمة حتى نزل ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام، وسار طاهر فافتتح الأهواز، وواسط، والمدائن، واحتوى على الكوفة والبصرة، ونزل بظاهر الجانب الغربي من مدينة السلام، وذلك في سنة ١٩٦

فحاصرها وغادوهم القتال وراو جوهم، وقد كان الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان قدم من الرقة قبل وصول طاهر وهرثمة إلى مدينة السلام في جيش كثيف، وكان مع عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس فلما مات عبد الملك سار على مدينة السلام لثلاث خلون من رجب من هذه السنة، فخلع محمدًا ودعا إلى المأمون فأجابه الناس إلى ذلك وشجن محمد وأمه وولده في مدينة أبي جعفر، وطلب منه الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، ومناهم قدوم هرثمة فأخرجوا محمدًا بعد حبس يومين، وأعادوه إلى حاله، وجددوا له البيعة يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة، وجاءوه بالحسين بن علي فصفح عنه وولاه أمره، ودفع إليه خاتمه: فغدر وهرب يريد هرثمة فلحق فُقِّلَ على فرسخ من بغداد على طريق النهروان، وأُتي محمد برأسه، ودخل هرثمة الجانب الشرقي، وطاهر الجانب الغربي في المحرم سنة ١٩٨، وجدَّ طاهر في القتال إلى أن استولى على أكثر الجانب الغربي وحصر محمدًا بمدينة أبي جعفر المنصور فراسل الأمين هرثمة خفيًا في المسير إليه، وكان أوثق عنده من طاهر فتأهب هرثمة لذلك وصار في حراسة له إلى بعض المشارع وركب معه الأمين وعلم طاهر بذلك فوجه بعده من خاصته فرجموا الحراقة، ونجا محمد الأمين سباحة إلى الشط، وصار في يد بعض أصحاب طاهر فقبض عليه وعرف طاهر خبره؛ فوجه من قتله وجاءوه برأسه؛ فأنفذه إلى المأمون إلى خراسان، وكان مقتله ليلة الأحد لخمس ليالٍ بقين من المحرم من هذه السنة: وهي سنة ١٩٨ وله ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام وكان: حسن الوجه، تام القامة، أبيض، مسمنًا، صغير العينين، بعيدًا ما بين المنكبين، شديدًا في بدنه، باسطًا يده بالعطاء قبيح السيرة ضعيف الرأي، سفَّاكًا للدماء يركب هواه ويهمل أمره، ويتكل في جليلات الخطوب على غيره، ويثق بمن لا ينصحه.

واستوزر الفضل بن الربيع إلى أن استتر الفضل؛ لما تبين من اختلال أمر محمد ووهاء أمره؛ فقام بوزارته من حضر من كتابه كإسماعيل بن صبيح، وغلب عليه عدة من الأولياء منهم محمد بن عيسى بن نهيك، والسندي بن شاهك، وسليمان بن أبي جعفر المنصور، وكان نقش خاتمه: نعم القادر الله وقيل: سائل الله لا يخيب.

وقضاته: محمد بن سماعه، ومحمد بن حبيب، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، وأبو البختري وهب بن وهب القرشي، وحاجبه: العباس بن الفضل بن الربيع.

ذكر خلافة المأمون

وبويع المأمون عبد الله بن هارون ويكنى أبا جعفر - وأمه أم ولد بادية غيسية تسمى مراجل، وكانت البيعة العامة بعد قتل المخلوع يوم الأحد لخمس ليالٍ بقين من المحرم سنة ١٩٨ وبائع للرضي علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالعهد بعده وأزال لبس السواد، ولبس بدله الخضرة، وأخذ الناس بذلك، فاضطرب من بمدينة السلام من الهاشميين، وعظم ذلك على أهل بغداد عامة وعلى الهاشميين خاصة؛ لزوال الملك عنهم ومسيره إلى ولد أبي طالب؛ فأخرجوا الحسن بن مهمل أخا ذي الرئاستين وكان خليفة المأمون على العراق وبائعوا المنصور ابن المهدي فلم يتم له أمر وكان مضعفاً فبايعوا أخاه إبراهيم بن المهدي بالخلافة لخمس خلون من المحرم سنة ٢٠٢ هـ ودعي له على المنابر بمدينة السلام وغيرها فوجه الجيوش لمحاربة الحسن بن سهل وهو بناحية المدائن؛ فكانت الحروب بينهم سجالاً وسار المأمون عن مرو يريد بغداد، ومعه علي بن موسى الرضي، ووزيره القائم بدولته الفضل بن سهل ذو الرئاستين، وقتل الفضل بن سهل غيلة في حمام بسرخس يوم الاثنين لخمس خلون من شعبان من هذه السنة؛ فقتل الرضي في طوس في أول صفر سنة ٢٠٣ ولما قرب المأمون من بغداد اضطرب على إبراهيم من كان يعتمد على نصرته وقعد عنه أكثر من بايعه من الهاشميين وغيرهم؛ فاستتر لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من هذه السنة وقال معاتباً للعباسيين:

فلا جزيت بنو العباس خيراً	على رغمي ولا اغتبطت بري
أتوني مهطعين وقد أتاهم	بوار الدهر بالخير الجلي
وقد ذهل الخواضن عن بنيتها	وصد الشدي عن فم الصبي
وحلّ عصائب الأملاك منها	فشدت في رقاب بني علي

فضجت أن تشد على رءوس تطالبها بمسيرات النبي

وكانت أيامه منذ بويغ إلى أن استتر سنة وأحد عشر شهرًا وأيامًا ودخل المأمون مدينة السلام يوم السبت لثمان عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢٠٤، وأمر بإعادة لبس السواد وتخريق الخضرة بعد ثمانية أيام من قدومه، ولم يزل إبراهيم مستترًا منتقلًا بمدينة السلام إلى أن ظفر به في استتاره ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٠ فعفى عنه المأمون واعتقل مُدبِدة، ثم أطلقه ورد عليه نعمته وأعادته على رتبته، وتوفي المأمون على عين البدندون من أرض الروم مما يلي طرسوس لثلاث عشر ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ هـ وله تسع وأربعون سنة، ودفن بطرسوس؛ فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يومًا وكان أبيض يعلوه صفرة، أجنى، طويل اللحية، ضيق الجبين، كاملاً، عالماً، جواداً، عظيم العفو، كريم المقدر، ميمون النقيبة، حسن التدبير، جليل الصنائع، لا تخدعه الأمانى ولا تجوز عليه الخدائع، علمه بما بعد عنه من ملكه كعلمه بما حضره، وربما حرك منه الغضب فعجل بالعقوبة.

واستوزر الفضل بن سهل، ثم أخاه الحسن بن سهل؛ فلما أظهر العجز عن الخدمة لعوارض من العلل ولزم منزله؛ عدل المأمون إلى استكتاب كتاب لعلمه بكتابتهم وجزالتهم، وأنه ليس في عصرهم من يوازيهم ولا يدانيهم؛ فاستوزرهم واحداً بعد واحد؛ أولهم أحمد بن أبي خالد الأحول؛ وكان ينوب عن الحسن بن سهل لما تخلف في منزله فلما دعاه المأمون إلى أن يستوزره قال: يا أمير المؤمنين اجعل بيني وبين الناس منزلة يرجوني لها صديقي، ويخافني بها عدوي؛ فما بعد الغايات إلا الآفات، ثم أحمد بن يوسف، ثم أبا عباد ثابت بن يحيى وعمرو بن مسعدة بن صول وكان يجري مجراهم ولا يعده كثر من الناس في الوزراء.

ثم استوزر بعد هؤلاء محمد بن يزداد بن سويد وتوفي المأمون وهو على وزارته ولم يملك المأمون بعد الفضل بن سهل كتابه أمره؛ لقيامه بالملك واضطلاعه به، ولم ير أحداً أنه مفتقر إلى وزير يشركه في تدبيره، ولم يكن يُسمَّى بين يديه أحد من كتابه وزيراً ولا يكاتب بذلك؛ فلأجل ذلك ترك كثير من الناس أن يعد من ذكرنا في الوزراء، ورأيت من صنف كتاباً في أخبار الوزراء الكتاب كأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح ومحمد بن يحيى الصولي الجليس ومحمد بن عبدوس والجهشياري والمعروف بابن الماشطة الكاتب.

ومنهم من عدّهم في الوزراء ومنهم من لم يعدّهم؛ للسبب الذي بينا، وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبد الله وبه يؤمن.

وقاضيه: محمد بن عمر الواقدي ويحيى بن أكثم، وحجابه: شبيب بن حميد بن قحطبة، ثم علي بن صالح صاحب المصلّى، ثم محمد بن حماد بن دنقش.

ذكر خلافة المعتصم

وبويع المعتصم محمد بن هارون الرشيد ويكنى أبا إسحاق - وأمه أم ولد تسمى ماردة في الوقت الذي توفي فيه المأمون، وكان قدومه إلى مدينة السلام غرة شهر رمضان سنة ٢١٨ وبعث بالأفشين وغيره من الأمراء وقواد العساكر؛ لحرب بابك الخرمي بأذربيجان في سنة ٢٢٠.

وكان الفتح وأسر بابك في شهر رمضان؛ وقيل: شوال سنة ٢٢٢ ومُحِل إلى سُرٍّ مَنْ رَأَى فَقُتِلَ بها في صفر سنة ٢٢٣ فكان من أدركه الإحصاء ممن قتله بابك في اثنتين وعشرين سنة من جيوش المأمون والمعتصم من الأمراء والقواد وغيرهم من سائر طبقات الناس في القول المقلل خمسمائة ألف، وقيل أكثر من ذلك، وإن الإحصاء لا يحيط به كثرة.

وكان بخروجه في سنة ٢٠٠ في خلافة المأمون وقيل سنة ٢٠١ بجبل البذين من بلاد أذربيجان في الجاوذانية أصحاب جاوذان بن شهر ك الخرمي صاحب بابك وغيرهم.

قال المسعودي: وقد ذكرنا في كتابنا "المقالات في أصول الديانات" وفي كتاب "سر الحياة" مذاهب اخرمية الكوذية منهم والكودشاهية وغيرهم، ومن منهم بنواحي أصبهان والبرج وكرج أبي دلف، والززين زز معقل وزز أبي دلف، ورستاق الورسنجان، وقسم وكودشت من عمال الصيمرة من مهرجان قذق وبلاد السيروان وأربوجان من بلاد ماسبذان وهمذان وماه الكوفة وماه البصرة وأذربيجان وأرمينية وقم وقاشان والري وخراسان وسائر أرض الأعاجم وغيرها وما بينهم من التنازع وما بين الفريقين وبين المحمرة والمزدقية والمাহانية وغيرهم من اخلاف، وما جرى لنا من المناظرات مع من شاهدنا منهم في هذه المواطن وما ينتظره الجميع في المستقبل من الزمان

الآتي من عود الملك فيهم ومن خلع في الإسلام منهم، وظهر من عهد الهرمزان الذي قتله عبيد الله بن عمر بن الخطاب عند وفاة أبيه عمر إلى وقتنا هذا وغير ذلك واستقصينا الكلام على هؤلاء وغيرهم من أصحاب الاثنين، وجميع من قال بالقدم على تباينهم، وسائر من خالف التوحيد، وباين ملة الإسلام في كتاب "الإبانة في أصول الديانة" وكتابتنا هذا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر.

وخرج المعتصم إلى أرض الروم غازيًا فافتتح أنقرة ومدينة عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ وكان سخطه على الأفشين خيذر بن كاوس الأشروسي سنة ٢٢٥ وتوفي المعتصم بسر من رأى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ وله ست وأربعون سنة وعشرة أشهر وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين وكان أصهب أبيض حسن الجسم جميل الوجه، مربوعًا مشربًا حمرة، عريض الصدر شديد البدن طويل اللحية لم يشب وكان الرجل الذي لا يقاس به الرجال قوة بدن وشدة بأس وشجاعة قلب وكرم أخلاق أثر من استحدث من غلمان الأتراك على المتقدمين من أوليائه ونصحاء آبائه وكان يسمى الخليفة المثلث لأنه الثامن من خلفاء بني العباس وكان مولده سنة ٢١٨ وولي الخلافة سنة ٢١٨ وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وفي قول بعضهم: إنه مات عن ثمانية بنين وثمان بنات وخلف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم وكانت له ثمانية فتوح عظام منها: أسره بابك والملازيار بن قارن صاحب جبال طبرستان وقهره المحمرة من الخرمية وكانوا مائتي ألف قد غلبوا على بلاد الماهات والجبل وعظمت شوكتهم واشتد أمرهم وأسره البوراج وهي مراكب الهند، وكان فيها منهم عسكر عظيم قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة، ثم أخلاؤه الزط عن البطائح، وما كانوا غلبوا عليه مما دون البصرة، ومما بين البصرة وواسط وقطعهم السيل وسفكهم الدماء وكانوا خلقًا عظيمًا كثيرًا، ناقلة عن ناحية الهند لغلاء وقع هنالك فتنقلوا في بلاد

كرمان وفارس وكور الأهواز إلى أن صاروا إلى هذه المواضع فسكنوها وغلبوا عليها، وعظم أمرهم، واشتد بأسهم فأنزلهم بلاد خانقين وجلولاً من طريق خرسان وبلاد عين زربة من الثغر الشامي ومذ يومئذ صارت الجواميس بالثغر الشامي ولم تكن تعرف هنالك وقيل: إن بدء الجواميس بالثغر الشامي وسواحل الشام من جواميس كانت لآل المهلب ببلاد البصرة والبطائح والطفوف، فلما قتل يزيد بن المهلب؛ نقل يزيد بن عبد الملك بن مروان كثيراً منها إلى هذه النواحي، ثم قتلته جعفر بن مهريش الكردي، وكان ذا عدة عظيمة بين الموصل وأذربيجان وأرمينية، قد تغلب على البلاد وأخاف السبيل وبسط يده في القتل، ثم هزيمه الإفشين لتوفيل ملك الروم، ثم فتحه عامورية، وأسره ياطس بطريقها، وهي أعظم مدنها بعد القسطنطينية، وقد أتينا على شرح هذه الحروب والوقائع في كتابنا في "أخبار الزمان ومن أباده الحداث من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة".

واستوزر الفضل بن مروان وكان كاتبه قبل الخلافة، ثم أحمد بن عمار بن شاذي البصري وقيل: بل كان خاصاً به يتولى عرض الكتب عليه ولم يكن وزيراً، واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات، وكان نقش خاتمه: الحمد لله الذي ليس كمثل شيء وهو خالق كل شيء، وقضاته: جعفر بن عيسى الحسني من ولد الحسن بن أبي الحسن البصري، وشعيب بن سهل ومحمد بن سماعه، وقاضي القضاة أحمد بن أبي داود الإيادي، وكان يذهب في الفقه مذهب البصريين وهي طريقة الحسن البصري وعبيد الله بن الحسن العنبري وعثمان البتي والأصم وغيرهم، وتحلفه أبو الوليد ابنه وحاجباه: محمد بن حماد بن دنقش، وبُعَا الكبير.

وهو أول خليفة من خلفاء بني العباس انتقل عن مدينة السلام منذ بناها المنصور؛ وكان السبب في ذلك أن أهلها كرهوه وتأذوا بجواره حين كثر عبيده

الأثرالك وغيرهم من الأعاجم لما كانوا يلقون منهم من غلظتهم وربما وثبت العامة على بعضهم فقتلوه لصددهم إياهم في حال ركضهم فأحب التنحي بهم والانفراد عن مدينة السلام، فخرج في آخر سنة ٢٢٠ إلى ناحية القاطول فنزل قصرًا كان للرشيد هنالك وهم أن يبنني في ذلك الموضع مدينة، ثم بداله ولم يزل يتنقل في تلك النواحي حتى وقع اختياره على موضع سامراي وهو في بلاد كورة الطيرهان فابتدأ بينائها في سنة ٢٢١، وسماها سر من رأى وكملت في أسرع مدة، وعظمت عمارتها واتصلت أسواقها وقصورها ونقلت إليها الدواوين والعمال وبيوت الأموال، وقصدها الناس لنزول الخليفة بها وطبيها وحسن موقعها وعمارتها وصنوف مكاسبهم، وقد ذكر أنها كانت قديمة مسماة بهذا الاسم سميت: بسام بن نوح وإنما كانت أهلة عظيمة عامرة فلم تنزل تتناقص على مر الزمان، وكان آخر خرابها في أيام فتنة الأمين والمأمون.

وإن موضع قصر المعتصم كان ديرًا للنصارى وأراضي فابتاعها منهم وسر من رأى آخر المدن العظيمة التي أحدثت في الإسلام وهي سبع ونحن ذكروها في هذا الموضع؛ لما تقتضيه الحال من ذكرها وحسن موقعها عند جمعها واتصال نظمها.

فالأولى منها: البصرة وكان تمصير عتبة بن غزوان أحد بني مازن بن منصور، وأخوه سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر لبصرة في المحرم سنة ١٧ للهجرة وبني مسجدها، ومن الناس من يرى أنها مٌصّرت في أحد شهري ربيع سنة ١٦، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إليها من المدائن بعد فراغ سعد ابن أبي وقاص من حرب الفرس بجلولاء الواقعة، وإن عتبة قدم البصرة وهي يومئذ تدعى أرض الهند، فيها أحجار بيض؛ فنزل موضع الخريبة، وذهب أبو منخف لوط ابن يحيى الغامدي، وأبو الحسن على بن محمد المدائني، والهيثم، ثم بن عدي، وغيرهم إلى أن نزول عتبة بن غزوان

موضع البصرة كان في سنة ١٤ وأن عمر كان أنفذ عتبة إلى ما هنالك؛ لقطع مواد الفرس عن المدائن وما حولها.

قال المسعودي: ومن ههنا أغفل من ذهب إلى أن البصرة مصرت في هذه السنة.

والثانية: الكوفة تنوزع في تمصير سعد بن أبي وقاص الكوفة؛ فمنهم من قال كان ذلك في سنة ١٧ أيضًا وإلى هذا ذهب الواقدي في آخرين، وذهب آخرون إلى أنها مُصِّرت سنة ١٥، وأن عبد المسيح بن ببيعة الغساني دُلَّ سعدًا على موضعها وقال: أدلك على أرض ارتفعت عن البق وانحدرت عن الفلاة، ولا خلاف بينهم جميعًا أن البصرة والكوفة بنيتا بعد فتح المدائن دار مملكة فارس وخروج الملك يزدجرد ابن شهريار بن كسرى أبرويز عنها إلى حلوان، ووقعة جلولاء الواقعة.

والثالثة فسطاط مصر: كان تمصير عمرو بن العاص فسطاط مصر سنة ٢٠ وكان مسيره إليها وحروبه مع أهلها سنة ١٩ على ما في ذلك من التنازع، كذلك ذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتابه في "فتوح البلدان" أن اسم الحصن الذي كان قتالهم عليه وهو وسط مدينة الفسطاط واليوم يعرف بقصر الشمع بابلون، وقيل: أليونة فسماها المسلمون فسطاطًا؛ لأنهم قالوا: هذا فسطاط القوم ومجمعهم.

وذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المصري في كتابه "في فتوح مصر الإسكندرية والمغرب والأندلس وأخبارها" أن عَمْرًا أقام محاصرًا لهم سبعة أشهر إلى أن افتتحها وسار إلى الإسكندرية، فلما فرغ من فتحها ورأى منازلها، وأبنيتها مفروغًا منها همَّ أن يسكنها، وقال: مساكن قد كفيناها؛ فكتب إلى عَمْرٍ يستأذنه في ذلك، فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، النيل؛ فكتب عمرو إلى عمرو:

إني لا أحب أن ينزل المسلمون منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف؛ فتحول عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط.

قال عبد الرحمن وغيره: وإنما سميت الفسطاط؛ لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فإذا فيه يمام قد فرّخ؛ فقال عمرو: لقد تحرم بمتحرم، فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب قصر الشمع، فلما قفل المهلمون من الإسكندرية قالوا: أين ننزل؟

فقال بعضهم: الفسطاط؛ لفسطاط عمرو الذي كان خلفه؛ فنزلوا ووضعوا أيديهم في البناء، ولم يزل عمرو قائماً حتى وضعوا قبلة المسجد.

والرابعة الرملة: لما ولّى الوليد بن عبد الملك أخاه سليمان جند فلسطين؛ نزل لد، ثم أحدث مدينة الرملة ومَصْرَهَا، وكان أول ما بني قصره والدار التي تعرف بدار الصباغين إلى هذا الوقت، وأذن للناس فبنوا، واحتفر لهم القناة التي تدعى بردة، وآباراً كثيرة، واختط للمسجد خطة وبناه؛ فولي الأمر قبل استتمامه وبني فيه في أيامه وأتمه عمر بن عبد العزيز بعده، غير أنه نقص من الخطة، وقال: أهل الرملة يكتفون بهذا المقدار الذي اقتصرت عليه، كذلك ذكر أحمد بن يحيى البلاذري.

والخامسة واسط العراق: كان بناء الحجاج مدينة واسط العراق سنة ٨٣ أو ٨٤ فيما ذكر أحمد بن يحيى، وبني مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها، وكانت أرض قصب؛ فلذلك سميت واسط القصب، وبينها وبين البصرة والكوفة والأهواز وبغداد مقدار واحد، وهو خمسون فرسخاً.

والسادسة مدينة السلام: كان ابتداء أبي جعفر المنصور ببناء مدينته المنسوبة إليه في الجانب الغربي من بغداد سنة ١٤٥، وكان هناك دير عادي مما يلي الصراة وباغ: وهو البستان بالفارسية؛ فقبل بغداد لأجل ذلك.

وقيل: إنه كان موضع صنم يقال له: باغ قبل ظهور المجوسية، وغلبة فارس على هذا الصقع والأول أشهر، كذلك ذكر ابن أبي طاهر في كتابه "في أخبار بغداد" وغيره من المصنفين، فلما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة، وأخوه إبراهيم بالبصرة شخص المنصور إلى الكوفة ولم يزل مقيماً بها إلى أن قتلا؛ فعاد إلى بغداد سنة ١٤٦، واستتم بناءها وسماها مدينة السلام، وحول بيوت الأموال والدواوين إليها، ثم بنى للمهدي الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد، وكان هذا الجانب يدعى عسكر المهدي؛ لمعسكره فيه عند شخوصه إلى البري، فلما عاد نزل الرصافة سنة ١٥١ واتصلت الأبنية في الجانبين جميعاً، ويسمى الجانب الغربي من بغداد الزوراء لازورار الناس في قبلتهم، والجانب الشرقي الروحاء إلى وقتنا هذا.

والسابعة: سُرَّ من رأى على ما قدمنا.

ذكر خلافة الواثق .

وبويع الواثق هارون بن محمد المعتصم ويكنى أبا جعفر - ولأمه أم ولد تسمى قراطيس - في الوقت الذي توفي فيه المعتصم، وهو يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٣٧، وتوفي بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة ٢٣٢، وهو ابن اثنتين وأربعين سنة.

وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وكان أبيض مشرباً حمرة، حسن الجسم، عريض الصدر، كث اللحية، في عينيه نكتة بياض يذهب في كثير من أموره مذاهب المأمون، شغل نفسه بمحنة الناس في الدين؛ فأفسد قلوبهم، وأوجد لهم السبيل إلى الطعن عليه، وكان وزيره محمد بن عبد الملك الزييات على ما كان عليه في أيام المعتصم، ونقش خاتمه: الله ثقة الواثق، وقاضيه أحمد بن أبي دواد، وحجابه محمد ابن حماد بن دنقش، وإيتاخ، ووصيف.

ذكر خلافة المتوكل

وبويع المتوكل: جعفر بن محمد المعتصم - ويكنى أبا الفضل - وأمه أم ولد طخارستانية تسمى شجاع - في اليوم الذي توفي فيه الواثق، وبايع لبنه الثلاثة بولاية العهد بعده المنتصر، وأبي عبد الله المعتز، وإبراهيم المؤيد، وجفا الموالي من الأتراك، وأطرحهم، وخطَّ مراتبهم، وعمل على الاستبداد بهم، والابتظهار عليهم، وضم إلى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان نحوًا من اثني عشر ألفًا من العرب، والصعاليك، وغيرهم برسم المعتز، وكان في حجره وضاق عليهم المال بشركة هؤلاء معهم فيه، وجعل يحيل الآراء في استئصالهم، ونال ابنه محمدًا بأنواع الذلة والهوان؛ فأجمع على قتله فواطأ وصيفًا وبغًا، وغيرهم من الموالي على الفتك به؛ فأعدوا لذلك عدة من أصاغر الموالي منهم باغر وغيره فقتلوه بمدينة المسماة الجعفرية من سُرَّ من رأى ليلة الأربعاء ثلاث ليالٍ خلون من شوال سنة ٢٤٧، وله إحدى وأربعون سنة.

وكانت خلافته أربع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، وكان أسمر، رقيق البشرة يضرب لونه إلى الصفرة حسن الوجه خفيف العارضين، كبير العينين، وكان سليماً مجيباً إلى الغاية، رفع المحنة ومنع الجدل في الدين، ووضعت له الدنيا فنال منها أعظم الحظ على إشاره المهرل، والمضاحك، والأمور التي تشين الملوك.

واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات نحوًا من أربعين يومًا من خلافته ثم قتله، واستوزر محمد بن الفضل الجرجرائي، ثم استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزي، ووزر وأبوه يحيى بن خاقان حي، وكان نقش خاتمه: جعفر على الله يتوكل، وعلى قضائه: يحيى بن أكثم، وجعفر بن محمد البرجمي، وعلى حجابته: وصيف وبغًا وزرافة.

ذكر خلافة المنتصر محمد

وبويع المنتصر محمد بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا جعفر - وأمه أم ولد رومية تسمى حبشية - صبيحة الليلة التي قُتل فيها المتوكل، وتوفي بسرٍّ من رأى لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨، وله ثمان وعشرون سنة مسموماً فيما قيل وإن الموالي لما علموا سوء نيته فيهم، وأنه على التدبير عليهم؛ بادروه بذلك فكانت خلافته ستة أشهر ويوماً، وكان مربوعاً، حسن الوجه، أسمر، مسمناً، ذا شهامه، ومعرفة، وإمساك للمال، وحفظ له؛ حتى أنكر الناس عليه البخل، وشدة المنع، واستوزر أحمد بن الخنصيص إلى أن مات، وكان نقش خاتمه: محمد بالله يتصر، وقاضيه: جعفر بن محمد، وقيل: جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، وحاجباه: وصيف وبغا.

ذكر خلافة المستعين

وبويع المستعين أحمد بن محمد بن محمد المعتصم، ويكنى أبا عبد الله - وأمه أم ولد يقال لها: مخارق - في اليوم الذي توفي فيه المتنصر، وغلب على التدبير، والأمر، والنهي أوتامش ابن أخت بُعَا الكبير، وكاتبه شجاع بن القاسم إلى أن شغب الموالي فقتلوه، وكاتبه للنصف من شهر ربيع الأول سنة ٢٤٩، ولم يزل مقيماً بسرٍّ من رأى إلى أن قتل وصيف وُبُعَا باغرُ التركي: أحد المتقدمين في قتل المتوكل؛ فشغب الموالي وتحزبوا؛ فأنحدر ومعه وصيف وُبُعَا إلى مدينة السلام لثلاث خلون من المحرم سنة ٢٥١.

وبايع الأتراك بسرٍّ من رأى أبا عبد الله المعتز؛ لحرب مَنْ بمدينة السلام؛ فكانت الحروب بينهم سنة إلا أياماً يسيرة، والقيم بأمر المستعين: محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أن خلع المستعين نفسه، وسم الخلافة إلى المعتز لليلتين خلتا من المحرم سنة ٢٥٢، وقتل بقادسية سُرٍّ من رأى يوم الأربعاء لثلاث ليالٍ خلون من شوال من هذه السنة، وهو ابن خمس وثلاثين سنة؛ فكانت خلافته منذ بويع إلى أن خلع ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوماً، ومنذ خلع إلى أن قُتِلَ تسعة أشهر، وكان مسمناً، حسن الوجه، أسود اللحية، لين الجانب، منقاداً لاتباع مهملات الأمور، شديد الخوف على نفسه؛ فأداه خوفه وقلة أمنه إلى الهرب عن دار ملكه، وقرار عزه، وأدبرت الأمور عنه، واستوزر أحمد بن الحبيب، ثم سخط عليه فكانت الوزارة مرسومة بأوتامش التركي، وكاتبه شجاع بن القاسم يدبر الأمور، ثم استوزر بعد قتل أوتامش، وشجاع أحمد بن صالح بن شيرزاد، وكان نقش خاتمه في الفص المعروف بالجبل: أحمد بن محمد، وقاضيه الحسن بن أبي الشوارب الأموي، وحاجباه، وصيف وُبُعَا.

ذكر خلافة المعتز

وبويع المعتز الزبير بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا عبد الله - وأمه أم ولد رومية تسمى قبيحة - البيعة العامة يوم الخميس لثلاث ليالٍ خلون من المحرم سنة ٢٥٢ بعد خلع المستعين نفسه، وصار إليه وصيف وبُغَا؛ فردهما إلى مراتبهما ولم يزل يعمل في الحيلة عليهما إلى أن شغب الموالي فقتلوا وصيفاً يوم الجمعة، سلخ شوال سنة ٢٥٣، ثم ركب المعتز في بعض الليالي، وقد بلغت عن بُغَا غرة؛ ليوقع به فهرب بُغَا إلى نواحي الموصل، ثم عاد مختفياً في زورق صغير منحدرًا في دجلة؛ لتدبير يوقعه على المعتز فعلم فظفر به بجسر سُرٍّ من رأى، وعرف المعتز خبره فأمر بقتله فُقُتِلَ سلخ ذي القعدة سنة ٢٥٤، وحمل رأسه إليه فغلب على الأمر وتفرد بالتدبير صالح بن وصيف، وكانت نيته للمعتز فاسدة، وبلغ صالحًا التدبير عليه؛ فقبض عليه، وخلع لثلاث ليالٍ بقين من رجب سنة ٢٥٥، وقتل سُرٍّ من رأى لثلاث خلون من شعبان من هذه السنة وله أربع وعشرون سنة.

وكانت خلافته منذ خلع المستعين إلى أن خلع هو ثلاث سنين، وستة أشهر، وأربعة وعشرين يومًا، وكان أبيض، حسن الوجه، أسود الشعر، حسن العينين، لم ير في الخلفاء مثله جمالًا، يؤثر اللذات ويعدم الرأي تدبره، أمه قبيحة وغيرها، وغلب على أموره، وقهر في سلطانه، واستوزر جعفر بن محمود الإسكافي، ثم عيسى بن فرخان شاه، ثم أحمد بن إسرائيل.

وكانت الكتب تخرج باسم صالح بن وصيف كأنه مرسوم بالوزارة؛ لغلبيه على الأمر، وكان نقش خاتمة: المعتز بالله، وقاضيه الحسن بن أبي الشوارب الأموي، وعلى حجبه صالح بن وصيف وبديكباك.

ذكر خلافة المهدي محمد بن هارون

وبويع المهدي محمد بن هارون الواثق، ويكنى أبا عبد الله - وأمه أم ولد رومية تسمى قُرب - يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من رجب سنة ٢٥٥، والغالب على الأمر والقيم بالتدبير صالح بن وصيف إلى أن قدم موسى بن بُغَا الكبير من الري، وكان هناك عاملاً منكرًا ما جرى على المعتز، وكتب إليه المهدي في الرجوع من حيث أقبل، ووجه إليه رسلاً في ذلك فأبى، وكانت موافاته سُرَّ من رأى في المحرم سنة ٢٥٥، ولما قرب منها اختفى صالح بن وصيف، وأطلق المهدي لسانه في موسى بن بغا ونسبه إلى المعصية؛ لمجيئه بغير إذن إلى أن أخذ كل واحد منهما على صاحبه الأيمان والمواثيق بالوفاء، والمناصحة، وطلب صالح طلبًا حثيثًا فظفر به؛ وقتل لثمان بقين من صفر من هذا السنة، وغلظ أمر مساور بن عبد الحميد الشاري مولى بجيلة ببلاذ الموصل، وشهرزور، والجبال وغيرها من البلاد؛ فتجهز موسى بن بُغَا للخروج إليه ومعه بايكباك في جيش عظيم؛ فخرجوا إليه فلقياه وهزماء وقتلا من أصحابه جمعًا؛ فكتب المهدي إلى بايكباك بالفتك بموسى وتسلم العسكر؛ فأطلع بايكباك موسى على الكتاب وسار إلى سُرَّ من رأى لموافقة المهدي على كتابه، فلما حصل عنده قبض عليه وشغب أصحابه؛ فرمى إليهم برأسه، وذلك في رجب من هذه السنة.

وخرج أبو النصر بن بُغَا أخو موسى فخرج فعسكر بخارج سُرَّ من رأى في جمع الموالي؛ فوجه إليه المهدي فأعطاه الأمان فلما صار إليه قتله؛ فتنكر له الموالي، وشغبوا عليه فخرج لحربهم في المغاربة، والفراغنة، والأشروسنية، واستنصر بالعامّة؛ فهزموه وأسر، وبه ضربات مثخنة وقتل سُرَّ من رأى لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦، وله أربعون سنة وأربعة أشهر.

وكانت خلافته أحد عشر شهرًا، وثمانية عشر يومًا، وكان مربوعًا، حسن الجسم، رطب الجبهة، أشهل العينين، عظيم البطن، طويل اللحية، أجلح، وكان ورعًا كاد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية هذبًا، وفضلًا، وقصدًا، ودينًا، فصنادف أقوامًا لا يجوز عندهم أخلاق الدين ولا يريدون إلا أمر الدنيا فسفكوا دمه، وتشتت أمورهم بعده، واستوزر في أيامه على قصرها جماعة كل سلم عليه بالوزارة منهم: جعفر بن محمود الإسكافي، ومحمد بن أحمد بن عمار، وسليمان ابن وهب، وكان نقش خاتمه: محمد أمير المؤمنين، وقاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب، وحجابه: صالح بن وصيف، ثم موسى بن بُعَا وعبد الله بن دكين.

ذكر خلافة المعتمد

وبويع المعتمد أحمد بن جعفر المتوكل، ويكنى أبا العباس - وأمه أم ولد تُسمى فتيان - يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦، فأهمل أمور رعيته، وتشاغل بلهوه ولذاته حتى أشفى الملك على الذهاب فغلب على أمره وتدبير ملكه وسياسة سلطانه أخوه: أبو أحمد الموفق طلحة بن جعفر المتوكل، ويُسمى بالناصر لدين الله، وصيره كالمحجور عليه، ولا أمر ينفذ له ولا نهي؛ فقام بأمر الملك أحسن قيام، وقمع من قرب من الأعداء واستصلح من نأى على كثير ما كان يلقي من اعتراض الموالي وسوء طاعتهم وتشغبهم، فلم تزل أمور الموفق جارية على ذلك إلى أن توفي بمدينة السلام في صفر سنة ٢٧٨.

قال المسعودي: وكان خروج المعتمد من سُرَّ مَنْ رَأَى إلى مدينة السلام يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٦٢، في جيوشه للقاء الصفار؛ فاجتاز بها وصار إلى الموضع المعروف باضطربذ بين السيب، ودير العاقول من شاطئ دجلة فكانت الوقعة هناك مع يعقوب بن الليث الصفار يوم الأحد لسبع خلون من رجب من هذه السنة؛ فهُزم الصفار واستيحت عساكره، وعاد المعتمد إلى سُرَّ مَنْ رَأَى في شعبان من هذه السنة، وسار الصفار إلى جند يسابور من كور الأهواز؛ فتوفي بها في شوال سنة ٢٦٥.

وكان مقتل علي بن محمد صاحب الزنج المنتمي إلى آل أبي طالب في صفر سنة ٢٧٠، وكان ظهوره بالموضع المعروف ببرنخل ناحية المفتح من أعمال البصرة للنصف من شوال سنة ٢٥٤، في خلافة المهدي وغلب على البصرة، وأكثر كور الأهواز وما يلي أرجان من أرض فارس، وواسط إلى الموضع

المعروف بالنعمانية، وجرجرايا من شاطئ دجلة إلى الطفوف، ونواحي الكوفة وغير ذلك من النواحي.

وكانت أيامه مذ نجم إلى أن قُتِلَ أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وتنوزع في عدة من قتل من أصحاب السلطان وغيرهم من الرجال والنساء والصبيان بالسيف، والحرق، والغرق، والجوع فمنهم من يقول: إن ذلك ألف ألف، وأكثرهم يرى أن ذلك لا يحيط به الإحصاء ولا يحصره العدد كثرةً وعظماً، وأدخل رأسه بغداد بين يدي المعتضد وقد زينت له الطرق، وعقدت له القباب يوم الاثنين لأربع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٧.

وتوفي المعتمد ببغداد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٣٧٩، وله خمسون سنة وأشهر، وقيل: ثمان وأربعون سنة فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام، وكان حسن الجسم، كبير العينين طويلاً جسيماً طويل اللحية عظيم الهامة، وولي الخلافة على وجل من أوليائه وحذر من مواليه، فردّ الأمور إليهم حتى قام بالأمر أخوه أبو أحمد الموفق على ما قدمنا، واستوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ثم الحسن مخلج بن الجراح، ثم سليمان بن وهب، ثم الحسن بن مخلد ثانية، ثم أبا الصقر إسماعيل بن بلبل، ثم الحسن بن مخلد ثالثة، ثم أبا بكر بن صالح بن شيرزاد، ثم إسماعيل بن بلبل ثانية، وكان نقش خاتمه المعتمد على الله يعتمد، وقاضيه الحسن بن محمد بن أبي الشوارب، ثم أخوه علي بن محمد، وحجبه يارجوخ الترك وكيغلع وحسنج: وهو الحسن بن ترتك وخطارمش وبكتمر.

ذكر خلافة المعتضد

وبويع المعتضد أحمد بن طلحة الموفق ويكنى أبا العباس، وأمه أم ولد تسمى حقيير يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩، وتوفي بمدينة السلام ليلة الأحد، وقيل: الثلاثاء لثمان بقين، وقيل: لست ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩، وله سبع وأربعون سنة فكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وكان نحيفاً ربعة من الرجال حسن اللحية خفيف العارضين يخضب بالسواد سريع النهضة عند الحادثة قليل الفتور يتفرد بالأمور ويمضي تدبيره بغير توقف، ولي الأمر بضبط وحركة وتجربة، وكف من كان يتوثب ويتشعب من الموالي، واستوزر بعد القبض على الوزير إسماعيل بن بلبل عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم القاسم بن عبيد الله، وكان نقش خاتمه الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء، وقاضيه أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد مولى الجهاضم من الأزد، وكان مالكي المذهب، ثم يوسف بن يعقوب وهو ابن عم إسماعيل، وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز الحنفي البصري على قضاء الشرقية، وحاجبه صالح الأمين، ثم خفيف السمرقندي، ولم يل الخلافة من بني العباس بعد السفاح والمتصور إلى وقتنا هذا من لم يكن أبوه خليفة إلا المستعين والمعتضد.

ذكر خلافة المكتفي

وبويق المكتفي علي بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا محمد، وأمه أم ولد يقال لها: خاضع، وتلقب جيكتق في الوقت الذي توفي فيه المعتضد، وتوفي بمدينة السلام ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥، وله إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر، وقيل: أكثر من ذلك، وكانت خلافته ست سنين وتسعة عشر يوماً وكان دقيقاً أسمر اللون أعين قصيراً حسن الشعر واللحية كبيرهما حسن الوجه والبدن أفضي الأمر إليه بعد توطئة أبيه الأمور له فبلي بكثرة الفتوق عليه واضطراب الأطراف وكان ماله جمّاً وجيوشه كثيفة؛ فقام بتلك الأمور مقتضياً فعال أبيه محتذياً طرائقه، ولم يكن ممن يوصف بشجاعة ولا جبن، واستوزر القاسم بن عبيد الله على ما كان عليه في أيام المعتضد، ثم العباس بن الحسن وزر وأبوه الحسن بن أيوب بن سليمان حي، وكان نقش خاتمه كنقش خاتم أبيه المعتضد: الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء، وعلى قضائه يوسف بن يعقوب وابنه محمد بن يوسف وأبو خازم، ثم صير مكانه عبد الله بن علي بن أبي الشوارب الأموي، وحاجبه خفيف السمرقندي، ثم سوسن مولاه.

ومما كان في أيام المكتفي من الحوادث العظيمة التي يجب ذكرها خروج القرمطي صاحب الشام المكنى أبا القاسم المتمي إلى آل أبي طالب، وليس منهم في قبائل الكلبيين مما يلي السماوة سنة ٢٨٩، وسار إلى ناحية الرقة من بلاد مضر فلقية سبك الديلمي عاملها فاصطلمه القرمطي، ومن معه من الجنود، وسار إلى نواحي دمشق فلقية طعج بن جف الفرغاني عامل دمشق وحصص والأردن لهارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر والشام بالموضع المعروف بوادي القردان والأفاعي من أعمال دمشق سلخ رجب سنة ٢٨٩، وأول..... أن معه من القواد..... لموضع المعروف بالكدة..... ن من

شهر ربيع الأول سنة ٢٩٠؛ فهزمه أيضًا، قتل خلقًا من أصحابه، وحصره بدمشق ثلاثة أشهر وعشرين يومًا يقاتله أشدَّ قتال، والحرب بينهما سجال وتقرمط أكثر من حول دمشق من الغوطة وغيرها، وعاضدوه فوافت عساكر المصريين، وانضمَّ إليه طعج؛ فواقعوه بالموضع المعروف بكنّاكر وكوكبا على يوم من دمشق غرة رجب من هذه السنة؛ فقتل القرمطي في المعركة، وانهزم المصريون بعقب ذلك؛ فبايع القرامطة أخاه يكنى أبا الحسن وعاودوا حصار دمشق يغادون أهلها القتال، ويراو حوّنهم وقد أسلمه سلطانهم وخرج منهم ورحل القرمطي عنهم إلى حمص يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب من هذه السنة، فأقام بها ووجّه إلى مدينة بعلبك من أعمال دمشق، فأباد أهلها؛ فنهض المكتفي حينئذ عن مدينة السلام في عساكره، وقدم أبا الأغر خليفة المبارك بن خليفة السلمي أمامه؛ فنزل أبو الأغر بظاهر مدينة حلب ووجه القرمطي سرية كبسته فأنت على أكثر من كان معه، وذلك لعشر بقين من شهر رمضان من هذه السنة، واجتاحت ما بين حمص وحلب وأنطاكية المكتفي، وأنهض الجيوش بنواحي البر مما يلي شيزر من المحرم سنة من أصحابه، وأسر جمع كثير، ووقع بين من بقي منه تحزّب ففارقهم القرمطي مخفيًا وعمل بالمصير إلى ناحية الكوفة فظفر به وإلى الدالية من أعمال الرجة وسقي الفرات، ومعه أربعة نفر أو خمسة فقبض عليه وحمل إلى المكتفي بالرقّة؛ فأدخل يوم الاثنين لأربع ليال بقين من المحرم من هذه السنة، ثم دخل المكتفي مدينة السلام في أحسن زي وأكمل عدّة، والقرمطيّ ومن أسر من أصحابه بين يديه يوم الاثنين مستهلّ شهر ربيع الأول من هذه السنة ودخل بعده محمد بن سليمان في بقية الجنود، ومعه جمع من الأسارى من أصحاب القرمطي ممن تبعه بالشّام، ثم قتل القرمطي وأصحابه بالدكة التي بنيت لهم في المصلّى العتيق ظاهر الجانب الشرقي من مدينة السلام، لسبع بقين من شهر ربيع الأول من هذه السنة، فكان ذلك من أجل الفتوح وأعمّها سرورًا بخواص الناس وعوامهم لما أبادوا من الخلق، وكان ظهوره بالشّام - ما

أباد من عساكر الطولونية سبب خروج محمد بن سليمان إلى مصر، وفتحها إياها، وتشتيت أمر آل طولون وانحلال دولتهم وزوال مدّتهم، وكان دخوله إياها يوم الخميس مستهل شهر ربيع الأول سنة ٢٩٢، فكانت مدّة دولة بني طولون سبعة وأربعين سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام، ثم خرج قرمطي آخر يكنى أبا غانم في جمع من كلب أيضًا بنواحي الشام في سنة ٢٩٣، وقوي أمره وكثر أتباعه، وصار إلى نواحي أذرعات وبصرى من حوران والبثنية من أعمال دمشق، وعاث وقتل وسبى وصار إلى مدينة طبرية من بلاد الأردن؛ فدخلها بالسيف وقتل أميرها جعفر بن ناعم وكثيرًا من الجند والعوام؛ فجرد السلطان للقاءه الحسين بن حمدان التغلبي، فلقيه بالموضع بخندف من أعمال دمشق فجرت بينهما وقعة تكافيا فيها، ثم كانت للحسين عليهم؛ فانكشف القرمطي منهزمًا في البرية، وذلك في شعبان من هذه السنة، وفي ذلك يقول بعض بني كلاب:

لولا حسين يوم وادي خندف وخيله ورجله لم تشتف
نفس أمير المؤمنين المكتفي

في كلمة له طويلة يصف صاحب هذه الواقعة وما كان فيها، وأفعال القرامطة بالشام، وسار القرمطي إلى هيت؛ فقتل من أهلها وضربها بالنار وارتحل عنها متوجهًا إلى ناحية البر، وأنفذ المكتفي عدّة قواد لطلبه منهم: محمد بن إسحاق بن كنداجيق، ومؤنس الخازن المعروف بالفحل وغيرهما؛ فاختلفت كلمة من كان معه من الكلبيين وخافوا الفناء؛ لإحاطة العسكر بهم فقتله بعضهم غيلة، ودفن ليلاً وتفرق من كان معه وسار بعض زعماء كلب، ويكنى أبا الذئب برأس القرمطي وكفّيه إلى محمد بن إسحاق بن كنداجيق؛ فأنفذه بما معه إلى الحضرة، وأظهر الرأس بها يوم الأربعاء لخمس خلون من شوال من هذه السنة، وكان خروج زكرويه بن مهرويه في الكلبيين وغيرهم في هذه السنة أيضًا وهي سنة ٢٩٣، وكان من أهل الموضع المعروف بالصّور على أربعة أميال من القادسية

عرضاً في البر، وقيل: إنه أبو من قدّمنا ذكره من القرامطة الناجمين بالشأم، وقيل: كان قبل خروج عبدان صاحب دعوة القرامطة بسواد الكوفة وصار إلى مصلّى الكوفى في يوم النحر من هذه السنة وعليها إسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن عمران؛ فقتل من أصحاب السلطان وغيرهم جماعة واثب أصحاب السلطان والرعية؛ فكشفوهم واستمدّ إسحاق بن عمران السلطان، فسار إلى الكوفة رائق المعتضديّ ومعه بشر الأفشيني وجنى الصفواني الخادمان، فلقوه بالقرب من الصوآر فكانت عليهم، وأتى على أكثر الجيش، وذلك في آخر ذي الحجة من هذه السنة، وتلقّى الحاجّ مرجعهم فكان أوّل من لقي منهم قافلة الخراسانية، وكانت عظيمة بالمنزل المعروف بواقصة؛ فأتى عليهم، ثم سار إلى المنزل الثاني من هذا المنزل وهو المنزل المعروف بالعقبة؛ فأوقع بقافلة السلطان. وعليها مبارك القميّ وأبو العشائر أحمد بن نصر العقيليّ، وقد كان ولي الثغور الشامية؛ فقتلها وسائر من كان معها من الأولياء والرعية، ثم لقي قافلة السلطان الثالثة التي فيها الشمسية في الموضع المعروف بالطليح من الهير، وذلك بين الثغلية والشقوق في الرمل؛ فأتى على من كان فيها من الأمراء كنفيس المولّدي وأحمد بن سينا وغيرهما من القوآد والأولياء وسائر أصناف الناس من سائر الأمصار، وكان عدّة من قُتل في هذه القافلة الأخيرة أكثر من خمسين ألفاً دون من قتل قبلها من أهل القوافل، وسار وصيف بن صوار تكين الخزري والقاسم بن سينا عن القادسية لطلبه في جيش كثيف من بني شيان وغيرهم من الأولياء، فالتقوا بين الكوفة والبصرة على الماء المعروف بأوم يوم الأحد ليستّ ليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٤، فاقتلوا قتالاً شديداً فهزم أصحاب زكرويه، وأخذهم السيف، وأسرّويه ضربات فمات من الغد، وأدخل إلى مدينة السلام ميتاً قد شدّ على جمل، ومن أسر معه من أصحابه ورءوس من قتل منهم يوم الاثنين لتسع خلون من شهر ربيع الأول من هذه السنة.

ذكر خلافة المقتدر

وبويع المقتدر جعفر بن أحمد المعتضد ويكنى أبا الفضل، وقيل: إن اسمه إسحاق، وإنه إنما اشتهر بجعفر لشبهه بالمتوكل، وأمه أم ولد رومية تسمى شغب يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥، ولأربعة أشهر من خلافته أجمع جماعة من قواده وكتّابه فيهم الحسين بن حمدان بن حمدون التغلبي، ووصيف ابن صوار تكين الخزري، ومحمد بن داود بن الجراح، وعلى بن عيسى وغيرهم من رؤساء الأجناد ووجوه الكتّاب على خلعه والبيعة لعبد الله بن المعتز؛ ففتك الحسين بن حمدان بالعبّاس بن الحسن، وقتل معه فاتك المعتضدي؛ لمنعه عنه وخلعوا المقتدر، وباعوا ابن المعتز يوم السبت للنصف من شهر ربيع الأول سنة ٢٩٤، وأقاموا على ذلك يوماً وليلة، ولم يزل المقتدر على سرير ملكه، ولا أخرج عن دار الخلافة، ثم أتاب عدّة من خواص الغلمان؛ فحاربوا شيعة ابن المعتز فشتوهم وهربوا على وجوههم، وقتل منهم جمع كثير، وقبض على ابن المعتز فقتل، وصفا الأمر للمقتدر، ثم خلع بعد ذلك وأزيل عن سرير ملكه وأخرج عن دار الخلافة للنصف من المحرم سنة ٣١٧، وبويع أخوه القاهر وجلس على سرير الملك وسُلم عليه بالخلافة، وكان من الذين سعوا في خلعه أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ونازوك المعتضدي وغيرهما من رؤساء القواد ووجوه الأجناد، وأدخلوا معهم في الأمر مؤنسًا الخادم المظفر على كره منه، ثم أتاب عدّة من الرّجال؛ ففتكوا بنازوك في الدار ونادوا باسم المقتدر، وقتل أبو الهيجاء وتبايع أشياع المقتدر، وخواصه؛ فأعيد إلى سرير ملكه وجددت له البيعة، وصفا له الأمر وذلك في يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم من هذه السنة، ثم فسدت الحال بينه وبين مؤنس الخادم؛ فخرج مؤنس إلى الموصل، ولحقه أكثر الجيش فعاد إلى مدينة السلام، وخرج المقتدر فيمن بايعه من الجيوش للقاءه؛ فقتل بظاهر مدينة

السلام مما يلي الشماسية يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شوال سنة ٣٢٠، وله ثمان وثلاثون سنة وشهر وسبعة عشر يومًا، وكان ربيع القامة إلى القصر ما هو دريُّ اللون صغير العينين أحور حسن الوجه واللحية أصهبها، أفضت الخلافة إليه وهو صغير غرتف، لم يعان الأمور، ولا وقف على أحوال الملك فكان الأمراء والوزراء والكتّاب يدبّرون الأمور ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم؛ فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة فأداه ذلك إلى سفك دمه واضطربت الأمور بعده، وزال كثير من رسوم الخلافة.

قال المسعودي: ولم يتقلّد الخلافة من بني أمية وبني العباس إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع من اسمه جعفر إلا جعفر المتوكل وجعفر المقتدر، وكان مقتلها جميعًا في شوال، قُتل المتوكل على ما قدّمنا فيما سلف من هذا الكتاب ليلة الأربعاء لثلاث ليال خلون من شوال سنة ٢٤٧، ولم يهج لأجل ذلك فتنة، ولا شهر لأجله سيف، وقتل المقتدر بين خاصّة وضائعته دون سائر من كان معه يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال على ما ذكرنا، وتولّى قتل المقتدر موالي أبيه المعتضد، وكانت فيه وفي أيامه أمور لم يكن مثلها في الإسلام منها أنه ولي الخلافة، ولم يل أحد قبله من الخلفاء وملوك الإسلام في مثل سنه؛ لأن الأمر أفضي إليه وله ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام، ومنها أنه ملك خمسًا وعشرين سنة إلا خمسة عشر يومًا، ولم يملك هذا أحد من الخلفاء وملوك الإسلام قبله، ومنها أنه استوزر اثني عشر وزيرًا، فيهم من وزر له المرّتين والثلاث، ولم يعرف فيما قبله أنه استوزر هذه العدة، ومنها غلبة النساء على الملك والتدبير حتى إن جارية لأمه تعرف بشمل القهرمانة كانت تجلس للنظر في مظالم الخاصة والعامة ويحضرها الوزير والكتّاب والقضاة وأهل العلم، ومنها أن الحجّ بطل فلم يحج في سنة ٣١٧؛ لدخول أبي طاهر سليمان بن حسن

بن بهرام الجنابي القرمطي صاحب البحرين مَكَّة، وكان دخوله إليها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة ولم يطل الحج منذ كان الإسلام غير تلك السنة وغير ذلك من الأحوال التي كانت في أيامه، واستوزر العباس بن الحسن على ما كان عليه في أيام المكتفي فلما قُتِلَ العباس استوزر علي بن محمد بن موسى بن الفرات، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الملقَّب بدق صدره، ثم علي بن عيسى بن داود بن الجراح، ثم علي بن محمد بن الفرات الوزارة الثانية، ثم حامد بن العباس، ثم علي بن محمد بن الفرات الوزارة الثالثة، ثم عبد الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني وزر وأبوه محمد بن عبيد الله حي، وكانت وفاته بعد وزارة ابنه باثني عشر يومًا وذلك يوم الاثنين وقت العصر. لثمان بقين من شهر ربيع الآخر، وقيل: الأول سنة ٣١٢ وكان آخر من وزر وأبوه حي مثل أبي سلمة حفص بن سليمان الخنَّال، وعبيد الله بن يحيى بن خاقان، والعباس بن الحسن بن أيوب، ثم استوزر أحمد بن عبيد الله الخُصيصي، ثم علي بن عيسى الوزارة الثانية، ثم أبا علي محمد بن علي بن ملقة، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح وهو ابن عم علي بن عيسى، ثم عبيد الله بن محمد الكلواذاني، ثم أخسین بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، ثم الفضل بن جعفر بن موسى بن الفرات، وكان نقش خاتمه المقتدر بالله، وقاضيه محمد بن يوسف بن يعقوب علي الجانب الشرقي والكرخ وقلَّد قضاء القضاة إلى أن توفي؛ فقلَّد ابنه عمر بن محمد بن يوسف الجانب الشرقي والكرخ وعلى مدينة المنصور وأعمالها عبد الله بن علي بن أبي الشوارب، وبعده ابنه محمد بن عبد الله وبعده عمر بن الحسن المعروف بالأشثاني وانتقض، وبعده الحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب، وبعده عمر بن محمد بن يوسف، وحجبه سوسن مولاه ثم نصر القشوري، ثم ياقوت وإبراهيم ومحمد ابنا رائق.

قال المسعودي: ومن الكوائن العظيمة والأنباء الجليلة التي كانت في أيامه

ما لم يتقدم مثلها في الإسلام مسير أبي طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي صاحب البحرين من الأحساء من بلاد البحرين إلى البصرة في أربعمئة فارس على أربعمئة حجرة لا حصان فيها وخمسائة راجل ودخولهم إيّاها ليلاً وقتلهم سبكاً المفلحي، ومن قدروا عليه من أصحابه، ومن ظهر لهم من الرعية، وذلك في ليلة الخميس لثلاث، وقيل: لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣١١، وقيل: بل ليلة الاثنين لست بقين منه، وكان مسيرهم من الأحساء إليها في ست ليال، وتهارب الناس منهم إلى الأبلّة والمفتح والشطوط والأنهار والجزائر وغير ذلك، وأقاموا في البلد سبعة عشر يوماً، ثم رحلوا عنها منقلبين بما احتملوا منها إلى بلدهم، ثم اعترضه الحاج في منصرفهم عن مكة بنواحي الهبير مما يلي الثعلبية، وهو في خمسمئة فارس وستمئة راجل، وقتله من قتل من القواد وسائر الأولياء وغيرهم، وأسره أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون أميرهم، وأحمد بن بدر العم، وأحمد بن محمد كشمرد وغيرهم من الوجوه وسائر طبقات الناس من النساء والرجال، وأخذهم الشمسية وغيرها من صنوف الأموال التي لا يوقف على تحديدها وبمبلغها وذلك يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢، ثم اعترضه الحاج في بدأتهم سنة ٣١٣ في خمسمئة فارس وستمئة راجل أيضاً، وظفره ببعضهم ورجوع الباقي إلى الكوفة ومدينة السلام ومسيره إلى الكوفة وموافقته من كان بها من الأولياء الذين جردوا من الحضرة للقاءه، وهم: جعفر بن ورقاء الشيباني، وجني الصفواني ال خادم مولى ابن صفوان العقيلي، ومثل الخادم الدلفي صاحب أنطاكية والثغور الشامية، وطريف السبكري الخادم، وإسحاق بن شروين السبكري وغيرهم من رؤساء الأجناد وهزيمته إيّاهم وقتله من قتل منهم وأسره جنياً الصفواني وغيره وذلك يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة، ثم مسيره عن الكوفة إلى الأحساء بالذرية والثقلة وتسليمه البلد إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بالأخضر صاحب اليمامة بن إبراهيم بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن

الحسن بن علي بن أبي طالب، ومسير أبي القاسم يوسف بن أبي الساج عن واسط في عساكره للقاءه وكان السلطان أشخصه عما كان يليه من الأعمال من بلاد أذربيجان وأرمينية وأران والبيلقان وغيرها؛ ليستعد من واسط، وينفذ إلى بلاد البحرين، وكان مقيمًا بواسط مستعدًا إلى أن جاءه الخبر بمسير صاحب البحرين إلى الكوفة فخرج مبادرًا له؛ فسبقه أبو طاهر إليها، ونزل الموضع المعروف بالخورنق وحازها، ونزل ابن أبي الساج في اليوم الثاني بالقرب منه في الموضع المعروف بين النهرين مما يلي القرية المعروفة بحروراء، وإليها أضيفت الحرورية من الخوارج وأبو طاهر بينه وبين الكوفة؛ فكانت الواقعة بينهم يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة ٣١٥؛ فأسر ابن أبي الساج، واصطلم عسكره وأتى على أكثر من ثلاثين ألف فارس وراجل مع تفرق كثير من أصحابه عنه في الطريق، وتأخرهم عنه وصاحب البحرين في نحو من ألفين من المقاتلة أكثرهم رجالة؛ ثم مسيره عن الكوفة حتى حاز الأنبار وقطع عدة من أصحابه الفرات إلى الجانب الشرقي؛ فقتلوا من كان بالأنبار من القواد منهم المعروف بالحارثي، وبرغوث، وابن بلال، ومحمد بن يوسف الخزري وغيرهم من الأولياء، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي القعدة من هذه السنة، وعقد على الفرات جسرًا وخلف السواد والذرية، وعبر في جريدة خيل من أصحابه إلى الأنبار، وسار عنها يريد الحضره حتى انتهى إلى النهر المعروف بزبارا فوق التل المعروف بعقرقوف بفرسخ، وذلك على بعد يوم من مدينة السلام، وكان مؤنس الخادم، ونصر الحاجب المعروف بالقشوري، وأبو الهيجاء عبد الله بن حمدان، وقد كان أطلقه وغيره ممن سمينا أنه أسر معه قبل رحيله؛ لمواقعة ابن أبي الساج وسائر من كان بالحضره من عساكر السلطان معسكرين على هذا النهر فلمّا أحسوا بدنوّه قطعوا القنطرة التي عليها وصار النهر حاجزًا بين الفريقين فشرع قوم من رجالته؛ فرموا بالنشاب، وذلك في اليوم الثاني عشر والثالث عشر من ذي القعدة من هذه السنة، ورجع يريد الأنبار وبعث مؤنس غلامه يلبق في نحو من ثلاثة، وقيل: من سبعة آلاف على

الطريق قصر ابن هبيرة من طريق الكوفة؛ فعبروا على جسر الفرات المعروف بجسر سورا، وساروا في البر؛ ليخالفوه إلى سواده، وقد كان قوم من الأولياء شرعوا في الماء فأحرقوا الجسر الذي عقده فحصل في الجانب الشرقي وسواده في الجانب الغربي، وقيل: إنه قطع الجسر عند عبوره وتأذى إليه خبر يلبق فعبّر الفرات في زورق عشرة عشرة من أصحابه فيهم ثلاثة إخوة له، وعبر خلق سباحة؛ فسبق إلى سواده، وقتل أخواه أبو العباس الفضل وأبو يعقوب يوسف، وكانا في سواد ابن أبي الساج حين بلغهما قرب يلبق منهم، فلقي يلبق، فأتى على أكثر من كان معه، ونجا يلبق منكسراً وذلك يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة، وسار إلى مدينة هيت في ثقلته؛ فنزل عليها وحصرها، وأنا يومئذ بها منحدرًا من الشام أريد مدينة السلام، وعبر أصحابه الذين كانوا في جانب الأنبار على أطواف اتخذوها في الموضع المعروف بقم بقة أسفل هيت فاجتمعوا معه؛ فواقع أهل هيت يوم الأحد لثمان خلون من ذي الحجة من هذه السنة، وكان عبر إليها من المساء هارون بن غريب النحال وأبو العلاء سعيد بن حمدان ويونس غلام الأصمعي وغيرهم من الأولياء، فكان القتال بينهم من فوق السور، واحترقت له عدة دبابات، وعاد إلى معسكره، وارتحل عنها يوم الاثنين صبيحة الواقعة إلى ناحية رحبة مالك بن طوق، وارتفعت من معسكره نار عظيمة عند السحر قبل رحيله؛ فظننا أنه يريد معاودة الحرب، وإذا هو قد ضرب ثقلته بالنار لكثرة الذرية والثقلة وقلة الظهر، وصار إلى الرحبة وعليها يومئذ أبو جعفر محمد بن عمر التغلبي؛ فافتتحها عنوة ونزلها وهي من الجانب الشامي وقرقيسيا، وهي من الجانب الجذري وبث منها السواري إلى النواحي منها سرية إلى كفرتوثا ورأس العين ونصيبين عليها الحسين بن علي بن سنبر انثقي ومعاذ الأعرابي الكلابي؛ فأوقعوا بالأعراب من تغلب والنمر وغيرهم من الحاضرة، وقد كان أنفذ سليمان الجلي قبل ذلك إلى كفرتوثا لحمل الزاد والميرة إلى معسكره، وكان من ذوي النسك منهم والدراية بمذهبهم وقد كلمت غير واحد من دعائهم وذوي

المعرفة منهم، فلم أر مثله دراية وتحصيلاً وتدينياً بما هو عليه وحسن إتقان للسياسة التي تكون مع الدعاة، وكان أولاً مع أبي زكرياء البحراني، ثم صار مع أبي سعيد الجنابي وولده، ووجه سرية له في نحو ألفين، وقيل: دون ذلك إلى الرقة وهي على ثلاثين فرسخاً من الرحبة، وكان على السرية الحسين بن علي بن سنبر ومعاذ الكلابي أيضاً، وكان نزوله عليها يوم الأحد لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ٣١٦، وأميرها نجم غلام جني الصفواني فكان القتال بينهم يوم الثلاثاء والأربعاء لخمس بقين من هذا الشهر وانصرفوا في آخر يوم الأربعاء وقد أصيب عدة من الفريقين الأكثر منهم من السرية راجعين إلى الرحبة، وأقام صاحب البحرين بالرحبة يروي في نزول مدينة الرملة من بلاد فلسطين أو مدينة دمشق فيما حكي، ثم عمل على الرجوع إلى بلده لأمر قد ذكرناها في غير هذا الموضع من أخبارهم؛ فسار عن الرحبة في أول شعبان سنة ٣١٦ في البرّ والماء منحدراً في الفرات، وكان مقامه بالرحبة إلى أن خرج عنها نحواً من سبعة أشهر فنزل على هيت ثانية فقاتلهم قتالاً شديداً في الماء والبرّ، ولم يكن معه في الأولى سفن ثم انحدر عنهم وسار إلى ناحية الكوفة والقادسية وأمتار، واجتاز بظاهر البصرة وعاد إلى البحرين وذلك في آخر المحرم وأول صفر سنة ٣١٧، ثم سار إلى مكة؛ فدخلها يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجة من هذه السنة في ستمائة فارس وتسعمائة راجل وأميرها يومئذ محمد بن إسماعيل المعروف بابن مخلب بعد أن كان من بها من الأولياء وغيرهم من عوام الناس من الحاج وغيرهم صافوه، ثم انكشفوا من بين يديه عند قتل نطيف غلام بن حاج، وكان من شحنة مكة ومن يعول عليه، وأخذ الناس السيف وعادوا بالمسجد والبيت؛ فاستحر القتل فيهم وعمهم وقد تتوزع في عدة من قتل من الناس من أهل البلد وغيرهم من سائر الأمصار؛ فمكث ومقل فممنهم من يقول: ثلاثين ألفاً، ومنهم من يقول: دون ذلك وأكثر منه وكل ذلك ظنّ وحسبان؛ إذ كان لا يضبط، وهلك في بطون الأودية ورءوس الجبال والبراري عطشاً وضراً ما لا يدركه الإحصاء واقتلع باب البيت الحرام، وكان مصفحاً

بالذهب، وأخذ جميع ما كان في البيت من المحاريب الفضة والجزع وغيره ومعاليق، وما يزين به البيت من مناطق ذهب وتازيرات ذهب وفضة، وقلع الحجر الأسود ومقدار موضعه ما يدخل فيه اليد إلى أقل من المرفق، وجرد البيت مما كان عليه من الكسوة وحمل ذلك على خمسين جملًا إلا ما أصابه الدم عند عوذ الناس به فإنه تركه وذلك يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣١٧، وكان مقامهم بمكة ثمانية أيام يدخلونها غدوة، ويخرجون منها عشياً يقتلون وينهبون ورحل عنها يوم السبت من هذا الشهر، وعرض له هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر وهم رجالة في المضايق والشعاب والجبال وحاربوه حرباً شديداً بالنبل والخنجر ومنعوه من المسير، واشتبهت عليهم الطرق فأقاموا بذلك ثلاثة أيام حائرين بين الجبال والأودية وتحلص كثير من النساء والرجال المأسورين، واقتطعت هذيل مما كان معهم ألوفاً كثيرة من الإبل والثقل، وكانت ثقلته على نحو مائة ألف بعير عليها أصناف المال والأمتعة إلى أن دلّه عبد أسود من عبيد هذيل يقال له زياد استأمن إليه على طريق سلكه فخرج عن المضايق وسار راجعاً إلى بلده، قال المسعودي: ونحن نذكر في أخبار الراضي فيما يرد من هذا الكتاب ما كان له من السرايا في أيامه وغير ذلك من أحواله.

وكان مقتل الحسين بن منصور المعروف بالحلاج من أهل مدينة البيضاء من أرض فارس لست بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ ضرب ألف سوط وقطعت يده ورجلاه وضربت عنقه وأحرقت جثته، وذلك في مجلس الشرط... على سور السجن المعروف بالمترف من هذا الجانب وكان يوماً عظيماً لمقالات حُكيت عنه في الديانة كثر متبعوه عليها والمتقادون إليها، وكان يظهر التصوف والتأله، وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا ما صحَّ عندنا من مذهبه، وذكره في كتبه عند ذكرنا مقالات أرباب النحل ورؤساء الملل.

ذكر خلافة القاهرة

ويبيع القاهرة محمد بن أحمد المعتضد، ويكنى أبا المنصور وأمه أم ولد تسمى قبول يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠، ثم خلع وسميت عيناه يوم الأربعاء لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢، وله ست وثلاثون سنة وأشهر، ولم يسمل قبله أحد من الخلفاء وملوك الإسلام، وكانت خلافته سنة وستة أشهر وستة أيام، وكان أبيض يعلوه حمرة مربوغة حسن الجسم أعين وافر اللحية ألشغ شديد الإقدام على سفك الدماء، أهوج محباً لجمع المال على قلته في أيامه قليل الرغبة في اصطناع الرجال غير مفكر في عواقب أموره، ركباً درعه واطئاً عشواته يريد الشبه بمن تقدم من آبائه فلا يمكنه ذلك؛ لسوء تدبيره، وقبح سياسته، واستوزر أبا علي محمد بن مقله، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله، ثم أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخصيبي، وكان نقش خاتمه القاهرة بالله، وقاضيه عمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب، وحاجبه علي ابن يلبق، ويدر الخرشني، وفارس بن الزنداق، ومحمد بن ياقوت، وسلامة المؤمن المعروف بأخي نجح.

ذكر خلافة الرازي محمد

وبويع الرازي محمد بن جعفر المقتدر، ويكنى أبا العباس وأمه أم ولد تسمى ظلوم يوم الخميس لست ليال خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢، وتوفي بمدينة السلام يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩، وله اثنتان وثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وكان أسمر أعين مسنون الوجه خفيف العارضين، دحداً نحيفاً جواداً محباً للأدب حسن الشعر شديد التضريب بين أوليائه؛ لاستبدادهم بالأمور دونه وقصور يده عن تغيير ذلك؛ فاستوزر محمد بن علي بن مقله وولده أبا الحسين علي بن محمد، وكانا يخاطبان بالوزارة، وتخرج الكتب بأسمائهما، ثم استوزر أبا علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي، ثم أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد بن الجراح، ثم أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، ثم أبا عبد الله أحمد بن محمد البريدي، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد، وكان نقش خاتمه الرازي بالله، وقاضيه عمر ابن محمد بن يوسف، ثم ابنه يوسف والحسن، وحاجباه محمد بن ياقوت، ثم مولاه ذكي.

ومما ذكر في أيامه من الحوادث العظيمة مسير القرمطي سليمان بن الحسن صاحب البحرين غن الأحساء؛ لاعتراض الحاج في بدأتهم لموسم سنة ٣٢٣ خرج لست بقين من شوال في تسعمائة فارس وتسعمائة راجل وقسم العسكر نصفين من الجابرية وهي من الأحساء على ثلاثة أيام فجعل على أحد النصفين أبا عبد الله الحسين بن علي بن سنبر ومعاداً الكلابي؛ فساروا قاصدين طريق مكة لطلب أول الحاج، وقصد القرمطي القادسية، لاستقبال قافلة الشمسية مع لؤلؤ غلام المتهشم؛ فوقع ابن سنبر بالخوازمية وغيرهم، وكان رؤساؤهم شاذان وابن حاتم وغيرهما بناحية زباله والعقبة؛ فأسرهما وغيرهما من أهل

القوافل وقتل وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة وانهزم الباقون راجعين يريدون العذيب، ولا علم عندهم أن القرمطي أمامهم وسار لؤلؤ غلام المتهشم بالناس، ولقيه القرمطي بالقادسية يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة؛ فقاتل لؤلؤ إلى أن نالته جراحات، وانكشف أصحابه عنه، وطرح نفسه بين القتلى ودخل الكوفة في الليل مستخفياً، واستولى أبو طاهر على تلك القافلة بأسرها، وكان من انقضاء الكواكب ليلة الأربعاء التي كانت الواقعة في صبيحتها ما لم ير مثله في الإسلام، والقرمطي حيثئذ سائر من خفان يريد القادسية وبينهما ستة أميال، ورجع القرمطي مستقبلاً للمهزمين من ابن سنبر الراجعين يريدون الكوفة فلقبهم بالعذيب؛ فاستأمنه قرة لقاقلته وبذل عنها مالاً فأطلقه، ولم يعرض له وأوقع بالباقيين، فقتل وسبى وصار إليه من صنوف الأموال والأمتعة ما لا يوقف على تحديده ولا يحاط بمبلغه، وكانت له بعد ذلك سريتان إلى الكوفة وناحية واسط في أيام الراضي أيضاً لم يلق فيهما حرباً أثر تأثيراً يذكر، ولم يزل مقيماً بالأحساء من بلاد البحرين إلى أن توفي يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٣٢، وله ثمان وثلاثون سنة؛ لأن مولده في شهر رمضان سنة ٩٤، وقتل أبوه أبو سعيد الجنابي سنة ٣٠٠، وله يومئذ ست سنين وبقي العسكر تسع سنين إلى أن تسلّمه أبو طاهر في شهر رمضان سنة ٣١٠.

قال المسعودي: وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على شرح هذه الحروب والوقائع وما كان من أخباره فيها وأخبار القرامطة البقلية بسواد الكوفة وغلبتهم عليها، وذلك في سنة ٣١٦ والعلّة في تسميتهم البقلية وهو اسم ديانٍ عندهم، وكان رؤساؤهم مسعود بن حريث وعيسى بن موسى ابن أخت عبدان بن الربيض الملقب قرميط والمعروف بابن أبي السيد، وابن الأعمى، وأبو الذر، والجوهري وغيرهم وكان جمهورهم بنو ذهل وبنو رفاعة، وإيقاعهم ببني ابن نفيس بناحية الطفوف وجنبلاء وتل فخار، وهزيمتهم إياه

واحتوائهم على عسكره ومواقعه هارون بن غريب الخال وصافي غلام نصر
القشوري إياهم ومن قتل منهم وأسر ومن انضاف منهم إلى سليمان بن الحسن
عند رجوعه من هيت إلى بلد البحرين، وكانوا يعرفون في عسكره بالآجيين
لسكنى أكثرهم الآجام والطفوف من أعمال الكوفة، وأخبار الغلام المعروف
بالزكري من أبناء ملوك الأعاجم من بلاد أصبهان، ووروده إليه في سنة ٣١٦،
وتسليم أبي طاهر الأمر إليه في سنة ١٩، واجماعهم عليه وما رسم من الرسوم
والمذاهب التي أخذهم بها، وقتله لأبي حفص بن زرقان زوج أخت أبي طاهر
وكان يدعى الشريك وكان أكملهم عقلاً وأوسعهم علماً وأحسنهم أدباً وبني
سلمان وغيرهم من وجوه العسكر وهم نحو من سبعمائة رجل، وما أظهر في
العسكر من المذاهب الشنيعة والسير القبيحة التي لم تُعهد ولا عرفت في عسكر
هؤلاء القوم منذ استولى أبو سعيد على هذه البلاد وولده وزوالها بزواله
ورجوعهم عنها واعتذارهم عنها، وما وقع عليه من التدبير إلى أن قتل فيما قيل
وعاد الأمر إلى أبي طاهر، وغير ذلك من أخبار أصحاب الغرب وحروبهم،
ومن كان منهم باليمن واتفاق جميع من ذكرنا على سبب واحد، وانقيادهم إليه
وقولهم به وانتظارهم له، وأخبار أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ونسبته
واتصاله بملوك فارس ومكانه من هذه الدعوة وكيفية دخوله البحرين وما
كان من أمره بالقطيف مع بني مسنار، واتصاله ببادية بني كلاب وكان أبو
زكرياء البحراني دعاهم وما كان بين أبي سعيد وبين أبي زكرياء، وقبض أبي
سعيد عليه وهلاكه في يده وفتح سائر مدن البحرين، وكان أهلها في نهاية
العدة والقوة كالقطيف، وكان به علي بن مسمار وإخوته وهم من عبد القيس
وقتله علياً والزارة، وكان بها الحسن بن العوام من الأزد وصفوان، وكان بها
بنو حفص وهم من عبد القيس أيضاً والظهران والأحساء، وكان بها بنو سعد
من تميم وجواثا، وكان بها العريان بن الهيثم الربيعي وقد ذكره علي بن محمد
المتنبي إلى أبي طالب صاحب الزنج الناجم بالبصرة عند ظهوره بالبحرين في
تميم وكلات ونمير وغيرهم، وذلك قبل مسيره إلى البصرة وكان العريان أوقع

بهم في عبد القيس، وبني عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم وقعات متبعات، فأخرجه عن البحرين ونواحيها وقتل من أصحابه خلقًا كثيرًا فلَمَّا وقع طرفه بالصَّيَّان على الطائر المعروف بالملكاء قال كلمته التي أولها:

أيا طائر الصَّيَّان مالك مفردًا تأسيت بي أم عاقِ الفك عائق

فقال فيها:

عليها الكأمة الدارعون البطارق	عدمت عتاق النخيل وإن لم أزر بها
كليب بن يربوع الكرام والمصادق	عليها رجال من تميم وقصرها
نمير ويض من كلاب عواتق	وجثوتها سعد وفي جنباتها
بخطه خسف أو تعقني العوائق	وإن لم أصبح عامرًا ومحاربًا
غداة نزال الردم والموت عالق	أيحسبني العريان أنسى فوارسي

وقال في كلمة أخرى يذكر عبد القيس:

أتحسب عبد القيس أني نسيته ولست بناسيها ولا تاركتا تبلى

وهجر وكانت أعظم مدن البحرين، وكان بها عيَّاش المحاربي وكان أعظمهم عدة وأشدَّهم شوكة ومواقعة أبي سعيد العباس بن عمرو الغنوي، وقد جرده المعتضد للقائه من البصرة في السبخة المعروفة بأفان؛ وأفان: ماء ونخل أراد العباس نزولها وذلك عند ارتحاله من الماء المعروف بالإعياء، فسبقه أبو سعيد إلى الماء وطول هذه السبخة سبعة أميال وبينها وبين البصرة سبعة أيام وهي على يومين من ساحل البحر وهي القطيف وبين القطيف وبين البحر ميل ولها مدينة على الساحل يقل لها: عنك، وفيها يقول الراجز:

طعن غلام لم يئيك بالسمك ولم يعلل بخياشيم عنك

فلَمَّا توسَّط العباس السبخة بعث أبو سعيد فغَوَّر ما وراءه من المياه وكانت

في أعلى السبخة وهو طريق ضيق وأبو سعيد في سبعمائة فارس وراجل من كلاب وعُقيل وبحرانيين والعبّاس في سبعة آلاف من الجند ومطوّعة البصرة وضبة والبحرانيين الذين كانوا خلّوا عن البحرين وغيرهم؛ فأمر العبّاس وأتى على أكثر من كان معه، ولم ينج إلا الشريد، وذلك في رجب من سنة ٢٨٧، وما كان من سريته إلى صُحّار وهي قصبة عمّان مرة بعد أخرى، ودخوله إيّاها عنوة وبين البحرين وعمّان مسيرة عشرة أيام رمال ودهاس وفي بعض المواضع ماءً مالح وإلى بلاد الفلج وهي على ثلاثة أيام من اليمامة وإلى يبرين وهي من اليمامة على مثل ذلك أيضًا؛ فأباد أهلها وكانت من أطيب بلاد الله وأكثرها أهلاً وعمائر ونخلًا وشجرًا فلا أنيس بها إلى هذا الوقت وفيها يقول جرير:

فقلت للركب إذ جدّ المسير بنا يا بعد يبرين من باب القارديس

وسبب فتك الخادمين الصقاليين الذين كان أخذهما حين واقع بدرًا المحلّي وكان جاء من عمّان في البحر؛ لقتاله وكان اصطنعها فقتلاه في الحمام في ذي القعدة سنة ٣٠٠، وعدّة من خواص أصحابه من القطيفيين معه وهم حمدان وعلي ابنا سنبر، وبشر وأبو جعفر ابنا نصير وهما خالا ولد أبي سعيد المعروف بابن جنان، ومحمد بن إسحاق وكانت مدّة أبي سعيد مذ ظهرت دعوته بالقطيفة وافتتح سائر مدن البحرين وآخرتها هجر إلى أن قتل سبع وعشرين سنة، وقد ذكرنا في كتاب خزائن الدين وسر العالمين عند ذكرنا أرباب النحل ورؤساء الملل، وما أحدثوه من الآراء والمذاهب ما ذكره من خالف هذه الطائفة ورد عليهم وحكى عنهم وأن هذه الدعوة أحدثت بأصبهان سنة ٢٦٠ وما الغرض بها والمقصد منها وتسليمهم ظاهر الشريعة وقولهم في تأويل معانيها وأمرهم المدعو عند أخذ العهد عليه بستر ما يكشفونه له من تأويل كتاب الله، ومنهم من يقول للمدعو عند ذلك: استر ما أكشفه لك من تأويل كتاب الله وتأويل التأويل وتبليغه إلى مراتب يتتهون به إليها

يسمونها البلاغ وغير ذلك من دعواتهم، ووجوه سياساتهم وأسرارهم في ذلك ورموزهم، وقد صنف متكلمو فرق الإسلام من المعتزلة والشيعة والمرجئة والخوارج والناطقة ممن تقدم كتباً في المقالات وغيرها من الرد على المخالفين كاليان بن رثاب الخارجي، وزرقان غلام إبراهيم بن سيار النظام، ومحمد بن شبيب صاحب النظام أيضاً، وعباد بن سلمان الصنمري صاحب هشام بن عمرو الفوطي صاحب أبي الهذيل محمد بن الهذيل العبدى العلاف البصري، ومحمد بن عيسى بن غوث صاحب الحسين بن محمد النجار، وأبي عيسى محمد بن هارون الوراق، وأحمد بن الحسن بن سهل المصمعي المعروف بابن أخي زرقان وغيرهم ممن شاهدناه كأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في كتابه الرد على أصحاب التناسخ، والحزمية وغيرهم من أهل الباطن، وأبي القاسم البلخي، وأبي العباس عبد الله بن محمد الناشي، والحسن بن موسى النوبختي في كتابه في الآراء والديانات، وفي كتابه في الرد على الغلاة وغيرهم من الباطنية، وأبي محمد عبد الله بن محمد الخالدي، وأبي الحسن بن أبي بشر الأشعري البصري الكلبي وغير هؤلاء فلم يعرض أحد منهم لوصف مذاهب هذه الطائفة، ورد عليهم آخرون مثل قدامة بن يزيد النعماني، وابن عبدك الجرجاني، وأبي الحسن بن زكرياء الجرجاني، وأبي عبد الله محمد ابن علي بن زرام الطائي الكوفي، وأبي جعفر الكلبي الرازي وغيرهم؛ فكل يصف من مذاهبهم ما لا يحكيه الآخر مع إنكار هذه الطائفة حكاية من ذكرنا وتركهم الاعتراف بها ونحن فلم نقصد في كتابنا هذا حكاية مذاهبهم، ولا الرد عليهم.

وكان مقتل محمد بن علي السلمغاني الكاتب المعروف بابن أبي العزاق يوم الثلاثاء غرة ذي القعدة سنة ٣٢٢؛ فقطعت يده ورجلاه، وضربت عنقه، وأحرق في مجلس الشرطة في الجانب الغربي؛ لأمر ديانبة أحدثها، ومقالات فيها ذكر ذكرها وأظهرها، كثر المستجيون له إليها، وقتل معه رجل من أتباعه يقال له: ابن أبي عون، ويُعرف بابن النجم الكاتب مثل ذلك، وقد أتينا على ما

ظهر من قوله وحكاه من هذا على نفسه في رسالته المعروفة بالمذهبة، وكتابه في الوصية، وكتاب الغيبة، وكتاب التسليم، وغير ذلك من كتبه في كتابنا في المقالات في أصول الديانات عند ذكرنا مذاهب الشيعة وغلاتهم.

ذكر خلافة المتقي إبراهيم

وبويع المتقي إبراهيم بن المقتدر، ويكنى أبا إسحاق، وأمه أم ولد تسمى خلوب يوم الخميس لتسع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٣٩، وخلع وسملت عيناه يوم السبت لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣٣٣، وله ثلاثون سنة وأشهر، وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وكان أبيض صافي اللون أشهل في شعره شقرة، وهو حي إلى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ مكرم على ما ينمى إلينا من أخبارهم، واستوزر سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون، ثم أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي بعد أن دبر الأمور أبو الحسن علي بن عيسى بن داود ابن الجراح، وميسم الوزارة لأخيه عبد الرحمن بن عيسى، ثم أبا إسحاق محمد بن أحمد القراريطي، ثم أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ثم أبا الحسين علي بن محمد بن علي بن مقلبة، وكان نقش خاتمه المتقي بالله، وقاضيه المعروف بالخرقي، وحاجبه سلامة مولى المؤمن المعروف بأخي نجح، ثم بدر الخرشني، ثم أحمد بن خاقان.

ومن الحوادث العظيمة التي كانت في أيامه في الملك، ثم لم يجز مثله على أحد من خلفاء بني العباس دخول أبي الحسين البريدي إلى مدينة السلام في جيوشه في الماء، وعلى الظهر يوم السبت لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٠، وهرب المتقي عن دار ملكه، ومعه محمد بن رائق يريدان الموصل، وانتهبت دار الخلافة وغيرها من دور الأولياء، وانتهك الحرم بعد ممانعة عظيمة وحروب، وقتل من الناس وغرق نحو من عشرة آلاف، وقيل: أكثر من ذلك.

ذكر خلافة المستكفي

وبويع المستكفي عبد الله بن علي المكتفي، ويكنى أبا القاسم، وأمه أم ولد رومية تسمى غصن في الموضع المعروف بالبق على نهر عيسى بإزاء القرية المعروفة بالسندية في الوقت الذي سملت فيه عينا المتقي، وخلع يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ وسملت عيناه وله ثمان، وقيل: ثلاث وأربعون سنة وأشهر، وكانت خلافته سنة وشهرين وثمانية وعشرين يومًا، وكان أبيض اللون حسن الوجه صغير الفم يعارضه شيب، وكان المدبر للأمور في أيامه أبو جعفر محمد بن شيرزاد كاتب توزون التركي، وقد كان أبو الفرج أحمد بن محمد السامري خُلع عليه، ووزر سبعة وأربعين يومًا، وهو آخر من خوطب بالوزارة في أيام بني العباس إلى وقتنا هذا، ثم الشيرازي أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن نفذت الكتب عنه باسمه، ثم غلب ابن شيرزاد على الأمر، وكان نقش خاتمه المستكفي بالله، وقاضيه ابن أبي الشوارب، وابن أبي موسى الهاشمي، وحاجبه أحمد بن خاقان المفلحي.

ذكر خلافة المطيع

وبويع المطيع الفضل بن جعفر المقتدر بالله ويكنى أبا القاسم، وأمّه أم ولد صقلية تسمى مشعلة يوم الخميس لثاني ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤، وخمس سنين خلت من خلافته أعيد الحجر الأسود إلى موضعه من البيت الحرام في ذي الحجة سنة ٣٣٩، وكان أخذه في سنة ٣١٧ على ما قدّمنا في خلافة المقتدر في هذا الكتاب، وقد ذكرنا في كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر أخبار الحجر في الجاهلية، ومن تداوله من الأمم من جرهم وإياد والعماليق وخزاعة، وكم مرة أزيل من موضعه، ثم رُد إليه وغير ذلك من أخبار مكة والبيت الحرام.

والغالب على أمر المطيع والقيم بتدبير الحضرة إلى هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمي المسمى بمعز الدولة وكتّابه، وزالت أكثر رسوم الخلافة والوزارة في وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ على ما ينمي إلينا من أخبارهم، ويتصل بنا من أحوالهم؛ لطول غيبتنا عن العراق، ومقامنا بأرض مصر والشام.

قال المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: ولم نعرض لوصف أخلاق المتقي والمستكفي والمطيع ومذاهبهم؛ إذ كانوا كالمولى عليه لا أمر ينفذ لهم، أما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على أكثرها المتغلبون، واستظهروا بكثرة الرجال والأموال، واقتصروا على مكاتبتهم بإمرة المؤمنين والدعاء لهم، وأما بالحضرة فتفرد بالأمور غيرهم؛ فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة، ورضوا بالسلامة، وما أشبه أمور الناس في الوقت إلا بما كانت عليه ملوك الطوائف بعد قتل الإسكندر ابن فيلبس الملك داريوش، وهو دارا بن دارا ملك بابل إلى ظهور أردشير بن بابك الملك، كلٌّ قد غلب على صقعهِ يحامي عنه، ويطلب الازدياد إليه مع قلة العماراة وانقطاع السبل وخراب كثير

من البلاد وذهب الأطراف وغلبة الروم وغيرهم من الممالك على كثير من ثغور الإسلام ومدنه، وقد أتينا على شرح جميع ما ذكرنا في هذا الكتاب وإيضاحه وأخبار ما ذكرنا والغور في أيامهم، وما كان من الكوائن والهرج والأحداث في أعصارهم وغير ذلك من أخبار الشرق والغرب والشمال والجنوب وما كان فيها من الفتن والحروب في كتابنا في أخبار الزمان ومن أباده الحدثنان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة، وفيما تلاه من الكتاب الأوسط، وفي كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر، وفي كتاب فنون المعارف وما جرى في الدهور والسوالم، وفي كتاب ذخائر العلوم وما جرى في سالف الدهور، وفي نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر، وفي كتاب الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار الذي كتابنا هذا تال له، ومبني عليه وغيرها من كتبنا، وأودعنا كتابنا هذا لمعاً من ذلك؛ استذكّاراً لما تقدّم من كتبنا، ومنبهين على ما سلف من تصنيفنا، وقد كان سلف لنا قبل تقرير هذه النسخة نسخة على الشطر منها؛ وذلك في سنة ٣٤٤، ثم زدنا فيها ما رأينا زيادته وكمال الفائدة به؛ فالمعول من هذا الكتاب على هذه النسخة دون المتقدمة.

وكان فراغ عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ من تأليف هذا الكتاب بفسطاط مصر سنة ٣٤٥ للهجرة في خلافة المطيع والمملك على الروم قسطنطين بن لاون بن بسيل وهي سنة ١٧٠٢ لبخت نصر، وسنة ١٢٦٨ للإسكندر بن فيليبس الرومي وسنة ٦٧٣. لأردشير بن بابك وسنة ٣٢٤ ليزدجرد بن شهريار بن كبرى أبرويز آخر ملوك الفرس والله ولي التوفيق، تم كتاب التنبيه والإشراف بحمد الله ومنه ولطفه ومنه والحمد لله وحده.

فهرست

العنوان	الصفحة
ذكر الغرض من هذا الكتاب.....	٥
ذكر الأفلاك هيئاتها والنجوم وتأثيرها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها.....	١١
ذكر البيان عن قسمة الأزمنة وفصول السنة وما لكل فصل من المنازل والتنازع في المبدأ به منها والاستقصاءات وما اتصل بذلك.....	١٧
ذكر الرياح الأربع ومهابها وأفعالها وتأثيراتها وما اتصل بذلك من تقرير مصر والتنبيه على فضله وما شرفت به على غيرها.....	٢٠
ذكر الأرض وشكلها وما قيل في مقدار مساحتها وعامرها وغامرها والنواحي والآفاق وما يغلب عليها وتأثيرها في سكانها وما اتصل بذلك.....	٢٥
ذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها ولما اتصل بذلك.....	٣٣
ذكر قسمة الأقاليم عن الكواكب السبعة (الخمسة والنيرين).....	٣٦
ذكر الإقليم الرابع ووصفه وفضله على سائر الأقاليم وما خص به ساكنوه من الفضائل التي باينوا بها سكان غيره منها وما اتصل بذلك من الكلام في عروض البلدان أطولها والأهوية والترب والمياه وتأثيرها وغير ذلك.....	٣٧
ذكر البحار وأعدادها وما قيل في أطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها.....	٥١

الصفحة	العنوان
٥٢	ذكر الأول منها وهو الحبشي.....
٥٧	ذكر البحر الثاني وهو الرومي.....
٦٠	ذكر البحر الثالث وهو الخزري.....
٦٦	ذكر البحر الرابع وهو بُنطُس.....
٦٧	ذكر بحر أو قيانس وهو المحيط.....
	ذك الأمم السبع في سالف الزمان، ولغاتهم، وآرائهم، ومواضع
٧٥	مساكنهم وما بانّت به كل أمة من غيرها وما اتصل بذلك.....
	ذكر ملوك الفرس على طبقاتهم من جيومرت وهو الأول من ملوكهم
٨٢	إلى يزديجرد ابن شهريار آخرهم وعدة ما ملكوا من السنين.....
٨٣	ذكر الطبقة الأولى من مملوك الفرس الأولى.....
٨٦	ذكر الطبقة الثانية من ملوك الفرس الأولى.....
	ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأولى وهو الكيانيون تفسير ذلك
٨٨	الأعزاء.....
	ذكر ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف وهي الطبقة الرابعة من
٩١	ملوك الفرس وجملة ما ملكوا من السنين.....
	ذكر ملوك الفرس الثانية وهم الساسانية وهي الطبقة الخامسة من
٩٥	ملوكهم.....
١٠٤	ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين.....
	ذكر ملوك الروم على طبقاتهم من الخنفاء وهم الصابثون والمتنصرة
١١٢	وعدتهم وجملة ما ملوكا من السنين.....
١١٣	ذكر الطبقة الأولى من ملوك الروم وهم الصابثون.....
	ذكر الطبقة الثانية من ملوك الروم وهم المتنصرة وتأريخهم وأعدادهم
١٢٤	وما كان من الكوائن والأحداث العظام الديانية والملوكية في أيامهم...

الصفحة	العنوان
١٣٩	ذكر ملوك الروم من الهجرة إلى سنة ٣٤٥.....
	ذكر بنود الروم وحدودها ومقاديرها وما يتصل منها بالخليج وبحري
	الروم والخزر وما اتصل بذلك من اللمع المنبهة على ما تقدم في تأليفنا
١٥٥	فيما سلف من كتبنا.....
١٦٥	ذكر الأفدية بين المسلمين والروم.....
	ذكر تاريخ الأمم والأنبياء والملوك وجامع تاريخ العالم من آدم إلى نبينا
١٧١	ﷺ وما اتصل بذلك.....
	ذكر ما جل من الكلام في شيء الأمم وشهورها وكسبها ونسيانها وما
١٨٨	اتصل بذلك.....
	ذكر التاريخ من مولد رسول الله ﷺ ومبعثه، وهجرته، ومغازيه،
	وسراياه، وسواريه، وكتابه، ووفاته وتاريخ الخلفاء، والملوك بعده
	وأيامهم وكتابتهم، ووزرائهم وحجابهم وقضائهم ونقوش خواتيمهم،
	وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامه وحصر
	تواريخهم على سنة ٣٢٤ هـ — وفي خلافة
٢٠٠	المطيع.....
٢٠٧	ذكر السنة الثانية من الهجرة.....
٢١٤	ذكر السنة الثالثة من الهجرة.....
٢١٦	ذكر السنة الرابعة من الهجرة.....
٢١٨	ذكر السنة الخامسة من الهجرة.....
٢٢١	ذكر السنة السادسة من الهجرة.....
٢٢٥	ذكر السنة السابعة من الهجرة.....
٢٣٢	ذكر السنة الثامنة من الهجرة.....
٢٤٢	ذكر السنة الحادية عشرة من الهجرة.....

الصفحة	العنوان
٢٤٨	ذكر خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
٢٥٢	ذكر خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
٢٥٥	ذكر خلافة عثمان بن عفان
٢٥٨	ذكر خلافة علي بن أبي طالب
٢٦٣	ذكر خلافة الحسن بن علي - عليه السلام -
٢٦٤	ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان
٢٦٥	ذكر أيام يزيد بن معاوية
٢٦٨	ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية
٢٦٩	ذكر أيام مروان بن الحكم
٢٧٣	ذكر أيام عبد الملك بن مروان
٢٧٧	ذكر أيام الوليد بن عبد الملك
٢٧٩	ذكر أيام سليمان بن عبد الملك
٢٨٠	ذكر خلافة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -
٢٨١	ذكر أيام يزيد بن عبد الملك
٢٨٣	ذكر أيام هشام بن عبد الملك
٢٨٤	ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٢٨٦	ذكر أيام مروان بن محمد
	ذكر ما جرت عليه أحوال بني أمية بعد قتل مروان بن محمد وتفرقهم
٢٩٠	في البلاد
٢٩٧	ذكر أيام ولد العباس خلافة أبي العباس السفاح
٣٠٠	ذكر خلافة أبي جعفر المنصور
٣٠٢	ذكر خلافة المهدي محمد بن عبد الله المنصور
٣٠٣	ذكر خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

الصفحة	العنوان
٣٠٥	ذكر خلافة الرشيد
٣٠٦	ذكر خلافة الأمين
٣٠٩	ذكر خلافة المأمون
٣١٢	ذكر خلافة المعتصم
٣١٥	ذكر خلافة الواثق
٣٢٠	ذكر خلافة المتوكل
٣٢١	ذكر خلافة المنتصر محمد
٣٢٢	ذكر خلافة المستعين
٣٢٣	ذكر خلافة المعتز
٣٢٤	ذكر خلافة المهدي محمد بن هارون
٣٢٦	ذكر خلافة المعتمد
٣٢٨	ذكر خلافة المعتمد
٣٢٩	ذكر خلافة المكتفي
٣٣٣	ذكر خلافة المقتدر
٣٤١	ذكر خلافة القاهرة
٣٤٢	ذكر خلافة الرازي محمد
٣٤٩	ذكر خلافة المتقي إبراهيم
٣٥٠	ذكر خلافة المستكفي
٣٥١	ذكر خلافة المطيع

